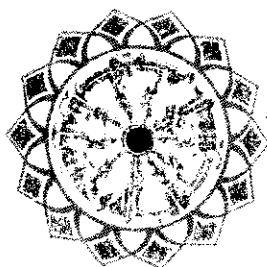


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المجمع العالمي لأهل البيت

# سؤال الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

العدد الثاني، السنة الأولى، ربيع الثاني - جمادى الثاني ١٤١٣ هـ (٢٠٩٢ م)

المراسلات والانصالات مع هيئة التحرير على أحد العنوانين التاليين:

المكتب الرئيسي: الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم ص. ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥) هاتف: ٣٧٢٩٠ فاكس: ٣٥١٧٩.

المكتب الفرعي: الجمهورية الإسلامية الإيرانية - طهران ص. ب: (٣٥١٦ - ١٥٨١٥) هاتف: ٨٩٣٤٦٨ / ٨٨٩٢٩٧٣

٨٨٩٢٩٧١ فاكس: ٨٨٩٢٩٧٢ تلکس: ٢٢٦ - ٣٥ MJMAIR

- تعنى بإحياء المعارف الاسلامية  
من منع الثقلين والدفاع عن حريم  
القرآن الكريم وسنة الرسول الشريفة  
وخط أهل البيت الاطهار عليهم السلام .
- تستقبل تناجات العلماء والمفكرين  
والكتاب الاسلاميين التي تصب في  
رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة  
الاسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء  
العالم.
- الآراء الواردة في الموضوعات  
لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع أو  
المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع  
لاعتبارات فنية.
- يُرجى ممن يرفد المجلة  
بتناجياته الاحتفاظ بصورة منها،  
فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر.

#### ثمن النسخة

- الجمهورية الاسلامية الايرانية ١٠٠٠ ريال □ العراق ٤ دنانير □ لبنان ١٥٠٠ ليرة
- سوريا ٢٥ ليرة □ الاردن ١٤٠٠ فلسا □ الكويت ١٦٠٠ فلسا □ البحرين ١٨٠٠ فلسا
- الامارات ٢٥ درهما □ قطر ٢٥ ريالا □ عمان ديناران □ السعودية ٢٥ ريالا
- اليمن ١٥ ريالا □ مصر ١٥٠٠ مليما □ ليبيا ١٩٠٠ درهما □ السودان ١٢٠٠ مليما
- تونس ١٥٠٠ مليما □ المغرب ١٦ درهما □ الجزائر ١٤ دنانيرا.
- وفي باقي دول آسيا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا ٧ دولارات أو مايعادلها.

## محتويات العدد

|     |                                      |  |
|-----|--------------------------------------|--|
| ١٢٦ | سماحة السيد محمد باقر الحكيم         |  |
|     | الحب الإلهي في أدعية أهل البيت (١)   | كلمة التحرير                             |
| ١٧٠ | سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي         |  |
|     | من نداء التوحيد (٢)                  | ٥  |
|     | شرح رسالة الإمام لغورباتشوف          |  |
|     | سماحة الشيخ الجوادى الآملى           | من آفاق القيادة الاسلامية                |
| ١٠٨ | تعريب وتعليق الشيخ مجتبى المحمودى    |  |
|     | الحكومة الإسلامية في نهج البلاغة (١) | نداء حول إقامة الصلاة                    |
| ١٥٧ | سماحة الشيخ الدرزي النجف آبادي       |  |
|     | الاستشراق والإسلام (٢)               | ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي |
|     | نشأة الاستشراق                       | ٩  |
|     |                                      | (دام ظلّه)                               |
| ٢٠٤ | الشيخ فزاد كاظم المقدادي             |  |
|     | المجتمع الاسلامي من وجهة نظر         | دراسات                                   |
|     | الامام الخميني (٢)                   |  |
|     | الثورة الثقافية وبناء الامة          | أهل البيت (ع) في القرآن الكريم (٢)       |
| ٢٢٩ | الاستاذ عبد اللطيف عبادة (الجزائر)   |  |
|     | من فقه مدرسة أهل البيت (ع)           | «الظهور السباقي لآية التطهير»            |
|     |                                      | سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي           |
|     |                                      | ١٣                                       |
|     |                                      | دقائق من تفسير أهل البيت (ع)             |
|     |                                      | للقرآن الكريم (١)                        |
|     |                                      | ٤١                                       |
|     |                                      | سماحة الشيخ محمد هادي معرفة              |
|     |                                      | دور أهل البيت (ع) في بناء                |
|     |                                      | الكتلة الصالحة (١)                       |

## المحتويات

والتطبيق ..... ١٥٤

### تقرير

#### استطلاع

- المجمع العالمي لأهل البيت  
يخاطب جمعاً من علماء المسلمين ..... ٨٣
- مستقبل المسلمين في أوروبا  
إعداد الشيخ فؤاد كاظم ..... ٢٢٦

### شبهة ورد

#### سؤال وجواب

- ميزان التوحيد والشرك  
سماحة الشيخ جعفر السبحاني ..... ٦٠
- يوم عاشوراء في اللغة والتاريخ والحديث  
الشيخ محمد هادي اليوسفي ..... ٢٤٠

### ندوة

#### من أنباء القرى

- أساس ومنهج التقريب  
بين المذاهب الاسلامية (٢)  
سماحة السيد كاظم الحائري  
سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي ..... ٩٨
- مجموعة أخبار وتقارير عن أحوال المسلمين  
وأتباع أهل البيت في أنحاء العالم ..... ٢٤٨

#### من غرر حكم أهل البيت (ع)

### فنون وآداب

- العلم والأخلاق  
إعداد: السيد منذر الحكيم ..... ١٩٨
- سافي الحوض  
شعر: الشيخ نبيل الحلباوي ..... ١٦٦
- من أمس الأمة إلى غدها  
شعر: الدكتور مصطفى جمال الدين ..... ١٢١
- خاطرة: ركب الممّهدين ثورة وثأر  
أبو فراس ..... ١٤١
- تفويم عام للمعدد الأول  
من مجلة رسالة الثقلين  
الأستاذ عبد السلام فرج الله ..... ٢٦٦

#### قراءة في العدد الماضي

### تعريف

- كتاب الحكم الاسلامي بين النظرية

## حب أهل البيت

### منطلق الوحدة

لم نجد محوراً أجمع عليه المسلمون بعد وفاة رسول الله وحيبيه صلى الله عليه وآله وسلم - بالرغم من تنوع آرائهم واتجاهاتهم - كحب أهل البيت عليهم السلام. فقد استقطب اهتمام الأولين والآخرين منهم، واغتنت به كتاباتهم، وطُرِزت به مؤلفاتهم، وتواترت عليه الروايات في مسانيدهم وصحاحهم ومجاميعهم، بل إنهم تسالموا على وجوب حبهم، وذكر فضائلهم.

ومن بلغ ما ورد فيها: «أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا محمد أعرض علي الإسلام فقال: إشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟ قال: لا، إلا المودة في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك؟ قال: قرابتي. قال: هاتِ أبياعك فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: آمين»<sup>(١)</sup>.

كما لم يجمع المسلمون على متيقن مصداق لقراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، حيث لم يترك رسول الله ذلك غائماً، «فعند ما نزلت الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>،

(١) أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية: ٣١، من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمد بن أحمد بن مخلد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

قيل: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما<sup>١</sup>.  
وترنّم العلماء الأدباء منهم شعراً في وجوب حبهم، وأن من وحي أي القرآن الكريم  
أن أجر الرسالة ودّهم. منه ما أنشده ابن العربي قائلاً:

رأيت ولائي آل طه فريضة علي برغم البعد يورثني القربا  
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى<sup>٢</sup>

وزاد ابن جبير عليه سناء بذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام مسوقة بحب حبيب الله  
ومصطفاه حين قال:

أحب النبي المصطفى وابن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا  
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلمهم أفق الهدى أنجماً زهرا  
موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنن الذخائر للأخري<sup>٣</sup>

من هنا فلا غرو أن يكون حب أهل البيت ثقلًا ثانياً في واقع المسلمين بعد حب  
القرآن الكريم كتاب الله العظيم، ينهلون من نبعه الصافي، ويوحدون كلمتهم وحركتهم  
على هداه وإن تفاوتت الدرجات وتباينت المستويات.

ويتألق الخطاب النبوي في حقهم قائلاً: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها  
في الدنيا فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً»<sup>٤</sup>.

وترقّى أمير المؤمنين علي عليه السلام في المقام من وحي قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّرَاطِ لَنَا كَبُونَ﴾<sup>٥</sup>، قائلاً: «الصرّاط ولايتنا أهل  
البيت»<sup>٦</sup>.

فاذا أردنا أن نعرف كيف يتعاقب هذان الثقلان: كتاب الله والعترة «أهل البيت» حباً في  
قلوب المسلمين لتتشكل منهما حركة الرسالة في إنسان الرسالة، فلنتمم شطر كلام  
صادق أهل البيت عليهم السلام وهو يناغي ضمائرنا ويرشدها إلى سرّ الحبّ وأساس

(١) أخرجه أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي والثعلبي  
وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن حجر في الصواعق: ١٠١. (٣) ذكره الشبلنجي في نور الأبصار: ١٣.

(٤) أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذخاير العقبى: ١٦).

(٥) سورة المؤمنون: ٧٤. (٦) أخرجه الحموي في الفرائد عن أصبغ بن نباتة.

المحبة بقوله: «الحب فرع المعرفة»<sup>١</sup>، فما همزة الوصل ومعقد الربط بيننا وبين حب المحبوب إلّا معرفته.

وبهذا تكون معرفة أهل البيت - كما هي معرفة كتاب الله - دليلاً عليهم وسيلاً إليهم ومنطلق الحب وشفيع القرب.

ويمتزج الثقلان في قلب المؤمن ليكون منهما الدين، و«هل الدين إلّا الحب»<sup>٢</sup>! كما عن باقر آل محمد عليهم السلام وكذلك قال صادق أهل البيت عليهم السلام: «الدين هو الحب والحب هو الدين»<sup>٣</sup>.

وما مقدار حب أهل البيت عليهم السلام إلّا ملاك الثبات على الصراط تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي»<sup>٤</sup>. إلّا أنّ حقيقة الحب تأبى إلّا أن يكون قرينها العمل، وأمارتها السعي على طريق المحبوب وإن قصر العمل. وهذه الحقيقة تحكيها لنا عبقات الإمام الباقر عليه السلام في قوله لجابر: «يا جابر لاتذهبن بك المذاهب، أحسب الرجل أن يقول: أحبّ علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً؟! فلو قال: إني أحبّ رسول الله - فرسول الله خير من علي - ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته مانفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله عزوجل أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر، والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة. من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ما تُنال ولا يتنا إلّا بالعمل والورع»<sup>٥</sup>.

هذه هي حقيقة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وهذا هو شأنه وشرفه.

وكيف لانواليهم وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟

وكيف لاتتابعهم «والمرء مع من أحب»<sup>٦</sup>؟ يأنس ظلاله ويؤثره على ماسواه.

وها هنا واحدة من آيات العناق بين الثقلين، ودلالة من دلالات أحدهما على الآخر.

(١) مصباح الشريعة ٢: ٢.

(٢) بحار الأنوار ٦٩: ٢٣٧.

(٣) نور الثقلين ٥: ٢٨٥.

(٤) أخرجه ابن عدي والديلمي كما في الصواعق: ١١١.

(٥) أصول الكافي ٢: ٧٤.

(٦) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رواه مسلم ٨: ٤٢، والطبراني والبيهقي كما في مجمع الزوائد ١٠:

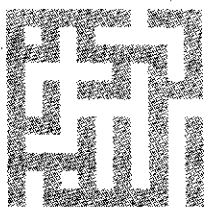
فكما أن القرآن الكريم تزرخ سوره وتتناغم آياته في الشهادة لأهل البيت بالتطهير، فإن أهل البيت أشدُّ الناس التصاقاً وعناقاً واشتياقاً إلى علوم القرآن ومعالمه وأسراره وآفاقه. فهذا علي عليه السلام يرتقي المنبر ليقول للناس: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمني تأويلها»<sup>١</sup>.

وبقى أن نعرف للاتباع حقّه ونلتزم شروطه، «فلا تَقْدَمُوها فتهلكوا، ولا تُقْصِرُوا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»<sup>٢</sup>.

فالإلى معرفة أهل البيت وهم عباد الله المخلصون، وإلى إتباعهم وهم الأدلاء على الله الهادون.

﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾<sup>٣</sup>.

فلعلنا بذلك نمثّل أمر الله، ونصدق الأجر لرسول الله، ونعمل بسنته، ونكون من شيعته، ونتحرك لإعلاء كلمة الدين، وتوحيد المسلمين، والحمد لله رب العالمين.



(١) برواية سليم بن قيس الهلالي، صبحي الصالح - النهج ١: ١٩٢ الخطبة القاصعة.

(٢) ينابيع المودة ١: ٣٤.

(٣) سورة يونس: ٣٥.



نداء ولي أمر المسلمين سماحة آية الله السيد الخامنئي

## حول إقامة الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تأسيس مجمع لإقامة الصلاة يضم ثلّة من الخبراء، من أهم وأروع الأعمال التي كان من المفروض أن تتم في الجمهورية الإسلامية. لأن إقامة الصلاة هي الثمرة الأولى، والرمز لحكومة الصالحين. ويليه في المرتبة التالية إيتاء الزكاة كنظام مالي للمجتمع، وأداة لاستئصال جذور الفقر. ويأتي بعدها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعنى الهداية إلى الخير، والمنع من الشر، ﴿الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾<sup>١</sup>.

إن إقامة الصلاة ليس بمعنى أن يؤدي الصالحون أنفسهم هذه الفريضة فحسب، فإن هذا لا يتوقف على تأسيس حكومة إلهية، بل يجب أن يقام هذا العمود في المجتمع، ويتعرّف الجميع على أسرارهِ ورموزه، ويتمتعوا ببركاته، وتستضيء آفاق المجتمع بصفاء ذكر الحق وسناء معنويته. ولتسع الأنفس والابدان معاً إلى الصلاة وترجوا الطمأنينة والاستحكام في كنفها ورعايتها.

إن الصلاة من أركان الدين الأصليّة، ويجب أن تُعطى أجدر مكانة في حياة الناس. إن الحياة الهنيئة للإنسان في ظل حكم دين الله إنّما تحصل حين تحيي قلوب الناس

## من آفاق القيادة الإسلامية

بذكر الله، ويحارب الناس به أنواع مغريات الشر والفساد، ويحطّمون جميع الاصنام، ويقطعون دابر كل شياطين الباطن والظاهر من وجودهم.

إنّ هذا الذكر والحضور المستمر إنّما يحصل ببركة الصلاة فحسب. والصلاة في الحقيقة سند قوي ومعين لا ينضب في جهاد المرء مع شيطان نفسه، الذي يجرّه إلى الذلّ والتخاذل، وفي جهاده المستمر ضد شياطين الاستكبار الذين يُجبرونه على الانقياد والاستسلام دائماً.

إنّه لا وسيلة أحكم وأتقن من الصلاة للترابط بين الانسان وربّه. وإنّ أبسط الناس يبدأ علاقته مع الله بالصلاة. وكذلك يبحث أبرز أولياء الله في الصلاة عن جنة أنسهم مع الحبيب.

إنّ هذا الكنز من الذكر والمناجاة لانفاد له، وكلما يتعرّف الانسان عليه أكثر يرى فيه إشراقاً وسطوعاً أكثر.

إنّ كلاً من كلمات الصلاة وأذكارها تشير إلى جانب من المعارف الدينية وتذكّر المصلي بها باستمرار. والصلاة التي تقام بالتدبّر في معانيها - مع الابتعاد عن السهو والتغافل - تعرّف الانسان بالمعارف الإلهية يوماً فيوماً، وتحبّبها إليه أكثر فأكثر.

إنّ أنوار الصلاة وأسرارها ورموزها، والدروس التي تتضمّنها، وكذلك أثرها في صياغة الفرد والمجتمع لا يمكن استقصاؤها في هذا المجال الضيق، بل لا يمكن لمن هو مثلي أن يُخبر عن أعماقها.

ما أقوله أنا بمعرفتي المتواضعة وقلمي القاصر، هو أنّ شعبنا ومجتمعنا، وخصوصاً شبابنا الذي يحمل اليوم عبء أمانة أثقل، يجب أن ينظروا إلى الصلاة كمصدر قوّة، ويستمدّوا من الصلاة وذكر الله المنعة والقدرّة في مواجهتهم لتيارات الفساد والظلم والانحراف التي تهدد الانسانية اليوم.

وإنّ ساحة الجهاد التي نواجهها في الوقت الحاضر، تجعلنا أحوج ما نكون إلى حصنٍ منيع هو ذكر الله تعالى، الذي يمنحنا الأمل والعزيمة، والمعنويّة العالية.

إنّ الصلاة بتأدّب، والمفعمة بالذكر، الصلاة التي يُكلّم المرء فيها ربّه وبهبه نفسه، الصلاة التي تغذّي الانسان بالمعارف الإلهية باستمرار، صلاة جديرة بإفناذ الانسان من العبث والفتور والضياغ، وإضاءة آفاق حياته، وإعطائه الإرادة والهدفية، وتطهير قلبه من

## من آفاق القيادة الإسلامية

الانحراف والاثم والدناءة.

ومن هنا تبقى للصلاة أولويتها حتى في أصعب اختبارات الحياة، وساحات الحرب. ويبقى الإنسان دائماً محتاجاً إلى الصلاة، بل هو في مجالات الخطر إليها أحوج. الحقيقة أنَّ هناك قصوراً كثيراً تجاه التعريف بالصلاة، مما أديّ أن لا تحصل الصلاة على موقعها اللائق بها حتى في نظامنا الإسلامي اليوم. وإنَّ هذه المسؤولية الثقيلة تقع على عاتق العلماء والعارفين بالإسلام، عليهم أن يعرفوا الجميع والشباب خاصة بالصلاة بدءاً من طلبة الابتدائية وحتى طلبة الجامعات والدراسات العليا كل حسب استيعابه وقدرته على المعرفة.

وإنَّ العلماء الكبار كتبوا عن أسرار الصلاة<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على أن أعماق هذا البحر لا تزال مجهولة بعد، وتستحق الغور باستمرار.

يجب أن يفتح لمجتمعنا فصل مهم في التعريف بالصلاة. وإنَّ وسائل الاعلام، خصوصاً الاذاعة والتلفزيون، يجب أن تقوم دائماً وفي كل الظروف بتعريف الصلاة بشتّى السبل، يجب أن تكون الأولوية في الاذاعة والتلفزيون للصلاة، وليوجدوا الحب والايمان والشوق إلى ذكر الله في القلوب.

يجب أن تأخذ الصلاة مكانتها كمادة تدريسية بين الدروس في المدارس والجامعات، وأن تجمع الأقوال السديدة والآراء الرفيعة حول الصلاة لتعريف الطلبة والمتعلمين بها.

يجب أن توضّح فلسفة الصلاة وتفسّر أسرارها ورموزها للجميع بلغة فنيّة رفيعة، لكي يتمتعوا بها كلّ حسب استيعابه. وتحرّر كتب وكراسات على شتّى المستويات ومن وجهات نظر مختلفة من قبل الباحثين والعلماء، وتصيح كمادّة أولية للانتاجات الفنيّة والأدبية. وكذلك يجب أن نفتح هنا فصلاً لتيسير إقامة الصلاة أيضاً.

يجب أن تهيأ أماكن للصلاة في المجمععات العامة كالمدارس، والجامعات، والمصانع، والشركات، والمطارات، ومحطّات القطار، والدوائر الحكومية. ولتكن المساجد والمصلّيات نظيفة رائعة. ولتقم الصلاة جماعة وفي موعد فضيلتها. وليتقدم

(١) منها كتاب أسرار الصلاة للمرحوم الامام الخميني قدس سره الشريف. «التحرير».

## من آفاق القيادة الإسلامية

الكبار والشخصيات البارزة في كل منطقة على الآخرين، ليَلْقَنُوهم درس الاعتناء بها. وبكلمة واحدة: ليكن التحرك شطر الصلاة والاندفاع إليها محسوساً في كل مكان. وبهذا الإعداد، وبعون الله تعالى، وبدعاء ولي الله الأعظم رُوحِي فداه سوف يقترب بلدنا ومجتمعنا من الاهداف السامية للصلاة، ومنتفع ببركاتها. وفي الختام أسأل الله التوفيق والقبول.

السيد علي الخامنئي  
٢٩ / ربيع الأول / ١٤١٢ هجرية

مجلس علماء الجمهورية الإسلامية  
مجلس علماء الجمهورية الإسلامية  
مجلس علماء الجمهورية الإسلامية

## أهل البيت في القرآن الكريم (٢)

• خلاصة القسم الاول المنشور في العدد السابق من هذه الدراسة:

- ١- عرفنا ان المقصود بـ «أهل البيت» في آية التطهير: أهل الكساء والخمسة الطيبة، وهو المروي عن طرق أهل السنة والشيعة بشكل متواتر.
- ٢- كما عرفنا أن الروايات تنفي شمول الآية لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٣- وقلنا ان هذا التفسير ليس فيه مخالفة لنص القرآن ولا لظاهره وانما هو منسجم معه تمام الانسجام.
- ٤- وأن الآية تتضمن إخباراً صادقاً وشهادة الهية بأن أهل الكساء حاصلون على مرتبة الطهر ونفي الرجس الى درجة العصمة دون كل من عداهم.
- ٥- وقد عرفنا أن ذلك لا يستلزم محذور الجبر أبداً، لأن الارادة تعلقت بإبعاد الرجس عنهم مع إبقاء إرادتهم حرة طليقة ومن دون أدنى تعرض لها.

### الظهور السياقي لآية التطهير

#### بين الاخذ والرد

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي

عود علي بدء:

لقد اتضح مما تقدم: أن توجيه الخطاب لأهل البيت ليس فيه مخالفة للسياق القرآني بل هو الموافق له، والمنسجم معه. دون أدنى لبس، أو شبهة. ونزيد في توضيح هذا الأمر، فنقول:

أ- إن السياق إنما يكون دليلاً وحجة في صورة مالمو علم أن المتكلم بصدد بيان موضوع واحد، من مبدأ كلامه إلى نهايته، ليكون بعض كلامه قرينة على البعض الآخر.

فإذا ورد ما يخالف ذلك، فإنه يكون مخالفاً للظهور السياقي، ويكون إخلالاً بالناحية البلاغية والبيانية.

ب - أما إذا علمنا: أن المتكلم ليس بصدد بيان أمر واحد، وإنما هو يذكر أموراً متعددة ومختلفة في موضوعاتها وأحكامها، وإن كانت تدخل في نطاق غرض عام وجامع - وهو الدين مثلاً أو الشريعة، أو نحو ذلك - فإن ذلك يبرر التصدي لبيانها، ويكون هو الجامع بين متفرقاتها، والمؤلف لمختلفاتها - إذا علمنا ذلك - فإن التعرض للموضوعات المختلفة، لا يكون خلافاً للظهور السياقي، ولا يخل بالناحية البيانية والبلاغية. إلا إذا تعرض لبيان امر لا يدخل في ذلك الغرض الأقصى، والعام والجامع، فإن ذلك حينئذ يكون مخالفاً بالبلاغة، ومخالفاً للظهور السياقي، كما هو واضح.

ج - إن وحدة السياق لاتلازم وحدة الموضوع والحكم. فإن الأسلوب البياني قد يفرض التعرض لبيان بعض الحثيات، التي لها مساس بما هو محط النظر، وإن اختلفت عنه في طبيعتها وماهيتها.

عن أبي عبد الله عليه السلام: يا جابر، إن للقرآن بطناً، وللبطن ظهراً وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه: إن الآية لينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصرف على وجوه<sup>١</sup>.

ومن الملفت أننا نجد أن المثال الذي قدّمه الأئمة عليه السلام في هذا الصدد هو نفس آية التطهير، التي هي موضع البحث، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً﴾. من ميلاد الجاهلية<sup>٢</sup>.

ولكن ذلك لا يعني: أن لا تكون هناك جامعة كلية وعامة تكون تلك الموضوعات المختلفة كلها داخلة فيها.

ويعد ما تقدم نقول:

قد ذكرنا فيما تقدم ما يوضح: أن آية التطهير هي من القسم الأول المذكور في فقرة:

(١) راجع: وسائل الشيعة ١٨: ١٥٠، وتفسير العياشي ١: ١١.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٧، والبحار ٨٩: ١١٠.

(أ). إذ أن الآيات قد جاءت لتخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتطلب منه أن يبلغ زوجاته بعض الأوامر والزواجر، بهدف الحفاظ على البيت النبوي الشريف، ويمكن تطبيق القسم الثاني المذكور في الفقرة (ب) على آية التطهير أيضاً إذا لاحظنا: أن الجامع العام وهو الحفاظ على أهل البيت عليهم السلام قد استدعى إصدار أوامر ونواهٍ مختلفة للزوجات مع أن الكلام متصل وله سياق واحد.

ولو ادّعى البعض: أن الطريقة القرآنية في بعض الموارد، قد جاءت على النحو الثاني المذكور في الفقرة (ب)، لم يكن هو الآخر مبعداً ولا متجنباً، وإن كنا قد لانوافقه على هذا الرأي، بالنسبة لآية التطهير، وذلك انطلاقاً مما قدّمناه في شرح الآية الشريفة.

### الالتفات والاعتراض:

ولو أننا قبلنا: أن الخطاب لم يكن موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وليست النبوة والرسالة، بل كان موجهاً للنساء من أول الأمر، فإنا نقول: إن ذلك لا يوجب أن تكون آية التطهير خاصة، بل ولا حتى شاملة للنساء، إذ أن ثمة طريقتين آخرين يمكن التوصل إلى التخصيص للآية الكريمة بأصحاب الكساء، ولا يختل حينئذ السياق القرآني، ولا يلزم التكذيب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إصراره المتواصل على خروج النساء عن مفاد الآية.. وهذان الطريقتان هما:

#### ١- الالتفات:

فإن الالتفات هو من الأساليب البانية، التي جرى عليها الناس في محاوراتهم، وهي تعطي الكلام جمالاً، ورونقاً، وإشراقاً. ولها أيضاً فوائد جليّة، لأنها تشد السامع إلى الكلام، وتثير انتباهه، وتجعله يتطلع لمعرفة هذا الجديد، وإلى سماع المزيد.

وقد استفاد القرآن من هذا الأسلوب في كثير من الموارد، حتى في فاتحة الكتاب، كما تقدم. وحكمة هذا الالتفات هنا هو الإشارة إلى أن تأديب الزوجات إنما هو من توابع إذهاب الرجس والدنس عن أهل البيت، واکراماً لهم حتى لا يلحقهم بسببهن وصمة أو عيب.

## ٢- الاعتراض:

ولنا أن نعتبر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ..﴾ جملة اعتراضية، إذا صححنا ورود الاعتراض في آخر الكلام، أو اعتبرنا الآيات سابقاً ولاحقاً كلها وحدة واحدة. وقد جاءت الجملة الاعتراضية فيما بينها؛ للإشارة إلى حيثيات ودوافع الحكم الوارد في الفقرات السابقة واللاحقة.

وهذا الإعتراض ليس فقط قد جاء معقولاً ومقبولاً، بل هو راجح ومطلوب، بل وضروري أيضاً لحكمة ونكتة، وهي بيان هذا الأمر الهام والخطير، أعني تعلق الإرادة الإلهية بتطهير أهل البيت، وبيان الفرق الشاسع بين أهل بيته الحقيقيين، وبين الزوجات اللواتي ربما يتوهم أنهن على حد أهل بيت النبوة في العصمة والطهارة، وبعد هذا.. فإن الجمل الاعتراضية كثيرة في القرآن، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ - يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا - وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾<sup>١</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهٗ لَقَسَمٌ - لَوْ تَعْلَمُونَ - عَظِيمٌ﴾<sup>٢</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقَمَانَ ابْنُهُ، وَهُوَ يَعْظُهُ يَابْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا...﴾. إلى أن قال: ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّي كُنْتُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾<sup>٣</sup>.

وأمثال ذلك في القرآن، ليس بقليل.

## مخالفة السياق لأجل القرينة:

وحتى لو سلمنا: أن السياق القرآني يؤيد كون الخطاب للنساء؛ فإن رفع اليد عن الظهور السياقي، الذي هو أضعف الظهورات، لأجل وجود قرينة بل قرائن داخلية وخارجية على خلافه، ليس فيه أي محذور.

وقد ظهر وسيظهر وجود قرائن في الآيات نفسها، ووجود روايات متواترة صحيحة وصريحة تُعين أهل البيت في من سوى الزوجات، أي في خصوص أهل الكساء. وليس

(٢) الواقعة: ٧٦.

(١) يوسف: ٢٨ و ٢٩.

(٣) لقمان: ١٣-١٦. وليراجع حول الالتزام بالاستطراد والاعتراض: تفسير القمي ٢: ١٩٣ و ١٩٤، والكلمة الغراء (مطبوع مع الفصول المهمة): ٢١٣ و ٢١٤، ونهج الحق هامش: ١٧٤.



في ذلك آية مخالفة للاستلوب البلاغي والبياني، فقد تعودنا من البلاغ الإشارة إلى العديد من المطالب في كلامهم الذي يوردونه في مقام واحد، وفي سياق واحد، إذا كان له جهة كلية عامة وجامعة.

## قرائن أخرى لمخالفة السياق:

وقد ذكرت قرائن أخرى توجب رفع اليد عن الظهور السياقي، وهي:

### ١- اختلاف الضمائر:

تذكير الضمير في آية التطهير في «عنكم» و«يطهركم» مع أن الضمائر الواردة في السابق واللاحق هي ضمائر الإناث: وقرن في بيوتكن. ولا تبرجن، أقمن الصلاة. آتين. أظعن، وغير ذلك<sup>١</sup>.

بل لقد اعتبر البعض هذا دليلاً على عدم إرادة النساء في الآية، واعتبره البعض الآخر: أنه يدل على عدم اختصاص آية التطهير بهن على خلاف ما ادّعاه عكرمة وغيره<sup>٢</sup>.  
توجيهات لا تجدي:

وقد دافع القائلون بشمول الآية للنساء، أو اختصاص الخطاب فيها بهنّ بوجوه، فقالوا:

### الاول: التغليب:

إن هذا التعبير قد جاء على سبيل التغليب، حيث غلب فيه المذكر على المؤنث<sup>٣</sup>.

(١) راجع التسهيل لعلوم التنزيل ٣: ١٣٧، والكلمة الغراء (مطبوع مع الفصول المهمة): ٢١٣ و ٢١٤، والتبيان ٨: ٣٨، والمواهب اللدنية ٢: ١٣٣ عن زيد بن علي وكذا في البحار ٣٥: ٢٠٧، والبرهان (تفسير) ٣: ٣١٩، ونفحات اللاهوت: ٨٥، وهامش نهج الحق: ١٧٤، وتفسير القمي ٢: ١٩٣ و ١٩٤، وفتح القدير ٤: ٢٧٩، ومشكل الآثار ١: ٣٣٨ و ٣٣٩، والمختصر من المختصر ٢: ٢٦٧، والصراط المستقيم ١: ١٨٥، ونوادر الأصول: ٢٦٦، واحقاق الحق للستري ٢: ٥٦٦، والميزان (تفسير) ١٦: ٣١٠، واضواء على مناهج القرآن ٢: ١١٧، والأصول العامة للغة المقارن: ١٥٨، جوامع الجامع: ٣٧٢، تعليقات السيد محمد علي القاضي (في الهامش) ونظرية الإمامة: ١٨٢، عن المناظرات للكاظمي: ٩، وراجع أيضاً: الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٨٢ و ١٨٣، والصواعق المحرقة: ١٤١، وينابيع المودة: ٢٩٤.  
(٢) راجع: المصادر السابقة.

(٣) راجع: المواهب اللدنية ٢: ١٢٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٤: ٢٠٨، والسنن الكبرى ٢: ١٥٠، وراجع: التبيان ٨: ٣٠٨ و ٣٠٩، والتفسير الكبير ٢٥: ٢٠٩، وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ٢٢: ١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٨٣، وكلام ابن رويهان ضمن كتاب دلائل الصدق ٢: ٦٤، وضمن احقاق الحق ٢: ٥٦٤.

ونقول: إن هذا غير تام:

أولاً: إن التغليب إنما يصار إليه، حيث يحرز عدم الخصوصية لأي من الطرفين أو الأطراف في نظر المتكلم، وأنه يريد شمول الحكم للجميع، مع عدم وجود قرينة على الخلاف.

وفي مورد البحث: نجد القرائن والشواهد العديدة على التمييز فيما بين الاطراف، فضلاً عن أنها لا تحرز إنه يريد شمول الحكم.

ويكفي ما ذكرناه من روايات صحيحة وصريحة في انحصار المراد من أهل البيت في أصحاب الكساء، مع تصريح طائفة كبيرة منها بخروج الزوجات عنهم<sup>١</sup>.  
وثانياً: قال العلامة المجلسي: «إن مخاطبة الزوجات مشوبة بالمعاتبة والتأنيب، والتهديد، ومخاطبة أهل البيت محلاة بأنواع التلطف والمبالغة في الاكرام. ولا يخفى بعد إمعان النظر المبينة التامة في السياق بينها وبين ما قبلها، وما بعدها»<sup>٢</sup>.

وثالثاً: قد تقدم ما يفيد وجود إشكال في أصل صدق عنوان: «أهل البيت» على الزوجات، حتى لو سلمنا أن المراد بالبيت هو بيت السكنى.

ورابعاً: قد عرفت: أن المراد هنا هو بيت الرسالة والنبوة لا بيت السكنى. ولو سلمنا، فإننا نقول - كما يتضح من ملاحظة روايات حديث الكساء -: إن المراد به خصوص البيت الذي جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه أهل الكساء، حيث نزلت الآية الشريفة فيهم. وتكون الألف واللام هنا (في كلمة البيت) للعهد الخارجي. وبذلك يتضح السرفي أنه تعالى، قال مخاطباً للنساء: (بيوتكن). ولكنه عبر هنا فقط بقوله: (أهل البيت).

وخامساً: قد تقدم: أن السياق منسجم، مع كون المراد بأهل البيت خصوص أهل الكساء ولا حاجة إلى دعوى التغليب، ولا إلى غيرها.

تنبيه واحتراز:

إن محط النظر في الرد والقبول إنما هو التغليب بالنسبة إلى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانضمامهن إلى أهل الكساء وعدمه. أما تغليب الذكور على الإناث بالنسبة إلى أهل الكساء أنفسهم، لكون فاطمة عليها السلام فيهم فلا إشكال في كونه حاصلًا، ومرادًا له

تعالى. حسبما صرحت به الروايات المتواترة.

الثاني: عموم لفظ البيت:

الوجه الآخر الذي ذكره دفاعاً عن شمول الآية للزوجات، وتوجيه اختلاف الضمائر تذكيراً وتأنياً: أن لفظ البيت كلي، يطلق على الجمع<sup>١</sup>.  
ونقول:

- ١- إن بعض ما ذكرناه في الإجابة على الوجه السابق آتٍ هنا.
  - ٢- إن كون لفظ البيت كلياً لا يصح بحسب مصطلح أهل العلم.
  - ٣- إن القرينة القطعية قد دلت على أن النساء لسن مراداً له تعالى في آية التطهير.
  - ٤- إن هذا التوجيه لا يجدي، فإن الظاهر هو: أن المراد بالبيت ليس هو بيت السكنى، وإنما هو بيت النبوة والرسالة. وقد يشير إلى ذلك: أنه تعالى حين تحدث في نفس الآية عن بيت سكنى الأزواج، قد جاء بلفظ الجمع مضافاً إليهن، فقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾<sup>٢</sup> ثم قال بعدها: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾<sup>٣</sup>.  
ولكنه في آية التطهير قد جاء بلفظ البيت محلّى بألف ولام العهد. فلو كان المراد به بيت سكنى الأزواج، لكان المناسب الاتيان به بلفظ الجمع كسابقه ولاحقه، لا الأفراد بلام العهد. ولو سلمنا: أن المراد هو بيت السكنى، فإننا نقول: إن المراد به هو البيت الخاص الذي جمع فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل الكساء، وتكون الألف واللام في «البيت» للعهد الخارجي. وليس المقصود به بيوت الأزواج، التي تحدث عنها سابقاً ولاحقاً بصيغة الجمع: «بيوتكن».
- ويمكن تأييد هذا الوجه ببعض نصوص حديث الكساء، فليراجع في مصادره.  
احتمالات لها ما يبررها:

قد يقال: يستفاد من نسبة البيوت إلى الزوجات، لا إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أن في نسبتها إليه شرفاً عظيماً، ولا يريد الله أن يخص النساء بهذا الشرف، هذا بالاضافة إلى أنه تعالى قد أراد أن يظهر التمايز فيما بين الزوجات، وبين أهل البيت النبوي الحقيقيين، وهم أهل الكساء عليهم السلام، فلا يتصور أحد: أنهم وأولئك بمنزلة

(١) راجع: نظرية الإمامة: ١٨٢ وراجع: مختصر النحلة الاثني عشرية: ١٥١.

(٢) الاحزاب: ٣٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣.

واحدة بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله وسلم، بل أهل بيته منه وإليه. وليس كذلك زوجاته اللواتي لم يرض حتى بنسبة البيت الذي هنّ ساكنات فيه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث: لفظ الأهل مذكّر:

وقد يقال أيضاً: إن التذكير للضمير إنما هو باعتبار لفظ «أهل» فالضمير يذكّر معه، كما قال الله سبحانه: في قصة قول الملكين لزوجته إبراهيم: ﴿أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾<sup>١</sup>، وقال تعالى: ﴿وقال لأهله: امكثوا﴾<sup>٢</sup> والقائل هو موسى لأمراته.

وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ يريد زوجته: فيقول: هم بخير<sup>٣</sup>. ونقول: إن ذلك لا يصح لعدة أمور، هي:

- ١- إن لفظ الأهل يذكّر ويؤنث، كما نص عليه الزمخشري في تفسير آية: ﴿هذه القرية الظالم أهلها﴾<sup>٤</sup>. فالأولى الجري على سياق الآيات، وإيراد الضمير مؤنثاً أيضاً.
- ٢- إن لفظ الأهل في الآية مفرد، وإن كان معناه الجمع، فهل الأولى مراعاة ذلك أيضاً؟ فلماذا إذن أتى بضمير الجمع، وقال: عنكم، وبطهركم، ولم يراع جهة الافراد، فيرجع الضمير إليه كذلك؟<sup>٥</sup>

٣- إن كلمة «أهل» في آية التطهير تابعة لـ «عنكم» والتابع لا يؤثر في المتبوع لا تذكيراً ولا تأنيثاً.

والقول: بأن كلمة عنكم أيضاً تابعة (لأهل) آخر منتزع من النساء يرد عليه: أن هذا لو صحّ لاقتضى أن تكون الضمائر السابقة في الآية أيضاً بالتذكير، مع أنها كلها قد جاءت بالتأنيث. فما هو وجه العدول في ذيل الآية إلى التذكير؟<sup>٦</sup>

٤- أما بالنسبة لآية: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾<sup>٧</sup>، فإنما يقصد بها خصوص المذكورين، وهم مجموع أهل بيت إبراهيم، ودخول المرأة فيهم إنما هو للتغليب

(١) القصص: ٢٩.

(١) هود: ٧٣.

(٢) راجع: فتح القدير ٤: ٢٧٩ ونوادر الأصول: ٢٦٦ والجامع لاحكام القرآن ١٤: ١٨٣ ومختصر النحفة الانثى عشرية: ١٥٠ ونظرية الامامة: ١٨٢ عن النحفة الانثى عشرية.

(٣) الآية في سورة النساء: ٧٥. وكلام الزمخشري في الكشف ١: ٥٣٥.

(٤) ذكر الاجوبة الثلاثة المتقدمة السيد محمد علي القاضي في حاشيته على جوامع الجامع: ٣٧٢.

والتجوز، فالقياس عليه في غير محله، لأن التغليب مع قيام القرينة عليه مما لا ينكره أحد. وهكذا الحال بالنسبة لقوله تعالى: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا...﴾

وكذا يقال بالنسبة لقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك يريد زوجته، فيقول: هم بخير، فإنه مما قامت القرينة على تعيين المراد منه. ومع وجود القرينة، لا يوجد اشكال، ولا هو محل كلام أو جدال.

٥- هذا بالإضافة إلى وجود فرق في الاستعمال: بين أهل الرجل، وأهل بيت الرجل، فإن إطلاق كلمة «أهله» على الزوجة، لا يلزم منه صحة إطلاق كلمة «أهل البيت» عليها. وقد تقدم في روايات حديث الكساء: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نفى أن تكون أم سلمة من أهل البيت، وقرّر أنها من أهله، لا من أهل بيته.

٦- بالنسبة لآية: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت نقول: إن دخول سارة في أهل البيت لعله من جهة أنها كانت ابنة عم إبراهيم عليه السلام<sup>١</sup> فهي داخلة في أهل البيت من حيث النسب، لا من حيث كونها زوجة ولا أقل من الشك في ذلك. الرابع: مخالفة السياق الآخر تحتاج إلى مبرر:

وبعد أن استدلل البعض بالدلالة السياقية قال: «فذكر حال الآخرين بجملة معترضة، بلا قرينة، ولا رعاية نكتة، ومن غير تنبيه على انقطاع كلام سابق، وافتتاح كلام جديد مخالف لوظيفة البلاغة التي هي أقصى الغاية في كلام الله تعالى، فينبغي أن يعتقد تنزهه عن تلك المخالفة<sup>٢</sup>». ونقول:

إن هذا الكلام صحيح في حدّ نفسه، ولكن قد ظهر أن المناسبة موجودة وهي أن أمر ونهي نساء النبي، إنما هو لأجل الحفاظ على بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وإبعاد العيب عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الخمسة أصحاب الكساء. وذلك تشريعاً له صلى الله عليه وآله وسلم وتكريماً، وإعلاءً لشأنه عليه وآله الصلاة والسلام. ولأجل أن مصلحة الاسلام والدعوة تقتضي ذلك. وتفرضه.

أما القرينة الصارفة عن هذا الظهور، فهي الروايات الصحيحة والصريحة حسبما

(١) راجع قصص الأنبياء للنجاشي: ١٠٠.

(٢) مختصر التحفة الانبياء عشرية: ١٤٩.

تقدم بالاضافة إلى قرائن أخرى. تأتي إن شاء الله تعالى.  
هذا كله، عدا عن أنه لا مخالفه للسياق في الآية حسبما أوضحناه، فلا نعيد.

### التطهير، وإرادة النساء:

وبعد... فإنه إذا كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، مشمولاً لآية التطهير كما يقول به جمهور العلماء والمحققين، وكما نصت عليه الروايات المتقدمة لحديث الكساء. وفرضنا: أن الخطاب في الآية، متوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً تغليياً. كما سبق وأدعاه البعض - فإن الأمر يصبح أكثر إشكالاً.  
وذلك لأن الخطاب السابق واللاحق إذا كان متوجهاً إلى النبي أيضاً ولزوجاته، فإنه يلزم أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً بالقرار بالبيت، وعدم التبرج، وهو ممن يضاعف له العذاب ضعفين، ويؤتيه الله أجره مرتين، وهو واضح الفساد مع ملاحظة أن الضمائر السابقة واللاحقة خاصة بالإناث.

وإن كان صلى الله عليه وآله وسلم ليس مشمولاً للخطاب السابق واللاحق، لزم اختلاف السياق، وكون الله تعالى قد كان يخاطب جماعة، ثم غير أسلوب خطابه - من ضمير الاناث إلى الذكور - للتبدل الحاصل في من يخاطبهم.

أضف إلى ماتقدم: أن إذهاب الرجس والتطهير للنساء إنما هو بالمباشرة، لأنه إنما يحصل بامثالهن ماصدر إليهن من أوامر وزواجر، أما تطهير النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو بنحو آخر، أي ثانياً وبالعرض أي بواسطة عدم العيب له بسبب نسائه؛ لأن الطهر له ليس بواسطة المذكور في الآيات من عدم التبرج والقرار في البيوت ... الخ ليكون طهراً بالمباشرة بسبب ذلك.

فيكون قد استعمل التطهير، وإذهاب الرجس في نحوين مختلفين تمام الاختلاف.  
وحتى لو كان المراد هو تطهير النبي بالمباشرة عن الأرجاس التي تناسبه كرجل، فإنه يرد عليه: أن ذلك لم يذكر في الآيات، فاستعمال التطهير وإذهاب الرجس في المذكور في الآيات بالنسبة إلى النساء وفي أمور أخرى لم تذكر بالنسبة للنبي هو أيضاً مما لا يساعد عليه الكلام ولا يمكن فهمه ولا تفهيمه لأحد.

## ترتيب القرآن والدلالة السياقية:

وقد نجد البعض يحاول أن يورد على القول بأن سياق الآيات يوجب القول بأن زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم هن المرادات في آية التطهير بأن القرآن قد نزل تدريجاً ولم يترتب في الجمع حسب ترتيبه في النزول، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعين المواضع التي ينبغي أن توضع فيها الآيات النازلة، فيقول: ضعوا هذه الآية في سورة كذا، وضعوا تلك في سورة كذا.. فقد يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع آية: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الخ: في هذا الموضع من آيات الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجل صيانة القرآن عن أن تناله يد الخيانة بالتصرف والتحريف، إذ لو لم يفعل الرسول ذلك لوجد الآخرون أنفسهم أمام إحراجات كبيرة فيما يختص بأمر الإمامة، وموقعها، وخصائصها، من الطهارة والعصمة، حينما يواجهون النص القرآني الصريح في هذا المجال.

وعلى هذا فالسياق لا يكفيء الأدلة الصحيحة والصريحة عند تعارضها، لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية فيء ذلك السياق. بل لابد من ترك فحوى السياق - لو سلم ظهورها فيما زعموا - والاستسلام لحكم تلك الأدلة القاطعة، وذلك لا ينافي البلاغة، ولا يخل بالاعجاز<sup>١</sup>.

وقد يكون عثمان أو غيره قد جعل آية التطهير في هذا الموضع، ظناً منه أن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هن المعنيات بها، واجتهاداً في الترتيب.

ومن المعلوم: أنه قد وقع اختلاف كثير في ترتيب المصاحف، حتى اصطلاح الناس على مصحف عثمان، وقد روي: أنهم حين جمع القرآن فقدوا آية من سورة الاحزاب، فوجدوها عند خزيمة بن ثابت<sup>٢</sup>.

ومن الممكن أن يكونوا قد وضعوا آية التطهير في سياق مخاطبة النساء؛ لبعض

(١) راجع: الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (مطبع مع الفصول المهمة): ٢١٣ و ٢١٤ و راجع: الصراط المستقيم ١: ١٨٥ و راجع أيضاً الميزان (تفسير): ١٦: ٣١٢ و راجع: الأصول العامة للفقه المقارن: ١٥٨.

(٢) راجع: احقاق الحق للستري ٢: ٥٧٠ والبحار ٣٥: ٢٣٤ و راجع أيضاً: الميزان (تفسير): ١٦: ٢٣٤ ولكن كلامه مطلق هنا.

مصالحهم الدينورية. وقد ظهر من الأخبار عدم ارتباطها بقصتهن، فالاعتماد في هذا الباب على النظم والترتيب في غاية البطلان<sup>١</sup>.

ويؤيده: أن آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، على انسجامها واتصالها، لو قدّر ارتفاع آية التطهير من بين جملها، أضف إلى ذلك وجود أخبار تدل على سقوط آيات كثيرة، حتى من سورة الاحزاب مورد البحث، فلعله قد سقط مما قبل الآية وبعدها آيات لو ثبتت لم يفت الربط الظاهري بينها<sup>٢</sup>.

ونقول:

إننا وإن كنا نوافق على أن القرآن ليس مرتباً على حسب النزول. إلا أننا لانستطيع قبول سائر ماذكروه هنا. وذلك للأسباب التالية:

١- إن ما دل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان هو يعين مواضع الآيات، لا يدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد تصرف حتى في أجزاء الآية الواحدة، كما هو الحال هنا؛ لأن آية التطهير جزء من آية، وليست آية مستقلة. ومن البعيد أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد لفق بين جزء آية وجزء آية أخرى. ولم ينتقل نظير ذلك إلينا ولا ادعاه أحد. ومجرد الاحتمال لا يكفي.

٢- ما ذكره من أن من الممكن أن يكون التحريف قد نال القرآن بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا يصح، فإن سور القرآن وآياته قد كانت معروفة بأسمائها ومحفوظة ومكتوبة لدى عشرات من الصحابة منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي كان قد وظف كتاباً يكتبون القرآن، ويعملون على حفظه وضبطه بأشراف مباشر منه صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- إن تصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن إن كان بالشكل الذي يوجب حجب دلالة الآية على معناها المقصود فهو غير معقول، لأن ذلك بذاته يكون تحريفاً للقرآن وتضييعاً للحق، ويجعل الناس معذورين على المخالفة، ويكون لهم الحجة بعد الرسل.

وإن كان لم يوجب ذلك، فلا يبقى مجال ولا مبرر للتصرف المذكور، ولا يصح ما قصد



إليه من صيانة القرآن من التحريف. ويبقى المحذور الكبير المقتضي للتحريف قائماً بالفعل.

٤- إن ذلك لو سلم، فهو يعني أن لا يصرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الكساء باختصاص الآية بأهل الكساء، مع إصراره صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من مرة - على الظاهر - على خروج نسائه عن مفاد الآية الشريفة.

٥- لقد أثبتنا في كتابنا حقائق هامة حول القرآن الكريم - بصورة قاطعة - أن القرآن سليم عن أي تحريف أو تبديل فيه من قبل الحكام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحديثاً أيضاً عن ترتيب القرآن ونزوله. وغير ذلك من بحوث فليراجعه من أراد.

### في نطاق الدلالة والاستدلال أيضاً:

متى نزلت آية التطهير:

قد يقال: إن الروايات المتقدمة، الدالة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقي أشهراً، وفي بعضها بقي إلى أن توفي يأتي في كل يوم، أو عند كل صلاة إلى بيت فاطمة ويقول: الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً - قد يقال -: إن ذلك يدل على تأخر قضية الكساء، ومن ثم على تأخر نزول آية التطهير، إلى أواخر حياته صلى الله عليه وآله وسلم.

مع العلم أن آيات خطاب النساء في سورة الاحزاب قد نزلت قبل ذلك بسنوات، وذلك حينما طلبت منه عائشة أموالاً؛ فنزلت آية التخيير، التي هي أول آيات خطاب النساء في هذه السورة.

ونقول:

إن ذلك وإن كان يقوّي من احتمال تأخر نزول الآية، ولكنه لا يكفي للاعتماد عليه في مجال الاستدلال، غير أن مما لا شك فيه: أن حديث الكساء قد كان بعد ولادة الحسين عليهما السلام بمدة.

والذي يظهر لنا، بعد ملاحظة انسجام الآيات مع آية التطهير، وملاحظة كون آية التطهير جزءاً من آية.. وكذلك مانراه من أن حديث الكساء الثابت بصورة قاطعة يدل على أن فقرات التطهير قد نزلت منفصلة عن بقية فقرات الآية، التي هي جزء منها.

ثم بملاحظة: ما روي من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بقي أربعين صباحاً يأتي إلى باب علي بعد ما دخل بفاطمة، فيقول: السلام عليكم أهل البيت، ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً<sup>(١)</sup>. نعم.. إننا بملاحظة ذلك كله نظمنا إلى: أن آية التطهير قد نزلت في وقت متقدم في أوائل الهجرة، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية، ويطبقها على من كان موجوداً من أهل البيت آنئذ.

ثم لما ولد الحسنان عليهما السلام صار يجمعهم تحت الكساء، ويقرأ الآية، والظاهر: أن ذلك قد تكرر منه صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من مرة.

ومن الممكن أن تكون هذه الآية قد نزلت أكثر من مرة، كانت أولها في أوائل الهجرة.

ثم نزلت مرة أخرى حينما جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته تحت الكساء، فبلغه جبرئيل الآية، ولعل ذلك قد تكرر أيضاً. وقد كان جبرئيل يأتيه بالآية في كل مورد، ويأمره بتلاوتها، بهدف التعريف بـ «أهل البيت» المقصودين فيها، حتى لا يبقى عذر لمعتذر.

ولعله صلى الله عليه وآله وسلم قد عادَ وكرّر المجيء إلى بيت فاطمة عند كل صلاة، أو في كل غداة. وكان يستمر في كل واحدة مدة. ثم في المرة الأخيرة استمر على ذلك حتى توفاه الله تعالى.. كل ذلك بهدف إزاحة أية علة، وإبعاد أية شبهة، ولأجل ذلك اضطرّ حتى من عُرف بانحرافه عن علي وأهل بيته إلى أن يعترف بصحة هذا الحديث الذي أجمع عليه المفسرون وغيرهم.

الآية بنفسها تخرج الزوجات عن مدلولها:

قال بعض العلماء: «هل المراد من إذهاب الرجس عن أهل البيت هو دفع الرجس أو رفعه؟ فإن كان الأول؛ فالزوجات خارجات عن حكم الآية؛ فإن أكثرهن -إن لم يكن كلهن- كنّ في الرجس قبل الاسلام.

وإن كان الثاني، فلا محيص من القول بخروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن

(١) راجع مصادر ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب، حين الحديث حول مرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بيت فاطمة وقرائته الآية.

حكم الآية؛ فإنه لم يكن فيه رجس أصلاً، لا قبل البعثة، ولا بعدها؛ باتفاق الأمة الإسلامية قاطبة.

مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داخل في حكم الآية قطعاً بالاتفاق، فلا يمكن القول بخروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حكمها.  
فثبت الأول، وانتفى الثاني، وخرجت الزوجات عن حكم الآية قطعاً انتهى.  
فلسفة الدخول تحت الكساء:

قال الامام السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله تعالى:

«ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزاً لهم عن سائر الأبناء، والأنفس، والنساء. فلما انفردوا تحته عن كافة أسرته، واحتجبوا به عن بقية أمته، بلغهم الآية، وهم على تلك الحال، حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم أحد من الصحابة والآل، فقال مخاطباً لهم، وهم معه في معزل عن كافة الناس: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً﴾<sup>١</sup>.

وكلامه هذا رحمه الله تعالى، هو الحق الذي لا محيص عنه، ولا مَقَرَّ ولا مهرب منه، وليس ما قاله الدهلوي الرجل المعروف بتعصبه، الذي عكس الأمر، وحاول التمويه والتشويه، حين قال: «إنما يدل التخصيص بالكساء على كون هؤلاء المذكورين، مخصصين، إذالم يكن لهذا التخصيص فائدة أخرى ظاهرة. وهي هنا دفع مظنة عدم كون هؤلاء الأشخاص في أهل البيت، نظراً إلى أن المخاطب فيها هن الأزواج فقط»<sup>٢</sup>.

ونقول: إن هذا الكلام لا يصح، وذلك لما يلي:

١- قد عرفنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أخرج أم سلمة، وعائشة، وزينب عن أن يكنَّ في جملة أهل البيت.

٢- قد عرفنا: أن صدق عبارة «أهل البيت» على الزوجات غير واضح، بل لقد أنكره بعض أئمة اللغة، وأنكره زيد بن أرقم، ويستفاد ذلك أيضاً من استفهام بعض الزوجات وسؤالهن الرسول عن ذلك.

(١) تعليقات السيد محمد علي القاضي الطباطبائي على جوامع الجامع هامش: ٣٧٢ على ذلك الكتاب.

(٢) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (مطبوع مع الفصول المهمة): ٢٥٥ وراجع الأصول العامة للغة. المقارن:

(٣) مختصر التحفة الإني عشرية: ١٥٢.

٣- لماذا حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ادخال خصوص أصحاب الكساء في أهل بيته، ولم يدخل العباس، ولا عقيلاً؟ ولا أولادهما، ولا غيرهم من أقاربه؟  
٤- هذا كله عدا عن أن إرادة الزوجات من آية التطهير، وخطابهن بها، لا يناسب سياقها، حسبما قدمناه مشروحاً.

إلى غير ذلك مما تقدم وسيأتي مما يوضح بصورة قاطعة: أن كلام الدهلوي ماهو إلا مكابرة فاشلة، لا تستند إلى أساس علمي صالح. فكلام الامام شرف الدين هو الأولي، والأعلى.

### لو كانت الآية في الزوجات!!

ومما يوضح هذه ثانية ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «لو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبين من أهل بيته، لا دعاها آل عباس، وآل عقيل، وآل فلان، وآل فلان، ولكن الله أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الخ». وهناك قضية ذكرها لي علامة جليل كانت قد جرت للعلامة الأميني رحمه الله تعالى. وهي باختصار: أنه اجتمع مع بعض العلماء. فبادره ذلك العالم بسؤال عن آية التطهير، في من نزلت؟ أفي زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أم في غيرهن؟ فأجابه العلامة الأميني، بسؤال مفاده:

أنه لو كانت آية التطهير قد نزلت في الزوجات، ولهن فيها أدنى نصيب، فهل ترى أن أم المؤمنين عائشة تترك هذا الأمر، فلا تكتبه على جبهة جملها «عسكر» الذي ركبته في حرب الجمل، حيث كانت تحرض الناس على القتال ضد علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام؟!

فأجاب ذلك السائل بالإيجاب، والملفت للنظر هنا: أن أكثر من واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صرحت بنزول الآية في أصحاب الكساء، بل جاء التصريح عنهن بإخراج عدد منهن، ولم تدع واحدة منهن دخولها بخصوصها ولا دخول سائر الزوجات في مفاد الآية، ولا في حديث الكساء.

## أم سلمة تواجه التزوير الإعلامي:

وحين أخبر شهر بن حوشب أم سلمة عن النشاط الواسع، الذي كان يقوم به الاخطبوط الأموي، ومبغضو علي عليه السلام وأهل البيت ضده وضدهم، نجدها قد تصدّت رحمها الله تعالى، للدفاع عن الحق، بإيمان وإخلاص وقررت: دخول علي وأهل البيت في مفاد آية التطهير وخروج النساء عن مفادها.

مع أن البعض قد يجد فيما ذكرته رحمها الله ما يوجب الانتقاص لها، والتقليل من احترامها، ولكنها رحمها الله لم تكن لتعبأ بهذه الأحكام الجائرة.

قال لها شهر بن حوشب: يا أم المؤمنين، إن أناساً من قِبَلِنَا قد قالوا في هذه الآية (أشياء).

قالت: وما هي؟

قال: ذكروا هذه الآية: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً، فقال بعضهم: في نسائه، وقال بعضهم: في أهل بيته.

قالت: يا شهر بن حوشب، والله لقد نزلت هذه الآية في بيتي هذا، وفي مسجدي هذا. أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، حتى جلس معي في مسجدي هذا، على مصلاي هذا..

ثم ذكرت حديث الكساء، ونزول آية التطهير، وأنها طلبت أن تُدْخِلَ رأسها معهم، فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سلمة، إنك على خير<sup>١</sup>. عائشة تؤكد ذلك أيضاً:

روى البيهقي وغيره: سئِلَت عائشة رضي الله عنها عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالت:

وما عسيت أن أقول فيه، وهو أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جمع شملته على علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال:

هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

قيل لها: فكيف سرت إليه؟!  
قالت: أنا نادمة، وكان ذلك قدراً مقدوراً<sup>١</sup>.

رأي ونقد:

## تعليلات وتوجيهات لاتصح

بداية:

ينظر إلى الدليل الضعيف من زاويتين.  
إحداهما: من حيث منشأ الضعف، حيث يكون سبب ذلك - أحياناً - قصورٌ وتقصيرٌ من المستدل، إذا كان قليل البضاعة في العلم، أو يعاني من محدودية أو قصور في الفهم، أو من قلة التتبع، فيما يطلب فيه التتبع والاستقصاء، وما إلى ذلك.  
وقد يكون الضعف ناشئاً عن سوء نيّة، وخبت طويّة، إذا كان يريد أن يظهر خصومة في الفكر بصفة من يتشبث بالطحلب، وبما هو أوهى من خيط العنكبوت، فينحلهم أدلة واهية وزائفة، كيداً منه لهم، وبغياً منه عليهم.  
وقد يكون هدفه من هذا الاستدلال، أو التعليل الذي ينحلهم إياه أن يلزمهم بما لا يلتزمون به، ولا يقبلونه، ولا ينسجم مع أصول تفكيرهم واعتقاداتهم.  
الثانية: من حيث الأثر، إذا كان الاستدلال الضعيف والسخيف، سبباً في أن يفقد الانسان الغافل ثقته برصيده العلمي، فيتركه جانباً لبدأ البحث عن البديل. ويقع في التيه، فيأتي المترصدون له، بصورة المنقذ والمخلص، فيدخلونه في ظلماتهم، ويغرقونه في بحور ترهاتهم وجهالاتهم، ويرهقونه بأضاليلهم وأقاويلهم. ومن أين له الخلاص والمناص؟ وكيف؟ وأتى؟  
من أجل ذلك، كان اللازم التصدي لكشف الحق وفضح الباطل؛ ليحق الله الحق بكلماته.

﴿بل نقذف بالحق على الباطل، فيدمغه، فإذا هو زاق ولكن الويل مما تصفون﴾<sup>٢</sup>.

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي ١: ٤٨١ وراجع: شواهد التنزيل ٢: ٣٨/٣٩ وتفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٦ ومجمع البيان ٨: ٣٥٧ وراجع: البحار ٣٥: ٢٢٣ عن الطرائف: ٣٠. (٢) الأنبياء: ١٨.

ونذكر هنا نماذج لبعض الاستدلالات والتعليقات الضعيفة، التي لم يلتفت إليها، ولا اهتم بها علماؤنا الأبرار، لأنهم أدركوا ما ترمي إليه، فنقول:

### الأول - القرابة:

لقد علل البعض دخول علي وفاطمة والحسين صلوات الله عليهم في أهل البيت بكونهم قرابته صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته في النسب. ثم جعل الروايات المتقدمة، المصرحة بكونهم عليهم السلام هم أهل البيت، وهم سبب نزول آية التطهير مؤيدة لذلك<sup>١</sup>. ونقول:

١- لو كانت القرابة النسبية هي السبب، فقد كان اللازم أن يدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس فيهم لأن العم أقرب من ابن العم الذي هو علي عليه السلام. كما أن عقيلاً وأبناء العباس، وجعفرأ في قرابتهم للنبي هم وعلي عليه السلام في رتبة واحدة، فلماذا أدخله عليه السلام دونهم؟!<sup>٢</sup>

٢- لو كانت القرابة النسبية هي المعيار، فهل يمكن اعتبار الفسقة، والمشركين، ممن ينتسبون إلى هاشم من أهل البيت أيضاً؟! وقد كان منهم من تأخر إسلامه إلى عام الفتح، مثل عتبة ومُعتب ابني أبي لهب لعنه الله تعالى.

### الثاني - العشرة:

لقد علل البعض دخول علي عليه السلام في أهل الكساء، بمعاشرته لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ملازمته ومعاشرته له صلى الله عليه وآله وسلم<sup>٣</sup>. ونقول:

١- لاندري متى أصبحت المعاشرة بمجردها سبباً لاستحقاق هذا الوسام العظيم، الذي هو أسمى الأماني، وغاية الطموحات.

(١) راجع: فتح القدير ٤: ٢٨٠.

(٢) راجع: إسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار): ١٠٨ عن القسطلاني على البخاري، نقلاً عن الخطيب، والرازي. والتفسير الكبير ٢٥: ٢٠٩ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ٢٢: ١٠.

٢- لقد نصت الروايات التي ذكرناها في فصل سابق على خروج زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع أن عشرتهن له صلى الله عليه وآله وسلم، وكونهن دائماً الحضور في بيته مما لا يرتاب فيه أحد. وقد جاء في القرآن: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾<sup>١</sup>.

والحقيقة: هي أن الهدف من طرح أمثال هذه الدعاوى: القرابة، والعشرة وما إلى ذلك، هو صرف النظر عن حقيقة امتياز هؤلاء الصفوة عن كل من عداهم، في الفضائل وخصال الخير، وفي كل ما هو جميل ونبييل.

### الثالث: إطلاقات كلمة «أهل البيت»:

قال الهيثمي حول كلمة «أهل البيت»: «إن له اطلاقين، إطلاق بالمعنى الأعم، وهو مايشمل جميع آل تارة، والزوجات أخرى. ومن صدق في محبته وولائه أخرى». وإطلاق بالمعنى الأخص، وهم من ذكروا في خبر مسلم<sup>٢</sup>. والمقصود بمن ذكروا في خبر مسلم: أصحاب الكساء. ونقول:

إن ذلك موضع تأمل وذلك لما يلي:

١- إن إطلاق عبارة: «أهل البيت» على الزوجات لم تعلم صحته، إلا بضرب من التجوُّز والمسامحة، وقد ذكرنا فيما سبق إنكار غير واحد من علماء اللغة لذلك، أو تشكيكهم فيه.

٢- إن وجود اطلاقات عديدة للفظ إنما، لا تهمُّنا هنا بل لا يهمُّنا أيضاً صحة إطلاق كلمة «أهل البيت» على الزوجات أو عدم صحته، وإنما الذي يهمُّنا هو تحديد المراد من هذه العبارة في خصوص هذه الآية. وقد قلنا: إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أعرف بمرامي القرآن ومعانيه من كل أحد، وذلك بتوفيق من الله سبحانه قد حدد ذلك. وأوضح بأن المراد به خصوص أهل الكساء عليهم السلام، وصرح بخروج كل



من عداهم، وخصوصاً الزوجات، وقرّر صلى الله عليه وآله وسلم أنهم من أهله، لا من أهل بيته.

٣- إن ما تقدّم من سؤال أم سلمة وغيرها عن كونها من أهل البيت يدل على عدم صحة إطلاق هذه الكلمة على الزوجات، وإلاّ فما معنى سؤالها عن ذلك، مع كونها من أهل اللسان؟!

وقد روى وإثالة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أول من يلحقني من أهل بيتي أنت يا فاطمة وأول من يلحقني من أزواجي زينب<sup>١</sup> فهذا التفصيل يدل على وجود فرق بين التعبيرين، وذلك ظاهر.

٤- إن كلام البعض يدور حول أمر اعتبروه مفروغاً عنه، وهو: أن المراد بـ«البيت» في عبارة «أهل البيت» في الآية هو بيت السكنى، المبني بالحجر والطين، وتكون الالف واللام للجنس، أو بيت النسب مع أن المراد به هو بيت النبوة والرسالة كما هو الأظهر والأرجح مع احتمال أن تكون الالف واللام للعهد الخارجي ويكون المقصود هو خصوص البيت الذي اجتمع فيه أهل الكساء.

ومن الواضح: بناء على الاحتمال الأقوى والأرجح أن صيرورة إنسان ما جزءاً من بيت النبوة منوط بحصول كمال الأهلية والاستعداد له لنيل هذا المقام السامي. وإلاّ.. فإنّ أبا لهب، لا يمكن أن يكون من بيت النبوة، وكذلك الحال بالنسبة لولديه عتبة ومعتب، الذين أسلموا بعد نزول آية التطهير بزمان - والله تعالى هو الذي يعرف أولئك الذين حصلوا على الكمالات التي تؤهلهم لهذا المقام. فيخبر عنهم نبيه الأكرم، ويعينهم صلى الله عليه وآله وسلم لنا - من خلال حديث الكساء، وغيره من النصوص الثابتة عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

#### الرابع: التوجيه غير الوجيه:

والملاحظة الأخرى التي سجلها بعض الكتاب هنا هي: أن حديث أم سلمة، وأبي سعيد يصطدم بحقيقة: كون آية التطهير ليست آية مستقلة، وإنما هي جزء من آية،

(١) مجمع البيان ٣: ٣٥٦ ومختصر التحفة الاثني عشرية: ١٥٢ عن عبد الله المشهدي.

فكيف يمكن أن يكون جزء الآية نازلاً في أمر ومناسبة، والجزء الآخر ليس ناظراً إلى ذلك الأمر، ولا يتعرض إلى تلك المناسبة؟<sup>١</sup>

ثم قال: «ومن الحق أن يقال: إن هذا الشمول يعني (لأهل الكساء) أو الحصر لا يكون مستقيماً إذا أريد الاستناد فيه إلى هذه الجملة القرآنية، وسياقها، وظروف نزولها.

وكل ما يسوغ قوله: إن الأحايث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم - إذا صحت - قد قصدت تعميم مدلول الجملة القرآنية لتشمل الأربعة المطهرين: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، بالإضافة إلى نساء النبي.<sup>٢</sup>

ونقول:

إننا نسجل هنا ما يلي:

١- إنه لا ريب في وجود الجمل الاعتراضية في القرآن، ووجود الالتفات أيضاً فيه، مع كون هذا الالتفات إنما يهدف لبيان شيء مرتبط بنفس الموضوع الذي تعالجه سائر فقرات الآية، السابقة واللاحقة، فمع هذا الوجه لا يبقى وقع لملاحظته بخصوص كون آية التطهير ليست آية برأسها، وإنما هي جزء من آية.

٢- كما أننا قد ذكرنا، أن سياق الآيات إنما هو في الحديث مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان كرامة أهل بيته. وقد خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزوجات بتلك الأوامر والزواجر، أو أن الخطاب الإلهي قد التفت إلى الزوجات، وخاطبهن بماله مدخلية في هذا التعظيم والتكريم لمقام النبوة الأقدس، ثم عاد ليتم الكلام فيما كان بداهة أولاً، الأمر الذي يعني - على كلا التقديرين - أنه لا توجد آية مخالفة للسياق، حسبما تقدم توضيحه، ولا يلزم من حصر المقصود بـ «أهل البيت» في أصحاب الكساء أي محذور، لا من حيث مخالفة السياق، ولا من حيث ظروف نزول الآية.

٣- إن كلام هذا الرجل يوحى بوجود شك في صحة حديث الكساء. مع أنه قد تقدم: أنه وارد في الصحاح، وغيرها من أمهات الكتب، وأنه من المتواترات. فإذا جاز أن يتطرق الشك إلى هذا الحديث. فأي حديث يمكن الاعتماد عليه بعد هذا؟

٤- إن القرآن إن كان دالاً على ما يريد به صلى الله عليه وآله وسلم ويئنه من (أهل البيت)، لم

(١) راجع: التفسير الحديث ٨: ٢٦٣ وقد أوضحنا مراده على النحو الذي تراه.

(٢) المصدر السابق وراجع: نوارد الأصول: ٢٦٦.

يكن معنى لهذا التوجيه الذي جاء به هذا الرجل، وإن لم يكن دالاً. وقد أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يعمم مدلول الآية فإن ذلك غير ممكن، لأن الدلالة أمر واقعي، لا يتحقق بمجرد إرادته ومحبه من قبل الناس. إلا أن يكون المراد: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أراد توسعة الحكم القرآني، بواسطة التنزيل والمجاز فيعتبر أشخاصاً ليسوا من أهل البيت حقيقةً منهم تنزيلاً ومجازاً.

فإن كان المراد هو هذا.. فقد تقدم: أن عكس ذلك هو الصحيح، فإن كلمة (أهل البيت) لاتصدق على الزوجات إلا بضرب من المجاز والتنزيل.

٥- إن الروايات المتقدمة في الفصل الثاني من القسم الأول قد ذكرت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أراد نفي كون الزوجات من أهل البيت؛ فكان على الكاتب أن يدعي - نظراً إلى ذلك - أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أراد قلب المعاني القرآنية وعطف دلالة الآيات عن وجهتها الأصلية، لا سيما وأن محط نظر هذا الكاتب حسب تصريحه هو خصوص أحاديث أم سلمة وأبي سعيد الخدري، ومقتضى هذه الأحاديث هو ما ذكرناه لا ما ذكره.

الخامس: النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لهم بالتطهير:

قال ابن تيمية وغيره:

«إن مضمون هذا الحديث: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لهم بأن يذهب الله عنهم الرجس، ويظهرهم تطهيراً»<sup>١</sup>.

(١) قد وردت صيغة الدعاء في بعض المصادر مثل: مختصر التحفة الأثني عشرية: ١٥١، ومنهاج السنة ٣: ٤٠ والبيان ٨: ٣٠٧ وجامع البيان ٢٢: ٦ و٧ والدر المنثور ٥: ١٩٨ عن أبي جبر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، والبيهقي في سننه، وحياة الامام الحسين عليه السلام لابن عساكر (بتحقيق المحمودي): ٦٦-٦٨ وفتح القدير ٤: ٢٧٩ وتأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٧، ومجمع البيان ٨: ٣٥٦ و٣٥٧ والبرهان (تفسير) ٣: ٣٢٠ والبحار ٣٥: ٣٢٠ ومسند أحمد ٦: ٣٠٤ و٢٩٢ ونظم درر السمطين: ١٣٣ و٢٣٨ و٢٣٩ وحياة الامام الحسين عليه السلام لابن عساكر (بتحقيق المحمودي): ٦٦ وكفاية الطالب: ٣٧٢، والعمدة لابن بطريق: ٣٣ و٩٢ وتفسير القمي ٢: ١٩٣ والتفسير الحديث ٨: ٢٦١ والطرائف: ١٢٧-١٢٨ و١٢٩ وشواهد التنزيل ٢: ١٧ و٢٠ و٦٩-٦٢ و٧٤ و٧٥ و٨٠ و٨٣ و٨٤ و٩٠ وسليم بن قيس ص ١٥٠ وترجمة الامام علي عليه السلام لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ١: ١٨٤ والمناقب لابن المغازلي: ٣٠٢ و٣٠٣ والاستيعاب ٣: ٣٧ والمحاسن والمساوي ١: ٤٨١ وتهذيب التهذيب ٢: ٢٩٧ والانتقان ٢: ١٩٩ و٢٠٠ وتاريخ بغداد ١: ٢٧٨ وذكر أخبار اصبهان ١: ١٠٨ والمعجم الصغير ١: ٦٥ وأسد الغابة ٣: ٤١٣ و٤: ٢٩ والرياض النضرة ٣: ١٥٢ ونبايح المودة: ١٠٧ و١٠٨ و٢٣٠ و٢٢٨ و٢٢٩ ومشكل الآثار ١: ٣٣٤ وتفسير القرآن العظيم ٣: ٤٨٤. وغير ذلك ومرفقة الوصول: ١٠٨ و١٠٦ و

وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بعد نزول الآية بأن يكونوا من المتقين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم فأحب صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج، فهي دعوة لهم خارج التنزيل<sup>١</sup>.

وعلى حد تعبير الدهلوي: هو دليل صريح على أن نزولها كان في حق الأزواج فقط، وقد أدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء الأربعة الكرام رضي الله عنهم بدعائه المبارك في تلك الكرامة، ولو كان نزولها في حقهم لما كانت الحاجة إلى الدعاء. ولم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل تحصيل الحاصل؟.

ومن ثمة يجعل أم سلمة شريكة في هذا الدعاء، وعلم في حقها هذا الدعاء تحصيل الحاصل<sup>٢</sup>.

وعلى حد تعبير الآلوسي: لو كانت الإرادة تكوينية فلا معنى للدعاء<sup>٣</sup>.  
ونسجل هنا مايلي:

١- قوله: لو كانت الآية نازلة في أهل الكساء، لم تكن ثمة حاجة إلى دعائه صلى الله عليه وآله وسلم لهم، وكان ذلك تحصيل الحاصل لا يصح، فإن فائدة الدعاء هي استمرار هذا التطهير في المستقبل. إذن فلا ضير في أن تكون الآية قد نزلت في أهل الكساء، الذين كانوا مطهرين عن كل رجس من أول أمرهم وقد دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتستمر هذه الطهارة في المستقبل أيضاً.

ويمكن أن تكون فائدة الدعاء هي زيادة درجات الخلوص والتطهير لهم، وتعميق ذلك وترسيخه بصورة أتم وأقوى، فالدعاء، إذن، إنما هو لزيادة مراتب ودرجات ذلك. وقد تكون فائدة الدعاء مجموع الأمرين المتقدمين.

٢- قال العلامة المجلسي: «إن الآية على ما مر في بعض الروايات إنما نزلت بعد دعوة النبي لهم<sup>٤</sup>، وأن يعطيه ما وعده فيهم، وقد سأل الله أن يذهب عنهم الرجس، ويطهرهم،

١٠٥ والبداية والنهاية ٨ ٣٥ واحقاق الحق ٢: ٥٦٨ ومجمع البيان ٨ ٣٥٧.

(١) راجع: منهاج السنة ٣: ٤ وراجع: ٤: ٢٠ ونوادر الأصول: ٢٦٦ ومرقاة الوصول: ١٠٥ والجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٨٤.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية: ١٥١.

(٣) روح المعاني ٢٢: ١٨.

(٤) ويدل على ذلك عدد من النصوص، فراجع: آية التطهير في أحاديث الفريقين ١: ٤٦ و ٤٨ و ١٨٢ و ٢٢٨ و ١٠٧ و ١١٢.

لا أن يريد ذلك منهم. فلو كان المراد هذا النوع من الارادة، لكان نزول الآية في الحقيقة ردّاً لدعوته، لا إجابة لها، وبطلانه ظاهر<sup>١</sup>.

٣- بالنسبة لقول الآلوسي: لو كانت الارادة تكوينية لم يكن ثمة حاجة إلى الدعاء، نقول: لو كانت الارادة تشريعية أيضاً لم يكن ثمة حاجة إلى الدعاء أيضاً إذ لا معنى لأن يقول صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اجعل أهل بيتي مشمولين لاوامرك ونواهيك، وأبعدهم عن آثار المخالفة إذا امتثلوا أوامرك ونواهيك.

فان هذا لا يصدر ممن له أدنى مسكة، فضلاً عن أن يصدر عن عقل الكل، وإمام الكل. ٤- إن ابن تيمية الذي ذكر ماتقدم قد صحح حديث الكساء، وذكر أن مسلماً وأحمد قد روياه. ونلاحظ هنا:

أ- أن الذين ذكرهم ابن تيمية نفسه قد ذكروا: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قرأ الآية حين جمع أهل الكساء، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لهم بمضمونها. ومنهم من صرح بأن الآية قد نزلت في هذه المناسبة. وهو ما صرح به عشرات المصادر، فراجع.

ب - إن ابن تيمية نفسه قد اختار النص الذي يصرح فيه بنزول الآية في هذه المناسبة<sup>٢</sup> ولكنه حين يريد أن يعترض ويناقش؛ فإنه يسجل اعتراضه على نص آخر تخيل أنه يفيد فيما يرمي إليه من صرف أية فضيلة لهم عليهم السلام إلى أعدائهم وشائنيهم.

٥- وحتى لو كان صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا لهم بذلك ولم تنزل آية التطهير أصلاً، فإن الله سبحانه قد قال: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ فهل يُخيب الله تعالى نبيه، ويرد دعاءه؟! مع أنهم قد اعترفوا بأن دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب<sup>٣</sup>.

فإذا كان الله سبحانه قد استجاب لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقد صح: أن أصحاب الكساء قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ويكون في اختيار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا التعبير إشارة إلى ذلك كما هو ظاهر.

٦- قد ناقض الدهلوي نفسه، حيث ذكر بعد عبارته الآتفة الذكر، مايلي:

(٢) منهاج السنة ٣: ٤٠ و ٢٠.

(١) البحار ٣٥: ٢٣٤.

(٣) منهاج السنة ٤: ٢٢٠.

«.. ولكن ذهب محققوا أهل السنة إلى أن هذه الآية وإن كانت واقعة في حق الأزواج المطهرات؛ فإنه بحكم: (العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص السبب) داخل في بشارتها هذه جميع أهل البيت. وكان دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم في حق هؤلاء الأربعة نظراً إلى خصوص السبب»<sup>١</sup>.

٧- وأما قولهم إن آية التطهير صريحة في إرادة النساء، لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أحب أن يدخل أصحاب الكساء في ضمنها..

فقد تقدم: أن سياق الآيات مع أنه لا يابن عن إرادة أصحاب الكساء دون الزوجات هو الأكثر انسجاماً وملاءمة مما لو كانت الآية خطاباً للنساء، وقد شرحنا ذلك في القسم الأول من هذا الكتاب.

٨- أضف إلى ماتقدم أنه يرد هنا سؤال: لماذا أحب صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل خصوص هؤلاء الأشخاص في أهل البيت؟ فإن كان ذلك لأجل قرابتهم النسبية، فقد كان ثمة من هو أقرب من بعضهم. ومن يضارعه في القرابة - كما قدمنا - مع أننا نربأ بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون حركاته ومواقفه من منطلق العصبية إلى الرحم والنسب.

وإن كان ذلك لخصوصية في هؤلاء الذين أدخلهم تحت الكساء، فإن كانت هذه الخصوصية موجودة في النساء أيضاً، مثل «العشرة» كما ادّعوا، فقد تقدم: أنها لا توجب هذا الوسام العظيم ولا هذا التبجيل والتكريم. وإن كانت غير موجودة في نسائه صلى الله عليه وآله وسلم، كالعصمة وكونهم صفوة الخلق فإن ذلك يقتضي خروج النساء عن مفاد الآية كما هو ظاهر.

### الهيثم يخلط الغث بالسمين

قال الهيثمي: «إبتدأت بأنما المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس، الذي هو الإثم والشك فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والأحوال المذمومة»<sup>٢</sup>.

وقال أيضاً: «وحكمة ختم الآية بـ(تطهيراً)، المبالغة في وصولهم لأعلاء، وفي رفع التجوز عنه، ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير، والاعجاب، المفيد إلى أنه ليس من جنس مايتعارف ويؤلف.

ثم أكد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك كله بتكرير طلب مافي الآية لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي إلى آخر مامر. وبإدخاله نفسه معهم في العذبة لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في رواية: أنه اندرج معهم جبرئيل وميكائيل، إشارة إلى علي قدرهم. وأكد أيضاً بطلب الصلاة عليهم»<sup>١</sup>.

ثم ذكر طائفة من النصوص حول ذلك.

ونحن وإن كنا نوافقه، على ما قال، إلا أن لنا على كلامه ملاحظتين، هما:  
الأولى: حصره الرجس بالإثم والشك فيما يجب الايمان به. فإن الرجس أعم من ذلك؛ قال البروسوي: «ويطهركم من أدناس المعاصي تطهيراً بليغاً. واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير، لمزيد التنفير عنها»<sup>٢</sup>.  
وتقدم قوله صلى الله عليه وآله وسلم، استناداً إلى آية التطهير: فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب.

وقال الرازي: «ليذهب عنكم الرجس»، أي يزيل عنكم الذنوب<sup>٣</sup>.  
وعن ابن عباس: الرجس: عمل الشيطان، وماليس لله فيه رضا<sup>٤</sup>.  
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>٥</sup>.  
وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾<sup>٦</sup>.  
وقال تعالى عن الأغنياء الذين يتخلفون عن الجهاد: ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ رَجَسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾<sup>٧</sup>.  
ومايدل على ذلك كثير جداً لا مجال لاستقائه، فراجع التفاسير، وكتب الحديث والتاريخ<sup>٨</sup>.

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٣.

(٢) روح البيان ٧: ١٧١ ومرقاة الوصول: ١٠٧.

(٣) البحار ٣٥: ٢٢٤ والتفسير الكبير ٢٥: ٢٠٩.

(٤) مجمع البيان ٨: ٣٥٦.

(٥) المائدة: ٩٠.

(٦) الانعام: ١٤٥.

(٧) التوبة: ٩٥.

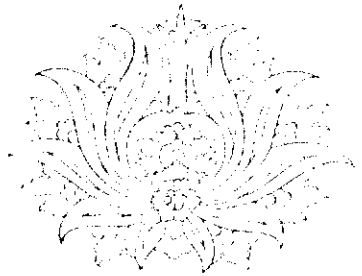
(٨) راجع: البيان ومجمع البيان، وجامع البيان، وتفسير النيسابوري بهامشه، وتنوير المقياس بهامش الدر

الثانية:

إن قوله: «ثم أكد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم..» يشير به إلى الروايات التي تقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا الله أن يذهب الرجس عن أهل الكساء، ويظهرهم تطهيراً...

والسؤال هنا هو: لماذا لم يشر أيضاً إلى أن آية التطهير قد نزلت في هذه المناسبة إجابة لدعائه صلى الله عليه وآله وسلم، وتلبية لطلبه كما نصت عليه الروايات الأكثر عدداً، ولا إلى الروايات التي تصرح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم بقي أشهراً عديدة يأتي إلى باب فاطمة كل وقت صلاة ويتلو آية التطهير. بل في بعض النصوص أنه قد استمر على ذلك إلى أن توفاه الله تعالى؟! لا ندري، ولعل الفطن الذكي يدري!!

«يتبع»





# دقائق من تفسير أهل البيت عليهم السلام

## للقرآن الكريم (١)

سماحة الشيخ محمد هادي معرفة

كان الدور الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، هو دور تربية وتعليم، وإرشاد إلى نهج دراسة هذا الكتاب العزيز الحميد، واسلوب استنباط معانيه الحكيمة.. دراسة مستوعبة وشاملة وعميقة، ومعتمدة على أصول متينة ومبانٍ رصينة، وأن في الكلام دقائق يجب التنبيه لها عند استفادة المعاني واستخراج اللثالي.. وأنَّ في التغافل عنها تغافلاً عن مقاصد جليلة وتجاهلاً عن مرام نبيلة، هي مقصودة في مراده تعالى من وراء دقائق التعبير.

ولا غرو، حيث كانوا عليهم السلام أقرب الناس إلى فهم مقاصد الشريعة وأدقهم نظراً في استنباط معاني الكتاب، لأنهم ورثته وحملته إلى الناس، وأعرفهم بمواقع التنزيل وموارد التأويل.

وفي جمّ المأثور عنهم من تفاسير، شواهد جليلة على عمق نظر وبُعد فكر وذكاء بارع لم يُحظَّ أحدٌ بمثله من السلف والخلف، بما سجّل لهم طابع المرجعية الكبرى في عامة شؤون الدين ومنها تبين معاني القرآن الحكيم وتفسير ظاهره وباطنه.

### ١- تفسير الظاهر

وليُعلم أن ما أثر عنهم بشأن تبين معاني الكتاب، نوعان:

١- تفسير لظاهر التعبير.

## ٢- تبیین لباطن المراد.

والمقصود بالأول، هو شرح مقصود الكلام اعتماداً على دقائق ونكات كلامية هي ذات صلة بفهم المراد. وقد اعتمد القرآن على مثل ذلك في وفرة شاملة، فيجب رعايتها في حيلة بالغة.

وهذا ما اصطلحنا عليه بالتفسير الظاهري، حيث المعتمد هو ظاهر الكلام. أما الثاني «كشف الباطن» فهو المعنى الثانوي المقصود بالكلام في طول معناه الأولي، وربما بصورة رمزية يعرفها الراسخون في العلم. ولاستكشافها أساليب وشروط قل من تتوفر لديه، فيمن عدئ أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بما في البيت.

ولنقدم الآن نماذج من النوع الأول مما يتناسب وهذا المجال، ثم تتبعها بنماذج آخر من النوع الثاني إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ...﴾.

روى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني بإسناده عن طريق علي بن إبراهيم إلى زرارة، أنه سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: ألا تخبرني، من أين علمت وقلت إن المسح ببعض الرأس...؟

فضحك الإمام عليه السلام ثم قال: يا زرارة، قال به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل به الكتاب.. ثم فصل الكلام فيه وقال: لأن الله عز وجل يقول: «فاغسلوا وجوهكم» فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: «وأيديكم إلى المرافق».. ثم فصل بين الكلامين فقال: «وامسحوا برؤوسكم» فعرفنا حين قال: «برؤوسكم» أن المسح ببعض الرأس، لمكان الباء<sup>١</sup>. يعني أنه غير الأسلوب وزاد حرف الربط «الباء» بين الفعل ومتعلقه، مع عدم حاجة إليه في ظاهر الكلام، حيث كلا الفعلين «الغسل والمسح» متعديان بأنفسهما، يقال: مسح مسحاً كما يقال: غسله غسلًا<sup>٢</sup>.. فلا بد هناك من نكتة معنوية في هذه الزيادة غير اللازمة حسب الظاهر، إذ زيادة المباني تدل على زيادة المعاني.

وقد أشار عليه السلام إلى هذا السر الخفي بإفادة معنى التبعيض في المحل الممسوح،

(١) الكافي ٣: ٣٠ رقم ٤. والآية من سورة المائدة: ٦.

(٢) قال ابن مالك: علامة الفعل المعمد أن تصل «ها» غير مصدر به، نحو عمل.

إستنباطاً من موضع الباء هنا.. ذلك أنه لو قال: وامسحوا برؤوسكم لا تقتضى الاستيعاب كما في غسل الوجه. فقلوه: وامسحوا برؤوسكم يستدعي التكليف بالمسح مرتبطاً بالرأس، أي أن التكليف هو حصول ربط المسح بالرأس، الذي يتحقق بأول إمرار اليد المبتلة بأول جزء من أجزاء الرأس.. إذ حين وضع اليد على مقدم الرأس - مثلاً - وإمرارها، يحصل ربط المسح بالرأس، وعنده يسقط التكليف، لأنَّ المكلف به قد حصل بذلك ولا تعدّد في الامتثال، كما قرّر في الأصول.

فكانت زيادة الباء هي التي دلّتنا على هذه الدقيقة في شريعة المسح، بعد ورود القول به من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأله من استنباط رائع مستند إلى دقائق الكلام. هذا.. وغير خفي أن هذه الاستفادة الكلامية لاتعني استعمال الباء في معنى التبعض - كما وهمه البعض - بل إن بنية الكلام وتركيبه الخاص «بزيادة ما لا لزوم فيه ظاهراً» هو الذي أفاد هذا المعنى، أي كفاية مسح بعض الرأس.. فالتبعض في الممسوح مستفاد من جملة الكلام لا من خصوص الباء.. إذ ليس التبعض من معاني الباء، فلا موضع لما نازع بعضهم في كون الباء تفيد التبعض.

قال الشيخ محمد عبده: ونازع بعضهم في كون الباء تفيد التبعض، قيل مطلقاً، وقيل استقلالاً، وإنما تفيده مع معنى الإلصاق. ولا يظهر معنى كونها زائدة.

قال: والتحقيق إن معنى الباء الإلصاق لا التبعض أو الآلة، وإنما العبرة بما يفهمه العربي من: مسح بكذا أو مسح كذا.. فهو يفهم من: مسح رأس اليتيم أو على رأسه، ومسح بعنق الفرس أو ساقه أو بالركن أو الحجر، أنه أمر يده عليه، ولا يتقيد ذلك بمجموع الكف الماسح ولا بكل أجزاء الرأس أو العنق أو الساق أو الركن أو الحجر الممسوح.. فهذا ما يفهمه كل من له حظ من هذه اللغة، مما ذكر، ومن قوله تعالى: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾<sup>١</sup> - على القول الراجح المختار أن المسح باليد لا بالسيف - ومن مثل قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح  
.. وأخيراً ينتهي إلى القول: بأن ظاهر الآية الكريمة أن مسح بعض الرأس يكفي في

الامتثال، وهو ما يسمّى مسحاً في اللغة، ولا يتحقق إلا بحركة العضو الماسح ملصقاً بالممسوح، فلفظ الآية ليس من المجمل<sup>١</sup>.

وهكذا استدل الإمام عليه السلام - لعدم وجوب استيعاب الوجه واليدين في مسحات التيمّم بدخول الباء في قوله تعالى: «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه»<sup>٢</sup>. إذ لم يقل: امسحوا وجوهكم وأيديكم، لئلا يفيد الاستيعاب فيهما.

ولم يحتمل محمد بن ادريس الشافعي في آية الوضوء «وامسحوا برؤوسكم» غير هذا المعنى، أي المسح لبعض الرأس. قال: «وكان معقولاً في الآية أنّ من مسح من رأسه شيئاً فقد مسح برأسه، ولم تحتمل الآية إلا هذا، وهو أظهر معانيها.. أو مسح الرأس كله.. قال: ودلت السنة على أنّ ليس على المرء مسح رأسه كله. وإذا دلت السنة على ذلك، فمعنى الآية: أنّ من مسح شيئاً من رأسه أجزاءه...»<sup>٣</sup>.

وزاد في «الأمّ»: «إذا مسح الرّجل بأي رأسه شاء إن كان لا شعر عليه، وبأي شعر رأسه، بإصبع واحدة أو بعض إصبع أو بطن كفه، أو أمر من يمسح به أجزاءه ذلك. فكذلك إن مسح نزعتيه أو إحداهما أو بعضهما أجزاءه لأنه من رأسه»<sup>٤</sup>.

وقد بين وجه المعقولية في الآية بقوله: «لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني، فمتى أمكننا استعمالها على فرائد مضمّنة بها وجب استعمالها على ذلك، وإن كان قد يجوز وقوعها صلة للكلام وتكون ملغاة. لكن متى أمكننا استعمالها على وجه الفائدة، لم يجوز لنا إلغاؤها، ومن أجل ذلك قلنا: إنّ الباء «في الآية» للتبويض، ويدل على ذلك أنّك إذا قلت: مسحت يدي بالحائط كان معقولاً مسحها ببعضه دون جميعه، ولو قلت: مسحت الحائط كان المعقول مسحه جميعه دون بعضه، فقد وضع الفرق بين إدخال الباء وبين إسقاطها، في العرف واللغة. ثمّ أيد ذلك بما رواه عن ابراهيم<sup>٥</sup> قال: إذا مسح ببعض الرأس أجزاءه، قال: ولو كانت «امسحوا رؤوسكم» كان مسح الرأس كله، قال:

(١) تفسير المنار ٦: ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٠، والمائدة: ٦.

(٣) أحكام القرآن للشافعي، جمع وترتيب أبي بكر البيهقي صاحب السنن ١: ٤٤.

(٤) الأمّ للشافعي ١: ٤١.

(٥) هو ابراهيم بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه، كان مفتي أهل الكوفة، قال ابن حجر: كان رجلاً صالحاً فقيهاً متوقفاً قليل التكلف، مات سنة ٩٦ هـ وهو مختلف من الحجاج. تهذيب التهذيب ١: ١٧٧.

فأخبر إبراهيم أن الباء للتبويض، وقد كان أهل اللغة يقبلون القول فيها<sup>١</sup>.

قال الرازي: حجة الشافعي أنه لو قال: مسحت المنديل، فهذا لا يصدق إلا عند مسحه بالكلية، أما لو قال مسحت يدي بالمنديل، فهذا يكفي في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل<sup>٢</sup>.

وهذا الذي ذكره الشافعي، وإن كان يتوافق - في ظاهره - مع نظرة الإمام الصادق عليه السلام ولعله ناظر إليه، لكنه يختلف في مواضع:

أحدها: زعمه أن الباء استعملت - هنا - بمعنى التبويض نظير (من) التبضية، في حين أنه لم تأت الباء في اللغة للتبويض ولا شاهد عليه. واستناده إلى كلام إبراهيم التخمي غير وجيه، لأنه لم يصرح بذلك، بل إن كلامه ككلام الإمام الصادق عليه السلام يهدف إلى أن موضع الباء هنا أفاد أجزاء مسح بعض الرأس - بالبيان الذي تقدم - وهذا يعني أن الباء - في موضعها الخاص هنا - تفيد التبويض في مسح الرأس، وهذا غير كونها مستعملة في معنى التبويض، كما عرفت.

الثاني: أن التمثيل بالمنديل غير صحيح، لأن المنديل مما يمسح به وليس ممسوحاً، إذا لا يقال - في العرف واللغة - مسحت المنديل، فقولنا: مسحت يدي بالمنديل، يفيد كون اليد هي الممسوحة لا المنديل.

الثالث: أن الشافعي لم يشترط أن يكون المسح باليد، قال: فإذا رَشَّ الماء على جزء من رأسه أجزأه<sup>٣</sup>. ولا ندري كيف يكون الرش مسحاً؟! ولعله أخذ بالملاك قياساً، خروجاً عن مدلول لفظ الشرع؟

وقال الحنفية بكفاية مسح ربع الرأس من أي الأطراف، ويُشترط أن يكون بثلاث أصابع. أما المالكية والحنابلة فقد أوجبوا مسح الرأس كله، وأغفلوا موضع الباء<sup>٤</sup>. كما أن المذاهب الأربعة جميعاً أغفلوا جانب الباء في آية التيمم فأوجبوا مسح الوجه كله، وكذا مسح اليدين مع المرفقين<sup>٥</sup>.

(١) أحكام القرآن لأبي بكر الحصاص ٣٩١: ١٢ (٢) التفسير الكبير ١١: ١٦٠.

(٣) راجع الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١: ٦١-٦٠.

(٤) زعماً بأن المطلوب هو بل بعض الرأس بالماء بأي سبب كان.. حتى وإن لم يصدق عليه المسح! وهو من القياس المستنبط، وهو غير حجة عندنا بعد أن كان خروجاً عن لفظ النص الوارد في الشريعة.

(٥) راجع الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٥٦ و ٥٨ و ٦١. (٦) المصدر السابق: ١٦١.

يقول القرطبي - وهو مالكي المذهب - وأما الرأس فهو عبارة عن الجملة التي منها الوجه، فلما عَيَّن الله الوجه للغسل بقي باقيه للمسح، ولو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه، ما عليه شعر من الرأس وما فيه العينان والأنف والقم. قال: وقد أشار مالك في وجوب مسح الرأس إلى ما ذكرناه، فإنه سئل عن الذي يترك بعض رأسه في الوضوء، فقال: رأيت إن ترك غسل بعض وجهه أكان يجزئته؟ قال: وَوَضَّحَ بهذا الذي ذكرناه أَنَّ الأذنين من الرأس، وأن حكمهما حكم الرأس. وأما الباء فجعلها مؤكدة زائدة ليست لإفادة معنى في الكلام. قال: والمعنى وامسحوا رؤوسكم<sup>١</sup>.

### مسح الرجلين

من المسائل المستعصية التي شغلت فراغاً كبيراً في التفسير والأدب الرفيع، هي مسألة مسح الأرجل في الوضوء، مستفاداً من كتاب الله تعالى. فقد زعم بعضهم أَنَّ القراءة بالخفض تتوافق مع مذهب الشيعة الإمامية في وجوب المسح، والقراءة بالنصب تتوافق مع سائر المذاهب.. ولكل من الفريقين دلائل وشواهد من السنّة أو الأدب ولغة العرب، يجدها الطالب في مضائها. غير أن الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية الكريمة هو التصريح بأن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، وهكذا نزل به جبرائيل، وعمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وأولاده الأطهار عليهم السلام. وهكذا خيار الصحابة وجلّ التابعين لهم بإحسان.

فقد روى الشيخ الطوسي بإسناده الصحيح إلى سالم وغالب ابني هذيل عن أبي جعفر عليه السلام سألاه عن المسح على الرجلين، فقال: هو الذي نزل به جبرئيل عليه السلام. يعني: أن الذي يبدو من ظاهر الكتاب هو وجوب مسح الرجلين، عطفاً على الرؤوس. ولا يجوز كونه عطفاً على الوجوه والأيدي، لاستلزامه انفصال بالأجنبي. وهو لا يجوز في مثل القرآن! وهذا سواء قرء بخفض الأرجل أم بنصبها، أما على قراءة خفض

فظاهره، وقد قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة من السبعة، وشعبة أحد رواة عاصم. لكن مقتضاها المسح لبعض الأرجل كما في الرأس.

وأما على قراءة النصب فعطفاً على المحل، لأن محل «برؤوسكم» نصب مفعولاً به لامسحوا. وهو فعل متعدٍ يقتضي النصب وقد أقحمت الباء إقحاماً لحكمة إفادة التبعيض حسبما عرفت.

وقد قرأ النصب أيضاً ثلاثة من السبعة: نافع وابن عامر والكسائي. وحفص الراوي الآخر لعاصم.. وهي القراءة المسندة إلى أبي عبد الرحمن السلمي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

غير أن القراءة بالنصب تستدعي الاستيعاب<sup>١</sup>، لتعلق الفعل «امسحوا» بالممسوح بلا واسطة وحيث حُدِّدت الأرجل بالكعبين كالأيدي بالمرفقين، كان ظاهره إرادة استيعاب مابين الحذيين «من رؤوس الأصابع إلى الكعبين» الأمر الذي يؤكد صحة قراءة النصب. وهي القراءة التي جرى عليها المسلمون، وهي المختارة حسب الضوابط التي قدّمناها. وعلى أي تقدير، سواء قرئ بالخفض أم بالنصب، فهو عطف على الرؤوس، وليس عطفاً على الأيدي، فلا موجب لإرادة الغسل في الأرجل.

ومن ثمّ فظاهر الكتاب هو المسح - كما نصّ عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام - وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «مانزل القرآن إلّا بالمسح»<sup>٢</sup>. وعن ابن عباس: «إن في كتاب الله المسح، ويأبئ الناس إلّا الغسل»<sup>٣</sup>.

وهذا استنكار على الجمهور في مخالفتهم لظاهر القرآن المتوافق مع قواعد الفن في الأدب والأصول.

قال الشيخ محمد عبده: والظاهر إنه عطف على الرأس أي وامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين.

(١) أي الاستيعاب طوعاً من رؤوس الأصابع إلى الكعبين. فقد روى الكليني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفه على الأصابع فمحمها إلى الكعبين إلى ظاهر القدم.. فقلت: لو أن رجلاً قال باصبعين من أصابعه هكذا؟ قال: لا إلّا بكفه. «الكافي» ٣: ٣٠، رقم ٦.

أما ماورد من الاجتزاء بثلاثة أصابع «أن المسح على بعضها - المصدر رقم ٤» فهو ناظر إلى جانب العرض.

(٣) المصدر السابق: رقم ٧.

(٢) الوسائل ١٥: ٢٩٥، رقم ٨.

قال: اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما، فالجماهير على أن الواجب هو الغسل، والشيعة الإمامية أنه المسح. وذكر الرازي عن القفال: أن هذا قول ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام. قال: وعمدة الجمهور في هذا الباب عمل الصدر الأول وما يؤيده من الأحاديث القولية. وقد أسهب المقال ونقل عن الطبري اختياره الجمع بين الأمرين. ثم أردفه بكلام الآلوسي وتحامله على الشيعة بما يوجد مثله في كتب أهل السنة في كلام يطول وإن شئت فراجع<sup>١</sup>.

### آية القطع

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي بإسناده إلى زرقان صاحب ابن أبي دؤاد قاضي القضاة، قال: أتني بسارق إلى محضر المعتصم وقد أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع الخليفة لذلك الفقهاء وقد أحضر محمد بن علي الجواد عليه السلام فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي دؤاد: من الكرّسوع «طرف الزند» واستدلّ بآية التيمّم ووافقه قوم. وقال آخرون: من المرفق، نظراً إلى آية الوضوء. فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد مستفهماً رأيه في ذلك، فاستعفاه الإمام لكنه أصرّ على معرفة رأيه وأقسم عليه بالله أن يخبره برأيه. فقال الإمام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف. قال الخليفة: وما الحجة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السجود على سبعة أعضاء، الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرّسوع أو المرفق، لم يبق له يدّ يسجد عليها.. وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها. ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. وما كان لله لا يقطع.

(١) تفسير المنار ٦: ٢٢٧-٢٣٥.



فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف<sup>١</sup>.  
انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة التي تنبّه لها الإمام ولم يلتفت إليها سائر الفقهاء، ذلك أن اليد في آية القطع وقعت مجعلة قد أبهم المراد فيها، فلا بدّ من تبيينها إما من السنّة أو الكتاب ذاته، وقد التفت الإمام عليه السلام لوجه التبيين إلى السنّة مدعماً بنصّ الكتاب، فيبين أنّ راحة الكف هي إحدى المواضع السبعة التي يجب على المصلي أن يسجد عليها. وذلك بنص الحديث الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا كيبان الصغرى. ثم أردفه ببيان الكبرى المستفادة من الآية الكريمة الشاملة بعمومها لكل مسجد، سواء الموضع الذي يسجد فيه، أو العضو الذي يسجد عليه كل ذلك لله.. وما كان لله لا تشمله عقوبة الحد.. لأن العقوبة إنما ترجع إلى ما للعبد المذنب، ولا تعود على ما كان لله تعالى. وهو استنباط جدّ ظريف!

ومما يستغرب في المقام ما ذكره الجزيري تعليلاً لجوب القطع من مفصل الكف أي الزند، قال: لأن السرقة تقع بالكف مباشرة، والساعد والعضد يحملان الكف، والعقاب إنما يقع على العضو المباشر للجريمة، ولذلك تقطع اليمنى أولاً، لأن تناول يكون بها في غالب الأحيان<sup>٢</sup>.

قلت: هذا التعليل يقتضي وجوب القطع من مفصل الأصابع، كما عليه فقهاء الإمامية وبه رواياتهم لأن الأصابع هي التي تنوش المتاع المسروق، والكف تحمل الأصابع. وقد ذكر ابن حزم الأندلسي أن علياً عليه السلام كان يقطع الأصابع من اليد ونصف القدم من الرجل. وكان عمر يقطع كل ذلك من المفصل. وأمّا الخوارج فرأوا القطع من المرفق أو المنكب<sup>٣</sup>.

## تحريم الخمر

لم ترد آية في المنع عن شرب الخمر، بلفظ التحريم صريحاً، وإنما هو أمر بالاجتناب عنه أو مما ينبغي الانتهاء منه، مما هو ظاهر في الإرشاد إلى حكم العقل محضاً. الأمر الذي قد يوهم أنها غير محرمة في شريعة الاسلام!

(١) تفسير العياشي ١: ٣١٩، ٣٢٠. وراجع الوسائل ١٨: ٤٨٩-٤٩١ والآية من سورة المائدة: ٣٨.

(٢) المحلى ١١: ٢٥٧، رقم ٢٢٨٤.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ٥: ١٥٩.

ومن ثمَّ سأل المهديَّ العباسيَّ الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام عن ذلك، قال: هل هي محرمة في كتاب الله عزوجل؟ فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها!

فقال الإمام: بل هي محرمة في كتاب الله، يا أمير المؤمنين! قال: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله، يا أبا الحسن؟ فقال: في قول الله عزوجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>١</sup>.

قال عليه السلام: أمّا مظهر فهو الزنا المُعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية. وأمّا ما بطن فيعني مانكح الآباء، كان الناس قبل البعثة إذا كان للرجل زوجة ومات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه.

قال: وأما الإثم فإنّها الخمرة بعينها.. وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾<sup>٢</sup>.

فالتفت المهديّ إلى عليّ بن يقطين - وكان حاضر المجلس ومن وزرائه - وقال: يا عليّ، هذه والله فتوى هاشمية! فقال ابن يقطين: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يُخرج هذا العلم منكم أهل البيت، فما صبر المهديّ أن قال: صدقت يا رافضي. وكان يعرف منه الولاء لآل البيت<sup>٣</sup>.

وبهذه المقارنة الدقيقة بين آيتين قرآنتين يعرف التحريم صريحاً في كتاب الله الأمر الذي أعجب المهديّ العباسي واستعظم هذا التنبيه الدقيق والذكاء المرهف الذي حظي به البيت الهاشمي الرفيع.

وهكذا روي عن الحسن تفسير الإثم في الآية بالخمر<sup>٤</sup>.

قال العلامة المجلسي: المراد بالإثم ما يوجبه. وحاصل الاستدلال أنه تعالى حكم في تلك الآية بكون ما يوجب الإثم محرماً، وحكم في الآية الأخرى بكون الخمر والميسر مما يوجب الإثم، فثبت بمقتضاهما تحريمهما<sup>٥</sup>.

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٤: ٤١٤.

(٣) الاعراف: ٣٣.

(٤) الكافي ٦: ٤٠٦.

(٥) مرآة العقول ٢٢: ٢٦٤.

والكناية بالإثم عن الخمر، لأنها أم الخبائث ورأس كل إثم<sup>١</sup> وكان قد شاع ذلك الوقت وقبله وتعارف استعماله. أنشد الأخفش:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالمقول  
وقال آخر:

نهانا رسول الله أن نقرب الخنا وأن نشرب الإثم الذي يوجب الوزر<sup>٢</sup>  
وأيضا قال قائلهم في مجلس أبي العباس:

نُشِرِبُ الإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَاراً وَتَرَى الْمَسْكَ بَيْنَنَا مُشْتَعَاراً<sup>٣</sup>  
وقد صرح الجوهرى بوروده في اللغة، قال: وقد تسمّى الخمر إثمًا، ثم أنشد البيت الأول. وكذلك عدّها الفيروزآبادي أحد معانيه.

وأما إنكار جماعة أن يكون الإثم إسمًا للخمر، فهو إنما يعني الإطلاق الحقيقي دون المجاز والاستعارة، فكل معصية إثم، غير أن الخمر لشدة تأثيمها سميت إثمًا لإنها رأس المآثم وأصلها وأساسها، كما نبّهنا. وإلى هذا يرجع كلام ابن سيده، قال: وعندي أنه إثمًا سمّاها إثمًا لأن شربها إثم، فهو من الإطلاق الشائع الدائر على الألسن، وضعا ثانويا عرفيا بكثرة الاستعمال. نعم ليس من الوضع اللغوي الأصل.

وإلى هذا المعنى أيضاً يرجع إنكار ابن الأنباري أبي بكر النحوي أن يكون الإثم من أسماء الخمر<sup>٤</sup>، لأنكار استعماله فيها مجازاً شايعاً. قال الزبيدي: وقد أنكر ابن الأنباري تسمية الخمر إثمًا، وجعله من المجاز، وأطال في ردّ كونه حقيقة<sup>٥</sup>. قلت: وهو كذلك بالنظر إلى أصل اللغة.

وأنكره ابن العربي رأساً قال: «لا حجة فيما أنشده الأخفش، لأنه لو قال: شربت الذنب أو شربت الوزر لكان كذلك، ولم يوجب أن يكون الذنب أو الوزر اسماً من أسماء الخمر، كذلك الإثم. قال: والذي أوجب التكلم بمثل هذا الجهل باللغة وبطريق الأدلة في

(١) أخرج الكليني بإسناده إلى أبي عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الخمر رأس كل إثم» (الكافي ٦: ٤٠٣).

(٢) مجمع البيان ٤: ٤١٤. والخنا: الفحش من الكلام واستعبر لكل أمر قبيح.. وقد كُتِبَ بالإثم عن الخمر ذاتها، إذ لو كان بمعنى الوزر لم يكن يوجب الوزر، ولم يصح تعلّق الشرب به.

(٣) ذكره ابن سيده. «ابن منظور - لسان العرب». (٤) لسان العرب لابن منظور.

(٥) تاج العروس في شرح القاموس.

المعاني».

لكن الفارق أن العرب استعملت الإثم في الخمر وتعارف استعماله في عرفهم، حتى خصّ به على أثر الشيعاء أما الذنب والوزر فلم يتعارف استعمالها في ذلك، ولو تعارف لكان كذلك.

قال القرطبي في ردّه: إنّه مروي عن الحسن، وذكره الجوهري مستشهداً بما أنشده الأخفش، وهكذا أنشده الهروي في غريبه، على أن الخمر الإثم. قال: فلا يبعد أن يكون الإثم يقع على جميع المعاصي وعلى الخمر أيضاً لغة فلا تناقض<sup>١</sup>.

### قتل المؤمن تعمّداً

قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾<sup>٢</sup>.

دلّت هذه الآية على أن قاتل المؤمن مخد في النار، ولا يخلّد في النار إلا الكافر الذي يموت على كفره، لأن الإيمان مهما كان يستوجب المثوبة، ولا بد أن تكون في نهاية المطاف، على ما أسلفنا<sup>٣</sup>.

كما أنها صرّحت بأن الله قد غضب عليه ولعنه. ولا يلعن الله المؤمن إطلاقاً، كما في الحديث عن الامام أبي جعفر عليه السلام<sup>٤</sup>.

ومن ثمّ وقعت أسئلة كثيرة من أصحاب الأئمة بشأن الآية الكريمة:

روى الكليني بإسناده إلى سماعة بن مهران، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الآية، فقال: «من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمّد الذي قال الله عزوجل: ﴿وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾. قال: فالرجل يقع بينه وبين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله؟ قال: «ليس ذلك المتعمّد الذي قال الله عزوجل...»<sup>٥</sup>.

وهكذا أسئلة أخرى من عبد الله بن بكير وعبد الله بن سنان وغيرهما بهذا الشأن<sup>٥</sup>.

(٢) النساء: ٩٣.

(١) تفسير القرطبي ٧: ٢٠١.

(٣) في الجزء الثالث من التمهيد: ٤٠٨-٤٠٩. والجزء الثاني بحث المنسوخات: ٣٣٩.

(٤) في حديث طويل رواه الكليني في الكافي ٢: ٣١. والوسائل ١٩: ١٠ رقم ٢.

(٥) الكافي ٧: ٢٧٦-٢٧٥. وراجع تفسير العياشي ١: ٢٦٧ رقم ٢٣٦.

فقد بين الامام عليه السلام أن من يقتل مؤمناً لإيمانه، إنما عمد إلى محاربة الله ورسوله وابتغاء الفساد في الارض، وليس عمله لغرض شخصي يرتبط بذاته، إنما هو إرادة محق الايمان من على وجه الارض. ولا شك أنه كافر محارب لله ورسوله، ومخلّد في النار. إن مات على عقيدة الكفر - وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً.

وهكذا سار مفسروا الشيعة على هدى الأئمة في تفسير الآية<sup>١</sup>.  
أما سائر المفسرين ففسروه بقتل العمد الموجب للدية<sup>٢</sup>، ولم يبينوا وجه الخلود في النار والغضب واللعنة من الله!

### الطلاق الثلاث

مما وقع فيه الخلاف بين الفقهاء قديماً ولا يزال هي مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد. فقد ذهب فقهاء الإمامية إلى أنها طلاق واحد لعدم فصل الرجوع بينهما. أما باقي الفقهاء فأقرّوها ثلاثاً وكانت بائنة.

وقد عدّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ذلك مخالفاً للكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿فَطْلُقُوهُنَّ لَعَدَّتْهُنَّ...﴾<sup>٣</sup>. وقال: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾<sup>٤</sup>.

فقد روى عبد الله بن جعفر بإسناده إلى صفوان الجمال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن رجلاً قال له: إني طَلَقْتُ إمْرأتي ثلاثاً في مجلس؟ قال: ليس بشيء. ثم قال: أما تقرّ أكتاب الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطْلُقُوهُنَّ لَعَدَّتْهُنَّ...﴾ كل ما خالف كتاب الله والسنة فهو يردّ إلى كتاب الله والسنة<sup>٥</sup>.

وبإسناده إلى اسماعيل بن عبد الخالق. قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: طَلَّقَ عبد الله بن عمر امرأته ثلاثاً، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحدة، وردّه إلى الكتاب

(١) راجع النبيان للطوسي ٣: ٢٩٥، ومجمع البيان للطبرسي ٣: ٩٣، والصافي للكاشاني والميزان للطباطبائي ٥: ٤٢، وكنز الدقائق: للمشهدي ٢: ٥٧٦، والعياشي ١: ٣٦٧.

(٢) راجع الرازي ١٠: ٢٣٧، والقروطبي ٥: ٣٢٩، وابن كثير ٢: ٥٣٦، والمنار ٥: ٣٣٩.

(٣) الطلاق: ١.

(٤) البقرة: ٢٢٩-٢٣٠.

(٥) قرب الاسناد للحميري: ٣٠، والوسائل ١٥: ٣١٧ رقم ٢٥.

قال الشيخ: معنى قوله تعالى: ﴿فَطْلَقُوهُمْ لَعْدَتَهُمْ﴾: أن يطلقها وهي طاهر من غير جماع ويستوفى باقي الشروط<sup>٢</sup>. أي يكون الطلاق في حالة تمكنها أن تعتد بعديتها. فمعنى «لعدتهن»: لقبل عدتهن. وهكذا قرء أيضاً. قال الشيخ: ولا خلاف أنه أراد ذلك - أي تفسيراً وتوضيحاً للآية - وإن لم تصح القراءة به<sup>٣</sup>.

وفي سنن البيهقي عن ابن عمر: قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم «في قبل عدتهن». وفي رواية: «لقبل عدتهن»<sup>٤</sup>.

وفي شواذ ابن خالويه: فطلقوهن في قبل عدتهن.. عن النبي وابن عباس ومجاهد<sup>٥</sup>. قال الطبرسي: إنه تفسير للقراءة المشهورة: «فطلقوهن لعدتهن» أي عند عدتهن، ومثله قوله: «لاجليلها لوقتها» أي عند وقتها<sup>٦</sup>.

قال الزمخشري: فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، كقولك: أتيت ليلة بقيت من الشهر أي مستقبلاً لها. وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: في قبل عدتهن<sup>٧</sup>.

قال الرازي: اللام - هنا - بمنزلة «في»، نظير قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر﴾<sup>٨</sup>. والآية بهذا المعنى، لأن المعنى فطلقوهن في عدتهن، أي في الزمان الذي يصلح لعدتهن<sup>٩</sup>.

قال الزمخشري: اللام في (لأوّل الحشر) هي اللام في قوله تعالى: ﴿ياليتني قدّمت لحياتي﴾<sup>١٠</sup>، وقولك: جثته لوقت كذا. والمعنى: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر. ومعنى أول الحشر: أن هذا أول حشرهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يُضنبهم جلاء قط، وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام. أو هذا أول حشرهم<sup>١١</sup>. قال ابن المنير - في الهامش -: كأنه يريد أنها اللام التي تصحب التاريخ، كقولك: كتبت لعام كذا وشهر كذا.

(٢) تفسير البيان ١٠: ٢٩-٣٠.

(٤) السنن الكبرى ٧: ٣٢٧.

(٦) مجمع البيان ١٠: ٣٠٢-٣٠٣.

(٨) سورة الحشر: ٢.

(١٠) سورة الفجر: ٢٤.

(١) المصدر السابق: ٦٠، والوسائل رقم ٢٦.

(٣) كتاب الخلاف ٢: ٢٢٤ كتاب الطلاق (م ٢).

(٥) الشواذ لابن خالويه: ١٥٨.

(٧) الكشف ٤: ٥٥٢.

(٩) التفسير الكبير ٣٠: ٣٠.

(١١) الكشف ٤: ٤٤٩.

إذن فمعنى الآية الكريمة: فطلقوهنّ لمبدأ عدتهنّ، أي في زمان يمكن بدء العدة منه. وينقسم الطلاق - في الشريعة - إلى طلاق سنة وطلاق بدعي. والاول ما كان جامعاً للشرائط.

ففي المدخول بها: أن تكون في طهر غير مواقع فيه، فتُطْلَق تطليقة ثم تُترك حتى تنقضي عدتها، ثم يُعقد عليها وتُطْلَق ثانية على نفس الشرائط، وهكذا في الثالثة. وهذا من أحسن طلاق السنة.

ويجوز أن يراجعها زوجها في عدتها ويطأها ثم يطلقها، أو يطلقها بعد الرجوع من غير وطء. وهذا من الطلاق العدّي. وكل هذا من الطلاق السنيّ الجائز بالإتفاق.

ويقابله الطلاق البدعي، وهو الطلاق غير المستجمع للشرائط.

قال الشيخ الطوسي: الطلاق المحرّم «البدعي» هو أن يطلق مدخولاً بها، غير غائب عنها غيبة مخصوصة في حال الحيض، أو في طهر جامعها فيه، فانه لا يقع عندنا «الإمامية» والعقد ثابت بحاله. وقال جميع الفقهاء: إنه يقع وإن كان محظوراً، ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه، ومالك، والأوزاعي، والثوري، والشافعي.

وقال - أيضاً - : إذا طلقها ثلاثاً بلفظ واحد كان مبدعاً، ووقعت واحدة عند تكامل الشروط عند أكثر أصحابنا، وفيهم من قال: لا يقع شيء أصلاً. وقال الشافعي: المستحب أن يطلقها طليقة، فان طلقها ثنتين أو ثلاثاً في طهر لم يجامعها فيه، دفعةً أو متفرقة، كان ذلك مباحاً غير محظور، ووقع الطلاق. وبه قال أحمد وإسحاق وأبو ثور.

وقال قوم: إذا طلقها في طهر واحد ثنتين أو ثلاثاً، دفعةً واحدة أو متفرقة، فعل محرماً وعصى وأثم. وفي الفقهاء من قال بالحرمة إلا أنه يقع، وهم أبو حنيفة وأصحابه ومالك<sup>٥</sup>.

والخلاصة: أن الشافعي وأحمد لا يريان ذلك طلاق بدعي، فيجيزان الطلاق الثلاث بلفظ واحد وإن كان الثاني والثالث لغير عدّة، فإنه جائز ونافذ أيضاً. أما أبو حنيفة ومالك فيريانه بدعي وإثمًا، لكنه يقع نافذاً<sup>٦</sup>.

وعلى أيّ تقدير، فالمذاهب الاربعة متفقة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، قال

(١) راجع الخلاف ٢: ٢٢٤/٢ و ٢٢٦/٣.

(٢) راجع: صحيح النسائي ٦: ١١٦ الهامش.

الجزيري: فإذا طلق الرجل زوجته ثلاثاً دفعةً واحدة، بأن قال لها: أنتِ طالق ثلاثاً، لزمه مناطق به من العدد، في المذاهب الأربعة. وهو رأي الجمهور<sup>١</sup>.

وهذا من جملة الموارد التي خالف الفقهاء به صريح الكتاب، لزعم أنه وردت السنة به، إما تأويلًا لنص الآية أو نسخاً لها فيما زعموا. حاشا فقهاء الإمامية، لم يخالفوا الكتاب في شيء، كما هم عملوا بالسنة الصحيحة الواردة عن طرق أهل البيت عليهم السلام.

وقد أصرّ أئمة أهل البيت على أن مثل هذا الطلاق «ثلاثاً بلفظ واحد» مخالف لصريح الكتاب، وما كان مخالفاً للكتاب فهو باطل يجب ضربه عرض الجدار.

إذ قوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ يشمل الطلاق الثاني والطلاق الثالث، ولم يقع للعدة، حيث كانت العدة عدةً للطلقة الأولى فحسب.

قال الامام الصادق عليه السلام لابن أشيم: «إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر ولغير عدة - كما قال الله عز وجل - ثلاثاً أو واحدة فليس طلاقه بطلاق. وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً وهي على طهر من غير جماع بشاهدين عدلين فقد وقعت واحدة وبطلت الثنتان. وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً على العدة كما أمر الله عز وجل فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره»<sup>٢</sup>. إذن فالطلقة الثانية وكذا الثالثة، لم تقع للعدة حسبما ذكره الله تعالى في كتابه، ومن ثم وقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، موضع إنكار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجراءة على مخالفة صريح الكتاب.

أخرج النسائي من طريق مخرمة عن أبيه بكير بن عبد الله بن الأشج، قال: سمعت محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً. فقام غضباً، ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم! حتى قام رجل وقال: يا رسول الله، ألا أقتله؟<sup>٣</sup>

وذكر الشارح: المراد به قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ إلى قوله ﴿ولا تتخذوا آيات الله

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ٤: ٣٩١. لكن في كتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل الذي جمعه أبو داود السجستاني في صاحب السنن: ١٦٩ إن أبا داود قال: سمعت أحمد، سئل عن الرجل يطلق امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة، فلم ير ذلك. لكنه في موضع آخر (ص ١٧٣) في البكر تطلق ثلاثاً، قال: هي ثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ٦٥: ٣٩٩ رقم ٢٨.

(٣) سنن النسائي ٦: ١١٦. وراجع ابن حزم المحلى ١٠: ١٦٧.



هزوا<sup>١</sup>، فإنّ معناه: التّطليق الشرعيّ تطليقة بعد تطليقة على التّفريق دون الجمع، والإرسال مرّة واحدة. ولم يُردّ بالمرتين التّثنية. ومثله قوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾<sup>٢</sup> أي كرتة بعد كرتة، لا كرتين إثنين. ومعنى قوله: ﴿فإمساك بمعروف﴾<sup>٣</sup> تخيير لهم - بعد أن علّمهم كيف يُطلّقون - بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة «وهو الرجوع إليها» وبين أن يُسرّحوهنّ السّراح الجميل الذي علّمهم. والحكمة في التّفريق ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي قد يقبل الله تعالى قلب الزوج بعد الطلاق، من بُغضها إلى محبّتها<sup>٤</sup>.

وهكذا روى أصحاب السنن: إن ركّانة طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها وندم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر ندمه وحزنه الشديد على ذلك، فسأله رسول الله: كيف طلقته ثلاثاً؟ قال: في مجلس واحد! فقال رسول الله: انما تلك واحدة فارجمها إن شئت، فراجعها.

وفي حديث ابن عباس: إن عبد يزيد طلق زوجته وتزوج بأخرى، فأنت النبي فشكت إليه.. فقال النبي لعبد يزيد: راجعها. فقال: إنّي طلقته ثلاثاً يا رسول الله، قال: قد علمتُ، راجعها! وتلا: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾<sup>٥</sup>.

قال أبو داود: إن ركّانة طلق امرأته البتة «أي الثلاث البائن» فجعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم واحدة.

ومعنى ذلك: أن الثلاث بلفظ واحد - من غير مراجعةٍ بينهما - تكون الواحدة منهن للعدّة دون مجموع الثلاث.

فتلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآية تلميحٌ إلى عدم وقوع الثلاث جميعاً للعدّة سوى واحدة، ومن ثم كانت رجعية وليست بائنة.

ومن غريب الأمر أن جمهور الفقهاء، مع علمهم بأن الثلاث بلفظ واحد مخالف للكتاب والسنة، أما الكتاب فلما عرفت، وأما السنة فلما رواه مسلم في الصحيح بإسناده إلى ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد

(٢) الملك: ٤.

(١) البقرة: ٢٢٩-٢٣١.

(٤) سنن البيهقي ٧: ٣٣٩.

(٣) هامش النسائي ٦: ١١٦.

استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم! فأمضاه عليهم<sup>(١)</sup>. ترى الفقهاء مع علمهم بذلك، فإنهم تبعوا سنة عمر، وتركوا صريح الكتاب وسنة الرسول والصحابه المرضيين.

يقول الجزيري: إن الأئمة سلموا جميعاً بأن الحال في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك، ولم يطعن أحد منهم في حديث مسلم. وكل ما احتجوا به: أن عمل عمر وموافقة الأكثرين له مبنّي على أن الحكم كان مؤقتاً فنسخه عمر بحديث لم يذكره لنا. والدليل على ذلك الاجماع. قال: ولكن الواقع أنه لم يوجد اجماع، فقد خالفهم كثير من المسلمين. ومما لاشك فيه أن ابن عباس من المجتهدين المعول عليهم في الدين، فتقليده جائز، ولا يجب تقليد عمر فيما رآه. قال: ولعله كان تحذيراً للناس من إيقاع الطلاق على وجه مغاير للسنة، فإن السنة أن تطلق المرأة في أوقات مختلفة، فإذا تجرأ أحد على تطبيقها دفعةً واحدة فقد خالف السنة، وجزاء أن يعامل بقوله زجراً له<sup>(٢)</sup>.

وناقش ابن حزم الأندلسي فيما أخرجه النسائي عن طريق مخرمة عن أبيه بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سمع محمود بن ليبد بأن خبر محمود مرسل لا حجة فيه، وأن مخرمة لم يسمع من أبيه شيئاً.

وكذا ناقش فيما أخرجه مسلم عن طريق محمد بن رافع باسناده إلى أن عباس بجهالة ابن رافع هذا<sup>(٣)</sup>.

أما محمود بن ليبد فزعموا أنه لم تصح له رؤية ولا سماع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان طفلاً لم يبلغ الحلم يومذاك.

لكن ذكر الواقدي وغيره: أنه مات سنة ست وتسعين، وهو ابن تسع وتسعين سنة، قال ابن حجر: على هذا يكون له يوم مات النبي ثلاث عشرة سنة، وهذا يقوي قول من أثبت الصحبة، وهو قول البخاري. ومن ثم قال ابن عبد البر: قول البخاري أولى يعني في إثبات الصحبة. وهو الذي روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسرع يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا. قال الترمذي: رأى النبي وهو غلام صغير<sup>(٤)</sup>.

قلت: لا يقل هذا عن ابن عباس الذي كان يوم مات النبي ابن ثلاث عشرة سنة أيضاً

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٣.

(٢) الفقه على المذاهب ٤: ٣٤٢، ٣٤١.

(٣) المحلى ١٠: ١٦٨.

(٤) تهذيب التهذيب ١٠: ٦٦٦٥.

أما عدم سماع مخرمة من أبيه فليس يضره بعد أن كان يروي من كتاب أبيه. قال أبو طالب: سألت أحمد عنه، قال: ثقة ولم يسمع من أبيه إنما يروي من كتاب أبيه. وقال مالك: حدثني مخرمة بن بكير وكان رجلاً صالحاً. قال أبو حاتم: سألت اسماعيل بن أبي أويس، قلت: هذا الذي يقول مالك بن أنس: حدثني الثقة، من هو؟ قال: مخرمة بن بكير بن الأشج. وقال الميموني عن أحمد: أخذ مالك كتاب مخرمة فنظر فيه، فكل شيء يقول فيه: بلغني عن سليمان بن يسار، فهو من كتاب مخرمة، يعني عن أبيه عن سليمان<sup>١</sup>.

وأما المناقشة في إسناد مسلم بجهالة ابن رافع. ولا حجة في مجهول! فيدفعها أن مسلماً رواه من طريق إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع جميعاً عن عبد الرزاق.

أما محمد بن رافع فقد وثقه الأئمة كلمة واحدة. قال البخاري: حدثنا محمد بن رافع بن سabor، وكان من خيار عباد الله. وقال النسائي: حدثنا محمد بن رافع الثقة المأمون. وقال أبو زرعة: شيخ صدوق. وقال الحاكم: هو شيخ عصره بخراسان في الصدق والرحلة<sup>٢</sup>.

وهكذا إسحاق بن إبراهيم بن مخلل المعروف بابن راهويه المروزي، هو أحد الأئمة المرموقين بخراسان ممن قلَّ نظيره. قال أبو زرعة: ما روي أحفظ من إسحاق. وقال أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله. قال: لا أعرف له بالعراق نظيراً<sup>٣</sup>. فقد صحَّ قول الجزري: لم يطعن أحد في حديث مسلم. حيث كان طعن ابن حزم موهوناً إلى حد بعيد!

وبعد.. فمما يبعث على الاعتزاز، ذلك موقف فقهاء الإمامية جنباً إلى جنب من صراحة الكتاب والصحيح من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى وإن خالفهم الجمهور. وهذا من بركات تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام الثابتين على صلب الشريعة والحافظين لناموس الدين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم..



(٢) تهذيب التهذيب ٩: ١٦١.

(١) المصدر السابق: ٧٠.

(٣) المصدر ١: ٢١٧.

# ميزان التوحيد والشرك

سماحة الشيخ جعفر السبحاني

تطالع الأمة الإسلامية بين الفينة والأخرى أصوات تُكفّر صفوها وتخرم وحدتها ببدع ومختلقات باطلة، فرسانها أفراد من الغريب آتهم ينسبون أنفسهم إلى العلماء، وهم فيما يدعون أبعد ما يكونون عن جمعهم وإجماعهم، حيث تتأكد المسؤولية الإسلامية في أبرز مصاديقها، ويتحكّم منطق الأدلة من كتاب وسنة في أظهر مدلولاتها، حتى ليخشى المخلصون من أبناء هذه الأمة المفتتنة، بما يحيطها من قوى الاستكبار والكفر، أن يؤثروا بأصابع الاتهام إلى مؤامرة تحاك من وراء ستار، يُدفع في واجهتها من يصدق عليهم قول الله عزوجل في كتابه الحق: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق»<sup>١</sup>.

ومن تلك الأصوات والدعوات الغريبة ماجاء به المدعو «عبد الله الجبرين» من فتوى يُكفّر فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، ويكيل لهم سيلاً من التهم والأباطيل، مستحلاً على أساسها قتلهم وسفك دمائهم<sup>٢</sup>، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ومن دعاواه الباطلة التي استند إليها في تكفير شيعة أهل البيت عليهم السلام:

- ١- دعوى أن دعاء الصالحين عبادة لهم وشرك.
  - ٢- دعوى أن القول بعلم أئمة أهل البيت عليهم السلام بالغيب ردة وشرك.
  - ٣- دعوى طعن شيعة أهل البيت في القرآن الكريم.
  - ٤- دعوى طعن شيعة أهل البيت في أكابر الصحابة.
- وقد تفضّل سماحة الشيخ جعفر السبحاني بالإجابة عليها والردّ على ما احتوتها من شبهات:-

(١) سورة محمد: ٢٩.

(٢) نص الاستفتاء والفتوى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين حفظه الله

في الوقت الذي يتحالف فيه أعداء الإسلام الناهض، للقضاء على الصحوة الإسلامية الصاعدة ولا يشك أي ذو مسكة في ضرورة توحيد الصفوف، ورصّها للحفاظ على كيان الإسلام والمسلمين، ومواجهة المؤامرات الخطيرة... تقوم نعمة جاهلية جديدة تهدف إلى شق العصا، وتفريق الصفوف والحيلولة دون تقارب طوائف المسلمين لتحقيق الوحدة المطلوبة التي يخشاها المستعمرون، ويرهبها أعداء الإسلام من الصهاينة والصليبيين الجدد.

### وحدة الأمة أمانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكبرى

إن وحدة الكلمة كانت أمانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم العليا، فقد كان رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم يهدف دائماً إلى توحيد المسلمين ويحافظ أبداً

شرك أكبر ورده عن الإسلام يستحقون القتل عليها كما هم يغفلون في وصف علي رضي الله عنه ويصفونه بأوصاف لا تصلح إلا لله كما سمعناهم في عرفات وهم بذلك مرتدّون حيث جعلوه رباً وخالقاً ومتصرفاً في الكون ويعلم الغيب ويملك الضر والنفع ونحو ذلك كما أنهم يطعنون في القرآن الكريم. ويزعمون أن الصحابة حرقوه وحذفوا منه أشياء كثيرة تتعلق بأهل البيت وأعدائهم فلا يقتدون به ولا يرونه دليلاً. كما أنهم أيضاً يطعنون في أكاير الصحابة كالخلفاء الثلاثة وبقية العشرة، وأمّهات المؤمنين ومشاهير الصحابة كأنس وجابر وأبي هريرة ونحوهم فلا يقبلون أحاديثهم لأنهم كفار في زعمهم ولا يعملون بأحاديث الصحيحين إلا ما كان عن أهل البيت ويتعلقون بأحاديث مكذوبة ولا دليل فيها على ما يقولون ولكنهم مع ذلك يتقنون فيقولون بأنسنتهم مالميس في قلوبهم ويخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ويقولون من لا تقية له فلا دين له فلا تقبل دعواهم في الآخرة ومحبة الشرع الخ فالنفاق عقيدة عندهم كفى الله شرهم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. ١٤١٢/٢/٢٢ هـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

يوجد في بلدتنا شخص رافضي يعمل فصاب<sup>\*</sup> ويحضره أهل السنة كي يذبح ذبائحهم وكذلك هناك بعض المطاعم تتعامل مع هذا الشخص الرافضي وغيره من الرافضة الذين يعملون في نفس المهنة.. فما حكم التعامل مع هذا الرافضي وأمثاله؟ وما حكم ذبحه وهل ذبيحته حلال أم حرام؟ أفترنا مأجورين والله ولي التوفيق. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فلا يحل ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته فإن الرافضة غالباً مشركون حيث يدعون علي ابن أبي طالب دائماً في الشدة والرخاء حتى في عرفات والطواف والسعي ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مراراً وهذا

(\*) هكذا وردت في نص سؤال السائل والصحيح (فصاباً) لكونها حال. التحرير

على وحدة صفوفهم ويسعى إلى إطفاء أية نائرة أو نائرة تهدد هذه الوحدة.  
فيوم دخل شاب يهودي مجتمع الأوس والخزرج الذين جمعهم الإسلام بعد طول نزاع وتشاجر وتقاتل، وأخذ يذكرهم بما وقع بينهم في عهد الجاهلية، من قتال، فأحيى فيهم الحمية الجاهلية حتى استعدوا للنزاع والجدال، وكادت نيران الفتنة تنور من جديد بينهم بعد أن أشعلها ذلك اليهودي المتآمر، وتواثب رجلان من القبيلتين وتقاولا وتلاسنا، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال.

يا معشر المسلمين! الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله بالإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر، وألف بين قلوبكم؟<sup>١</sup>

فإذا كانت هذه هي أهمية الوحدة في الأمة الإسلامية فما جزاء من يرفع عقيرته يريد تفريق صفوف المسلمين بفتوى ظالمة بل مخالفة لنصوص الكتاب العزيز والسنة المحمدية الشريفة؟ وهو بذلك لا يخدم إلا القوى الاستعمارية الكافرة المعادية للإسلام والمسلمين إذ لا يتفهم من هذه الفتوى المفرقة غيرهم.

ما جزاء هذا المتسمي باسم أهل العلم المتصدي لمقام الدعوة والافتاء؟ ينبري في وقت أشد ما يكون فيه المسلمون إلى التأخي والتقارب وينجس ويكفر طائفة كبرى من طوائف المسلمين. فيقول: «لا يحل ذبح الرافضي» (ويقصد به شيعة الإمام علي عليه السلام من أتباع الإسلام، صلى الله عليه وآله وسلم ولا أكل ذبيحته فإن الرافضة غالباً مشركون حيث يدعون علي بن أبي طالب دائماً في الشدة والرخاء حتى في عرفات والطواف والسعي، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مراراً وهذا شرك أكبر وردة عن الإسلام يستحقون القتل عليها كما هم يغفلون في وصف علي رضي الله عنه ويصفونه بأوصاف لا تصلح إلا لله كما سمعناهم في عرفات وهم بذلك مرتدّون حيث جعلوه ربّاً وخالقاً ومتصرفاً في الكون»!!

إن هذا الرجل يتناول على شيعة أهل البيت عليهم السلام ويذلّهم بلسان حاذٍ ويتهمهم

## شبهة ورد

بالشرك والارتداد بينما هو يسكت ويخرس في قضية سلمان رشدي الذي تجرأ على رسول الله وأمهات المؤمنين وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتجاسر عليهم ومس كرامتهم، ونال من شرفهم، ولا يشير إلى ارتداد سلمان رشدي، وهو ينشر تلك الترهات والإساءات إلى المقدسات الإسلامية. وما هذا السكوت إلا لأن أسيادهم يرفضون تكفير رشدي، بينما يتكلفون خلق الشبهات الباطلة للإصاقها بشيعة أهل البيت عليهم السلام وتكفيرهم ويغمضون عيونهم عن الحقائق الناصعة التي تحكي إيمانهم الصادق بالله ورسوله وكتابه وأحكامه وإتهم صفوة الله ورسوله وأهل بيته في رفع شأن هذا الدين وحمل هموم المسلمين والدفاع عنهم والعمل على ترسيخ وحدتهم على مرّ العصور والأزمان.

كما أن الغاية من هذا التكفير هو التغطية على جريمة السماح باستيطان جنود اليهود والنصارى في أرض مكة والمدينة المقدسة، وبهذا أثبتوا صلتهم بالأجانب المستعمرين.

أجل للتغطية على هذا العار وتحريفاً لأذهان ومشاعر الشعوب الإسلامية الجريحة بسبب تدنيس الأمريكان وحلفائهم لأرض المقدسات مكة والمدينة، عمد المدعو عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين إلى تكفير الشيعة ورميهم بالشرك، ليخفي الحقيقة عن المسلمين غافلاً عن أن الشعوب الإسلامية قد أصبحت اليوم واعية تميز بين الحق والباطل ولم تعد تخفى عليها حقيقة المدعو جبرين ونظرائه من مفترقي الصفوف الإسلامية، تحت غطاء الدفاع عن التوحيد.

والأفما ذنب الشيعة إلا كونهم مواليين لأئمة أهل البيت الذين «أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». كما فرض في الكتاب مودتهم وجعلها أجراً للرسالة المحمدية.

ما ذنب الشيعة إلا كونهم أمة مقاومة للاستعمار البغيض رافضة لخططة الجهنمية، أمة مجاهدة امتزجت حياتهم بالجهاد والدفاع عن حياض الإسلام الحنيف... والنبي وآله الكرام. وهو رمز معاداة الكفر لهم.

## ما هو ميزان التوحيد والشرك؟

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكتفي في قبول الإسلام من الذين يريدون الانضواء تحت رايته بمجرد الشهادة بالوحدانية واستقبال القبلة والصلاة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم»<sup>١</sup>. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلّوا صلاتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها»<sup>٢</sup>.

بهذا كان يكتفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإطلاق وصف الاسلام على الاشخاص من دون أن ينبش في أعرافهم الاجتماعية وممارساتهم التقليدية، عند احترام شخصياتهم وتكريمهم. فما بال المدعو «الجبرين» وأضرابه يكفرون بسهولة أمة كبيرة من الموحدين المؤمنين بالرسالة المحمدية، التابعين للمعزة الطاهرة المجاهدين للكفار والمستعمرين؟ مع أنهم يشهدون بالوحدانية والرسالة والمعاد ويصلّون ويصومون ويحجّون ويَزْكُون.

وهل يحقّ لهم التكفير وقد نهاهم رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك في أكثر من حديث صحيح تنقله مصادر السنة والشيعه:

«كفّوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفّروهم بذنب فمن كفّر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب».

«من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله ومن قتل نفساً بشيء عذبه الله بما قتل».

«إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقتله ولعن المؤمن كقتله»<sup>٣</sup>.

## هل دعاء الصالحين عبادة لهم وشرك؟

يقول صاحب هذه الفتوى الظالمة الباطلة: إن الرافضة مشركون حيث يدعون علي بن

(١) جامع الأصول ١: ١٥٨.

(٢) راجع صحيح البخاري<sup>٢</sup> وصحيح مسلم<sup>٦</sup> وجامع الأصول ١: ١٥٩-١٥٨.

(٣) راجع جامع الأصول ١ و١٠ و١١ وكنز العمال للمتقي الهندي ١.



أبى طالب دائما في الشدة والرخاء.

إنه يتمسك بهذه الحجة (أي دعاء الأولياء الصالحين في الشدة والرخاء) لرمي الشيعة المسلمين المؤمنين بالكفر والشرك. وهو أكبر حججه لتكفير عامة المسلمين وليس خصوص الشيعة وهو لا يدرك أن دعاء الأولياء يقع على وجهين:

**الأول:** دعاء الولي ونداؤه بما أنه عبد صالح تستجاب دعوته عند الله إذا طلب منه تعالى شيئا، وهو شيء أباحه القرآن بل أمر به إذ قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>١</sup>.

عن يعقوب عليه السلام أنه لما طلب منه أبناؤه أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم قال: «سوف أستغفر لكم» وهو أمر جائز وجارٍ في حياة النبي وأهل بيته عليهم السلام وحال مماتهم، إذ الموت لا يغير من الأمر شيئا، كما أنه ليس دخيلا في مفهوم التوحيد والشرك، مادام الداعي يؤمن بالله الواحد ويعتبره الرب الخالق والمدبر المستقل دون سواه.

روى الطبراني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: إئت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل في ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، فتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتصبر، فقال: يا رسول الله

ليس لي قائد، فقد شق عليّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إئت الميضأة فتوضاً ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات.  
قال ابن حنيف فوالله ماتفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط<sup>١</sup>.

إن هذه الرواية ونظائرها تكشف عن أن الصحابة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوسلون به حتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم من دون أن يعتبروا ذلك محرماً بل ولا مكروهاً.

الثاني: لا شك أن دعاء النبي أو الصالح ونداءهما والتوسل بهما باعتقاد أنه إله أو رب أو خالق أو مستقل في التأثير أو مالك للشفاعة والمغفرة شرك وكفر، ولكنه لا يقوم به أي مسلم في أقطار الأرض بل ولا يخطر ببال أحد وهو يقرأ آيات الكتاب العزيز آناء الليل وأطراف النهار، ويتلو قوله سبحانه:

﴿هل من خالق غير الله..؟<sup>٢</sup>

﴿أإله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون<sup>٣</sup>.

﴿قل أغير الله أبغي رباً...؟<sup>٤</sup>

﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله<sup>٥</sup>.

إن المسلمين لا يعتقدون في النبي وأهل بيته المطهرين: (فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام) إلا كونهم عباداً صالحين مقرّبين عند الله مستجابة دعوتهم. ولا يعتقدون بغير ذلك من ربوبية أو ألوهية أو مالكية للشفاعة والمغفرة أبداً.  
ولكن القوم الذين عمدوا إلى تكفير الشيعة وغيرهم من المسلمين لم يفرّقوا بين الدعائين والندائين، فرموهما بسهم واحد.

ثم يقول المدعو جبرين: «حيث جعلوه (أي علياً) رباً وخالقاً ومتصرفاً في الكون» ويالها من كذبة وقحة، وفرية فاضحة، وتهمة للمسلمين الموحدين. فما الرب عند المسلمين شيعة وسنة وما الخالق وما المتصرف الحقيقي في الكون إلا الله سبحانه دون

(١) المعجم الكبير للحافظ الطبراني ٩: ١٦ و ١٧. (٢) فاطر: ٣٥.

(٣) النمل: ٦٣. (٤) الانعام: ١٦٤.

(٥) يونس: ٤٩.

سواء.. وهذه كتبهم ومصنفاتهم في العقائد والحديث والتفسير، فهي طافحة بالاعتراف والاقرار بوحداية الله تعالى في الذات والصفات والخالقية والتدبير والحاكمية والتشريع والطاعة، والعبودية والشفاعة والمغفرة.

وكيف ترى يحق لجبرين ونظرائه أن يكفروا المسلمين شيعة وسنة الذين يوحّدون الله، بشيء لم يعتقدوا به ولم يقولوا به؟

ولو صحّ أن دعاء أحد يستلزم القول بألوهيته أو ربوبيته وبعدّ هذا الدعاء والنداء شركاً وكفراً فكيف نادى ودعى أخوة يوسف، أخاهم يوسف وقالوا: ﴿يأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾<sup>١</sup> ولم يعتبر القرآن هذا شركاً.

فهل النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أقل شأنًا ودرجة من عزيز مصر يوسف الصديق عليه السلام؟!

وأما كون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يختلف عن العزيز بأنه ميت فهو عذر تافه وكلام باطل إذ حياة النبي وأهل بيته الشهداء في سبيل الله في البرزخ أمر مسلم، كيف والقرآن الكريم يقول: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾<sup>٢</sup> وقال: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾<sup>٣</sup>. مع العلم أن الشهداء يأتون في المرتبة الثالثة في قوله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾<sup>٤</sup>.

لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميتاً فما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله عز وجل عليّ رuchi حتى أردّ عليه السلام»<sup>٥</sup>. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: صلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»<sup>٦</sup>.

إن النبي الأكرم، والائمة الطاهرين من أهل بيته الذين يشاركونه في الطهر والقداسة لآية التطهير والمباهلة والمودة، والذين قُتلوا في سبيل الله ودفاعاً عن حياض الشريعة

(٢) آل عمران : ١٦٩.

(٤) النساء : ٦٩.

(٥) سنن أبي داود / ٢: ٢١٨ وكنز العمال / ١٠: ٣٨١ وغيرهما: من كتب الحديث.

(٦) نفس المصدر.

المحمدية المقدسة، متمثلون في الحياة بعد الموت، فكيف يكون نداؤهم ودعاؤهم دعاء للميت الذي لا يسمع؟

### العلم بالغيب على نوعين:

ويقول جبرين في فتواه: «وجعلوه (يعني علياً) يعلم الغيب».

إن صاحب هذه الفتوى الباطلة جاهل حتى باللغة العربية والمصطلح الديني، فإن العلم بالغيب في الكتاب العزيز هو العلم النابع من الذات. (أي من ذات العالم) غير المكتسب من آخر وهذا يختص بالله الواحد الأحد، وإليه يشير قوله سبحانه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>١</sup>، وأما الإخبار بالغيب بتعليم من الله فالكتاب العزيز والسنة الشريفة مليئان منه.

فهذه سورة يوسف تخبرنا بأن يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام قد أخبرا عن حوادث مستقبلية كثيرة.. أي أخبرا بالغيب.

١- لما أخبر يوسف والده بأنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له، قال يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾<sup>٢</sup> وبذلك أخبر ضمناً عن مستقبله المشرق الذي لو عرف به إخوته لثارت عليه حفائظهم.

٢- لما أخبر صاحباً يوسف في السجن يوسف برؤياهما قال عليه السلام لمن أخبره بأنه يعصر خمراً: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ وقال للثاني: الذي قال أنه رأى يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه - ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾<sup>٣</sup>.

٣- لما فصلت المير قال أبوه «يعقوب»: ﴿أَنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُون﴾<sup>٤</sup>

٤- قال النبي عيسى عليه السلام لقومه في معرض بيان معاجزه وبيئاته: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَذَخَّرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾<sup>٥</sup>.

أليست كل هذه إخبارات بالغيب، ومغيبات أنبأ بها الرسل؟

وإذا هي ثبتت للرسل جاز نسبتها إلى العترة الطاهرة لما لهم من المنزلة والمكانة

(٢) سورة يوسف : ٥٠

(٤) سورة يوسف : ٩٤

(١) النمل : ٦٥

(٣) سورة يوسف : ٤١

(٥) آل عمران : ٤٩

العليا، وهل علي عليه السلام أقل شأنًا من هارون عليه السلام وقد قال النبي في شأنه «يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>١</sup> الذي يعني أنه له مال الرسول إلا أنه ليس نبياً، لختم النبوة برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

كيف لا، وعلي عليه السلام وارث علم رسول الله باجماع الأمة الإسلامية، وهل علي عليه السلام أقل من كعب الأحمار الذي أخبر الخليفة الثاني بأنه سيموت بعد ثلاثة أيام وتحققت هذه النبوءة فعلاً<sup>٢</sup>.

وهلا علم «جبرين» ما أخرجه قومه في أئمتهم من العلم بالغيب ففي مسند أحمد (١): ٤٨ و (٥١): أن عمر بن الخطاب أخبر بموته بسبب رؤيا رآها وكان بين رؤياه وبين يوم مصرعه اسبوع واحد<sup>٣</sup> ؟

### الشيعة وصيانة القرآن عن التحريف

ويقول جبرين في فتواه الجائرة على شيعة أهل البيت: «كما أنهم يطعنون في القرآن الكريم...»

إن الشيعة أيها الشيخ لا يطعنون في القرآن ولا يقولون بوقوع التحريف فيه.. ولكن غيرهم قال بهذا، راجع تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤: ١١٣: «كانت هذه السورة (أي سورة الأحزاب) تعدل سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم» الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم». ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب..

ثم قال: وقد حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا ابن أبي مريم عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة، قالت: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائتي آية، فلما كتبت المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن<sup>٤</sup>.

وروي أيضا عن أبي بن كعب قوله: «فوالذي يحلف به أبي بن كعب إنها كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم:» الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة

(١) جامع الاصول ٨: ٦٥٠.

(٣) مسند أحمد ١: ٤٨ و ٥١.

(٢) الرياض النضرة ٢: ٧٥.

(٤) تفسير الجامع ١٤: ١١٣.

نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴿١﴾.

وفي موطأ مالك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتهما: ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾ فإننا قد قرأناها.<sup>١</sup>  
إذن فأين ذهبت هذه الآية؟

وجاء في صحيح البخاري: قال عمر بن الخطاب:..... ثم إننا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرأ بكم أن ترغبوا عن آبائكم.<sup>٢</sup>

فهذا هو الخليفة يصرح بسقوط أي من القرآن الحكيم.  
أما ما يقوله الشيعة حول القرآن الكريم فأليك طائفة من أقوال أبرز شخصياتهم القدامى والمتأخرين نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

١- قال الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١) في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الشيعة الإمامية: إعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين وهو ما بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك.

ثم قال: ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب.<sup>٣</sup>

٢- قال الشريف المرتضى (المتوفى عام ٤٣٦): إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟<sup>٤</sup>

٣- وقال الشيخ الطوسي (المتوفى ٤٦٠): وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٧٩.

(١) الموطأ، الحدود ١٠.

(٣) اعتقادات الإمامية المطبوعة مع شرح الباب الحادي عشر.

(٤) مجمع البيان ١: ١٥.

بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن لأن الزيادة مجّمع على بطلانها، والتقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا<sup>١</sup>.

٤- قال العلامة الحلبي (المتوفى عام ٧٢٦) في أحد مؤلفاته: «الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه (أي في القرآن) وأنه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فانه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول عليه السلام المنقولة بالتواتر<sup>٢</sup>.

٥- وقال الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (المتوفى عام ١٣٧٣): وإن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه صلى الله عليه وآله وسلم للاعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام ولتمييز الحلال من الحرام وإنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم (أي إجماع الشيعة الإمامية)<sup>٣</sup>.

٦- وقال السيد محسن الأمين العاملي (المتوفى عام ١٣٧١): لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً أن القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلهم، بل كلهم متفقون على عدم الزيادة ومن يُعتدّ بقوله من محققهم متفقون على أنه لم ينقص منه، ومن نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر مجتريء على الله ورسوله<sup>٤</sup>.

٧- وقال الإمام شرف الدين العاملي (المتوفى عام ١٣٧٧): كل من نسب إليهم تحريف القرآن فإنه مفتر ظالم لهم لأن قداسة القرآن الحكيم من ضروريات الدين الاسلامي ومذهبهم الإمامي.. إلى أن قال: وتلك كتبهم في الحديث والفقه والأصول صريحة بما نقول: والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة<sup>٥</sup>.

٨- وقال السيد الإمام الخميني رحمه الله: إن الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة يقف على بطلان تلك المزعمة. وماورد فيه من

(١) مقدمة تفسير النبيان.

(٢) أصل الشيعة وأصولها: ١٣٣.

(٣) الفصول المهمة: ١٦٣.

(٤) أجوبة المسائل المهنوية المسألة ١٣: ١٢١.

(٥) أعيان الشيعة ١: ٤١.

أخبار - حسبما تمسكوا - إما ضعيف لا يصلح للاستدلال به أو مجعول تلوح عليه أمارات الجعل، أو غريب يقضي بالعجب، أما الصحيح منها فيرمي إلى مسأله التأويل والتفسير وأن التحريف إنما حصل في ذلك لا في لفظه وعباراته.

وتفصيل ذلك يحتاج إلى تأليف كتاب حافل ببيان تاريخ القرآن والمراحل التي قضاها طيلة قرون ويتلخص في أن الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان، وأن الاختلاف في القراءات أمر حادث ناشئ<sup>١</sup> عن اختلاف في الاجتهادات من غير أن يمس جانب الوحي الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين<sup>٢</sup>.

١- وقال السيد الإمام الغلبايجاني: الصحيح من مذهبنا أن كتاب الله الكريم الذي بأيدينا بين الدفتين هو ذلك الكتاب الذي لاريب فيه من لدن عزيز حكيم، المجموع المرتب في زمانه (أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصره) بأمره بلا تحريف وتغيير وزيادة ونقصان والدليل على ذلك تواتره بين المسلمين كلاً وبعضاً ترتيباً وقراءة<sup>٣</sup>.  
١٠- وللسيد الإمام الخوئي دام ظله<sup>٤</sup> بحث مفصل يؤكد فيه على خلو القرآن الكريم من أية زيادة أو نقصان في مقدمة تفسيره البيان<sup>٥</sup>.

هذه هي نماذج بصريحة تعكس عقيدة الشيعة الإمامية منذ القديم وإلى الآن حول القرآن الكريم، وكلها تؤكد على صيانة الكتاب العزيز من أية زيادة أو نقصان وخلوه من كل تغيير أو تبديل فكيف يتهم جبرين الشيعة الإمامية بأنهم يطعنون في القرآن؟  
وأما الروايات فهي مضافاً إلى كونها ضعيفة شاذة، أو مجعولة موضوعة لا يابها الشيعة الإمامية - لا تشكل عقيدة الشيعة الإمامية، إذ ليس كل ما في الروايات يعكس عقديتهم، حتى يؤخذون عليها، حتى لو افترض صحة بعضها سنداً - فكيف يؤخذون عليها والحال أنها كما قلنا؟

إن القرآن الكريم حسب عقيدة المسلمين سنة وشيعة الذي بأيدي الناس هو ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع خصوصياته الحاضرة.  
وكما لا يعبأ أعلام السنة بما في روايات التحريف الواردة في مصادرهم، لا يابها علماء

(٢) البرهان للبروجردى: ١٥٦ - ١٥٨.

(١) تهذيب الأصول ٢: ١٦٥.

(٣) كتب الرد قبل رحيل الإمام الخوئي (قدس سره): إلى باراته في ٨ / صفر / ١٤١٣ هـ ق (التحرير).

(٤) مقدمة تفسير البيان.



الشيعة أيضاً بما ورد في بعض مصادرهم لضعفها وشذوذها، وظهور آثار الاختلاق عليها.

### الصحابة في مرآة القرآن والحديث

وأما قول «جبرين»: حول موقف الشيعة الإمامية من الصحابة ففيه مغالطة وتغطية للحق إذ لا تجد على أديم الأرض مسلماً يعتنق الإسلام ويحب النبي الأكرم، يبغض أصحاب النبي الأكرم بما أنهم أصحابه وأنصاره، بل الكل ينظر إليهم في هذا المجال بنظر التكريم والتبجيل، ومن أبغضهم أو سبهم بهذا المنظار، فهو كافر، أبعد الله. ولكن إذا صدر منهم فعل لا يوافق الكتاب والسنة فقام أحد بذكر فعله وتوصيف حاله حسب دلالة عمله وفعله، عليه وقال: أنه ركب الخطاء، أو صدرت منه المعصية، أو قتل نفساً بغير نفس إلى غير ذلك من المحرمات والموبقات فقد تبع القرآن الكريم والسنة النبوية والسلف الصالح.

فحب الصحابي بما هو صحابي أمر، وتوصيف أعماله وأفعاله - إن خيراً فخير وإن شراً فشر - أمر آخر يهدف إلى الموضوعية في البحث، والقضاء والابتعاد عن العشوائية في الاعتقاد، «والجبرين» لا يفرق بين الأمرين ويضربهما بسهم واحد لغايات سياسية. إن صحبة الصحابة لم تكن بأكثر ولا أقوى من صحبة امرأة نوح وامرأة لوط فما أغتتهما من الله شيئاً، قال سبحانه: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾<sup>١</sup>.

إن التشرف بصحبة النبي لم يكن أكثر امتيازاً وتأثيراً من التشرف بالزواج من النبي، وقد قال سبحانه في شأن أزواجه: ﴿يأنساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾<sup>٢</sup>.

وكما أنهم كانوا مختلفين في السن عند الانقياد للإسلام، كذلك كانوا مختلفين أيضاً في مقدار الصحبة فبعضهم صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بدء البعثة إلى لحظة

الرحلة، وبعضهم أسلم بعد البعثة وقبل الهجرة، وكثير منهم أسلموا بعد الهجرة وربما أدركوا من الصحبة سنة أو شهراً أو أياماً أو ساعات.

فهل يصح أن نقول: إِنَّ صحبةً مَا قلعت مافي نفوسهم جميعاً من جذور غير صالحة وملكات رديّة وكوّنت منهم شخصياتٍ ممتازة أعلى وأجل من أن يقعوا في إطار التعديل والجرح.

إن تأثير الصحبة عند من يعتقد بعدالة الصحابة كلهم أشبه شيء بمادة كيميائية تستعمل في تحويل عنصر كالتحاس إلى عنصر آخر كالذهب فكأنَّ الصحبة قلبت كل مصاحب إلى إنسان مثالي يتحلّى بالعدالة وهذا مما يرده المنطق والبرهان السليم وذلك لأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يقم بتربية الناس وتعليمهم عن طريق الإعجاز ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾<sup>١</sup>.

بل قام بإرشاد الناس ودعوتهم إلى الحق وصيبتهم في بوتقة الكمال مستعيناً بالأساليب الطبيعية والامكانيات الموجودة كتلاوة القرآن الكريم، والنصيحة بكلماته النافذة، وسلوكه القويم وبعث رسله ودعاة دينه إلى الاقطار، ونحو ذلك. والدعوة القائمة على هذا الأساس، يختلف أثرها في النفوس حسب اختلاف استعدادها وقابلياتها فلا يصح لنا أن نرمي الجميع بسهم واحد.

### الصحابة في الذكر الحكيم:

نرى أن الذكر الحكيم يصنف صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ويمدحهم ضمن أصناف تأتي ببعضها:  
١- السابقون الأولون:

يصف الذكر الحكيم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان بأنَّ الله رضي عنهم وهم رضوا عنه.

قال عز من قائل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ

## ٢- المبايعون تحت الشجرة:

ويصف سبحانه الصحابة الذين بايعوه تحت الشجرة بنزول السكينة عليهم قائلاً في محكم كتابه: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾<sup>٢</sup>.

## ٣- المهاجرون:

وهؤلاء هم الذين يصفهم تعالى ذكره بقوله: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾<sup>٣</sup>.

## ٤- أصحاب الفتح:

وهؤلاء هم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في آخر سورة الفتح بقوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً﴾<sup>٤</sup>.

## ٥- الأصناف الأخرى للصحابة:

فالناظر المخلص المتجرد عن كل رأي مسبِق يجد في نفسه تكريماً لهؤلاء الصحابة. غير أن الرأي الحاسم في عامة الصحابة يستوجب النظر إلى كل الآيات القرآنية الواردة في حقهم، فعندئذ يتبين لنا أن هناك أصنافاً أخرى من الصحابة غير ما سبق ذكرها، تمنعنا من أن نضرب الكل بسهم واحد، ونصف الكل بالرضا والرضوان. وهذا الصنف من الآيات يدل بوضوح على وجود مجموعات من الصحابة تضاد الأصناف السابقة في الخلقيات والملكات والسلوك والعمل:

## أ- المنافقون المعروفون:

المنافقون المعروفون باللفاق الذين نزلت في حقهم سورة «المنافقون» قال سبحانه:

(٢) الفتح: ١٨.

(٤) الفتح: ٢٩.

(١) التوبة: ١٠٠.

(٣) الحشر: ٨.

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون...﴾ إلى آخر السورة<sup>١</sup>.

فهذه الآيات تعرب بوضوح عن وجود كتلة قويّة من المنافقين بين الصحابة آنذاك وكان لهم شأنٌ ودورٌ في المجتمع الاسلامي فنزلت سورة قرآنية كاملة في حقهم.  
ب - المنافقون المختفون:

تدل بعض الآيات على أنه كانت بين الأعراب القاطنين خارج المدينة ومن نفس أهل المدينة جماعة مردوا على النفاق وكان النبي الأعظم لا يعرف بعضهم ومن تلك الآيات قوله سبحانه: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾<sup>٢</sup>.

لقد أعطى القرآن الكريم عناية خاصة بعصبة المنافقين وأعرب عن نواياهم وندد بهم في السور التالية: البقرة، آل عمران، المائدة، التوبة، العنكبوت، الاحزاب، محمد، الفتح، الحديد، المجادلة، الحشر، والمنافقون.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الاسلامي بين معروف، عرف بسمة النفاق ووسمة الكذب، وغير معروف بذلك مقتنع بقناع التظاهر بالايمان والحب للنبي، فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة لما رأيت هذه العناية البالغة في القرآن الكريم. وهناك ثلّة من المحققين كتبوا حول النفاق والمنافقين رسائل وكتابات وقد قام بعضهم باحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقداراً يقرب من عَشْر القرآن الكريم<sup>٣</sup>، وهذا يدل على كثرة أصحاب النفاق وتأثيرهم يوم ذاك في المجتمع الاسلامي، وعلى ذلك لا يصح لنا الحكم بعدالة كل من صحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع غض النظر عن تلك العصابة، المتظاهرة بالنفاق والمختفية في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

### ج - مرضى القلوب:

وهذه المجموعة من الصحابة لم يكونوا من زمرة المنافقين بل كانوا يتلونهم في

(١) المنافقون: ١. (٢) مردوا على النفاق: تمرنوا عليه ومارسوه.

(٣) التوبة: ٣.

(٤) النفاق والمنافقون: تأليف الاستاذ إبراهيم علي سالم المصري.

## شبهة ورد

الروحيات والملكات مع ضعف في الإيمان والثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال سبحانه بحقهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُرَضُوا عَلَيْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>١</sup>.

فأنتي لنا أن نصف مرضى القلوب الذين ينسبون خُلف الوعد إلى الله سبحانه وإلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتقوى والعدالة؟

### د - السماعون:

تلك المجموعة كانت قلوبهم كالريشة في مهبّ الريح تميل إلى هؤلاء تارة وإلى أولئك أخرى، وذلك بسبب ضعف إيمانهم وقد حذر الباري عز وجل المسلمين منهم حيث قال عز من قائل، واصفاً إياهم بالسماعين لأهل الرب: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾<sup>٢</sup> وذيل الآية دليل على كون السماعين من الظالمين لا من العدول.

### هـ - خالطوا العمل الصالح بالسيء:

وهؤلاء هم الذين يقومون بالصالح والفلاح تارة، والفساد والعبث مرة أخرى، فلأجل ذلك خلطوا عملاً صالحاً بعمل سيئ قال سبحانه: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾<sup>٣</sup>.

### و- المشرفون على الارتداد:

إن بعض الآيات تدل على أن مجموعة من الصحابة كانت قد أشرفت على الارتداد يوم دارت عليهم الدوائر، وكانت الحرب بينهم وبين قريش طاحنة فاحسوا بالضعف، وقد أشرفوا على الارتداد وقد عرّفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَقْتُلْنَا هَهُنَا﴾<sup>٤</sup>.

(١) الاحزاب: ١١.

(٢) التوبة: ٤٥ - ٤٧.

(٣) التوبة: ١٠٢.

(٤) آل عمران: ١٥٤.

## ز- الفاسق:

إن القرآن الكريم يبحثُ المؤمنين وفي مقدمتهم الصحابة، على التحرز من خبر الفاسق حتى يتحقق التبيين. فمن هذا الفاسق الذي أمر القرآن بالتحرز من خبره؟ إقرأ أنت ماورد حول الآية من شأن النزول واحكم بما هو الحق قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>١</sup>.  
فإن من المُجمَع عليه بين أهل العلم أنه نزل في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط وذكره المفسرون في تفسير الآية فلا نحتاج إلى ذكر المصادر.

كما نزل في حقه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾<sup>٢</sup>.  
نقل الطبري في تفسيره بإسناده أنه كان بين الوليد وعليّ، كلام فقال الوليد: أنا أسلط منك لساناً وأحدُ منك سناناً وأردُّ منك للكتيبة. فقال عليّ: آسكت فانك فاسقٌ فأنزل الله فيهما: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾<sup>٣</sup>.

وقد نظم الحديثَ حسانُ بن ثابت (شاعر عصر الرسالة) وقال:

|                           |                                    |
|---------------------------|------------------------------------|
| أنزل الله والكتاب عزيز    | في علي وفي الوليد قرانا            |
| فتبوا الوليد إذ ذاك فسقا  | وعليّ مبوّة إيماننا                |
| سوف يدعى الوليدُ بعد قليل | وعليّ إلى الحساب عيانا             |
| فعليّ يجرى بذاك جنانا     | وليدٌ يجرى بذاك هوانا <sup>٤</sup> |

أفهل يمكن لباحث حرّ، التصديق بما ذكره ابن عبد البر وابن الاثير وابن حجر وفي مقدمتهم أبو زرعة الرازي الذي هاجم المتفحصين المحققين في أحوال الصحابة واتهمهم بالزندقة.

## ح- المسلمون غير المؤمنين:

إن القرآن يعد جماعة من الأعراب الذين رأوا النبي وشاهدوه وتكلموا معه، مسلمين غير مؤمنين وأنهم بعد لم يدخل الإيمان في قلوبهم قال سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل

(٢) السجدة: ١٨.

(١) الحجرات: ٦.

(٣) تفسير الطبري ٢١: ٦٠ وتفسير ابن كثير ٣: ٤٦٢.

(٤) تذكرة الخواص لسيوط ابن الجوزي: ١٥ وكفاية الكنجي: ٥٥ و«مطالب السؤل لابن طليحة: ٢٠ وشرح النهج، الطبعة القديمة ٢: ١٠٣ وجمهرة الخطب لآحمد: كي ٢: ٢٢ لاحظ الغدير ٢: ٤٣.

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا إن الله غفور رحيم<sup>١</sup>.

أنهل يصح عدُّ عصابةٍ غير مؤمنين من العدولِ الاتقياء؟  
ط - المؤلفة قلوبهم:

اتفق الفقهاء على أن المؤلفة قلوبهم مَن تُصَرَّفَ عليهم الصدقات، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ <sup>٢</sup> .

والمراد من «المؤلفة قلوبهم»: الذين كانوا في صدر الإسلام ممن يظهرون الإسلام، - يَتَأَلَّفُونَ بدفع سَهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. وهناك أقوال آخر فيهم متقاربة، والكل يهدف إلى الاعطاء لمن لا يتمكن إسلامه حقيقةً إلاَّ بالمعطاء<sup>٣</sup>.  
ح - المولون أمام الكفار:

إنَّ التولِّيَ عن الجهاد والفرار منه، من الكبائر الموبقة التي نَدَّدَ بها سبحانه بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَن يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ <sup>٤</sup> .

إنَّ التحذير من التولِّيَ والفرار من الزحف، والحث على الصمود أمام العدو، لم يصدر من القرآن إلاَّ بعد فرار مجموعة كبيرة من صحابة النبي في غزوة «أُحُد» و«حنين».

أما الأول: فيكفيك قول ابن هشام في تفسير الآيات النازلة في أُحُد، قال: «ثم أتبهم بالفرار عن نبهم وهم يدعون، لا يعطفون عليه لدعائه إياهم فقال: (إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم).

وأما الثاني: فقد قال ابن هشام فيه أيضا: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ جبلة بن حنبل: أَلَا بَطَلَ السَّحَرُ الْيَوْمَ...<sup>٥</sup>.

(١) الحجرات: ١٤. (٢) التوبة: ٦٠.

(٣) تفسير القرطبي ٨: ١٨٧، المغني لابن قدامة ٢: ٥٥٦. (٤) الأنفال: ١٦-١٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٣: ١١ و ٤: ٤٤٤ ولاحظ التفاسير.

أبعد هذا يصح أن يُعَدَّ جميع الصحابة بحجة أنهم رأوا نور النبوة عدولاً أتقياء؟ قال القرطبي في تفسيره قد فر الناس يوم «أحد» وعفى الله عنهم وقال الله فيهم يوم حنين: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ ثم ذكر فرار عدة من أصحاب النبي من بعض السرايا . هذه هي الأصناف العشرة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن لا يمكن توصيفهم بالعدالة والتقوى، أتينابها في هذه العجالة مضافاً إلى الأصناف المضادة لها. ولكن نلفت نظر القاريء الكريم إلى الآيات الواردة في أوائل سورة البقرة وسورة النساء وغيرها من الآيات القرآنية فيرى فيها أن الإيمان بعدالة الصحابة مطلقاً خطأ في القول، وزلة في الرأي، يضاد نصوص الذكر الحكيم، ولم يكن الصحابة إلا كسائر الناس فيهم صالح تقي بلغ القمة في التقى والنزاهة، وفيهم طالح شقي سقط إلى هوة الشقاء والدناءة. ولكن الذي يميز الصحابة عن غيرهم أنهم رأوا نور النبوة وتشرفوا بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشاهدوا معجزاته في حلبة المباراة بأمر أعينهم، ولأجل ذلك تحمّلوا مسؤولية كبيرة أمام الله وأمام رسوله وأمام الاجيال المعاصرة لهم واللاحقة بهم، فإنهم ليسوا كسائر الناس، فزيغهم وميلهم عن الحق أشد ولا يعادل زيغ أكثر الناس وانحرافهم. وقد قال سبحانه في حق أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يأينس النساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ لاحظ (سورة الاحزاب الاية ٣٠ - ٣١) فإن انحراف هؤلاء فقد انحرافوا في حال شهدوا النور، ولمسوا الحقيقة، وشتان الفرق بينهم وبين غيرهم.

### الصحابة في السنة النبوية

ونذكر في المقام بعض ماورد في مصادر أهل السنة أنفسهم حول بعض الصحابة وليس كلهم والعياذ بالله.

ففي صحيح البخاري ٣: ١٢٧ في تفسير سورة المائدة بسنده عن ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... (الى أن قال): ورجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يارب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: «وكنث شهيداً عليهم مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب



عليهم». فيقال إن هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم<sup>١</sup>.  
 ورواه الترمذي في تفسير سورة الأنبياء أيضا وجاء في موطأ مالك: (كتاب الجهاد -  
 الشهداء في سبيل الله ١: ٣٠٧) عن أبي النضر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يارسول الله  
 إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي.  
 فبكى أبو بكر ثم قال: أننا لكاثنون بعدك؟<sup>٢</sup>.  
 وهل أتى الشيعة الإمامية بجديد إذا كانوا يفرقون في الحب والمودة بين جماعة  
 وأخرى وقد أمر القرآن بذلك في أكثر من آية؟  
 ثم أن «جبرين» وأمثاله لماذا يغمضون عيونهم عن حقائق القرآن ولا يصارحون الناس  
 بها بدل إتخاذ هذا الموقف الشريف الذي يمليه الحق والانصاف؟ لماذا يعمد إلى تكفير  
 طائفة كبرى من طوائف المسلمين وهم الشيعة الإمامية، ويراهم مستحقين للقتل  
 والإبادة، ولا يوجه مثل هذه الفتوى ضد الصهاينة في فلسطين، والأمريكان الذين  
 يدنسون بأحذيتهم الصليبية أرض وتلد القداسات؟  
 لماذا لا يحارب الفساد الأخلاقي والسياسي في مشرق الاسلام ومهجر الرسول، ولا  
 يفكر في تسيب الشباب هناك وتسرب اللادينية، والانحراف العقيدي إلى أذهانهم  
 البريئة؟؟ لماذا تصدر هذه الفتوى في هذا الطرف الذي انهارت فيه الشيوعية، واعترف  
 غورباتشوف بأن السبب الرئيسي وراء هذا المصير القائم في الاتحاد السوفيتي هو نسيان  
 الله وتجاهل الفطرة التي فطر الناس عليها كما قال في خطاب الاستقالة مؤخرًا؟ وهو  
 الأمر الذي ذكره به الإمام الراحل الخميني في رسالته التاريخية إليه. لماذا في مثل هذا  
 الطرف الهام الذي يتوجه العالم إلى الإسلام ويتطلع المستضعفون إلى المسلمين وهو  
 أمر يفرض العمل الجاد لتوحيد صفوف المسلمين وإظهارهم في مظهر الامة الواحدة  
 القوية على اختلاف مذاهبها ومسالكها التي تتمحور حول أصول الايمان وتتنفق فيها وإن  
 اختلفت في بعض الاجتهادات الفرعية العملية؟

(١) صحيح البخاري ٣: ١٢٧.

(٢) الموطأ ١: ٣٠٧.

أقول: لماذا ينبغي مجلس الافتاء السعودي متمثلاً بالمدعو «جبرين» وبعض زملائه إلى شق عصا المسلمين وإثارة التفرقات الطائفية، وعزل أكبر قطاع من قطاعات المسلمين عن جسم الأمة؟

وهل أذن الشيعية إذا هم اتبعوا وأحبوا من أمر القرآن باتباعهم ومحبتهم من أهل البيت ﴿الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً﴾ والذين فرض محبتهم ومودتهم بقوله ﴿قل لأستلكنكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾<sup>١</sup>؟

### المطلوب مؤتمر للحوار العلمي الديني

نحن ندعو علماء الوهابية إلى حوار علمي صريح وبناء يحضره علماء المسلمين لمناقشة ما يعتقدونه، أولاً، وما يرمون به المسلمين ويكفرونهم بسببه ثانياً، لإنهاء لهذه المواقف المضرة بالمسلمين وقطعاً لدابر الفتنة والاختلاف.

نحن نهيب بمفكري الأمة الإسلامية وبالشباب في البلاد الإسلامية أن يضغطوا على مجلس الافتاء السعودي ليقبل بالدخول مع علماء الشيعة الإمامية بصورة خاصة، وعلماء الطوائف الإسلامية الأخرى بصورة عامة في حوار علمي جاد.. لوضع حدٍ لمُتسلسل التكفيرات والمذابح الناشئة عنها، ونحن نحمل المسلمين كل الجرائم التي ستنشأ من هذه التكفيرات التي تعكس أهداف الإستعمار الحاقد، لو سكتوا وتركوا الأمر.

وإننا لنحذر المسلمين بأن هذا الموقف الصادر من «الجبرين» ونظرائه الذين لا يهمهم إلا تكفير المسلمين ورميهم بالشرك تاركين الصهاينة والصليبيين يسرحون ويمرحون في بلاد الإسلام لن يقتصر على الشيعة الامامية بل سيشمل الطوائف الأخرى لأن الوهابيين الذين يرفعون شعار التوحيد يكفرون عامة المسلمين إلا أنفسهم، فهل من مذكر؟؟



# المجمع العالمي لأهل البيت

عليهم السلام

يخاطب جمعاً من علماء المسلمين

بعد إعلان فتوى «عبد الله الجبرين» أحد رجال الوهابية التي تدعو إلى قتل أتباع أهل البيت عليهم السلام وهدر دمائهم مقرونةً بسيل من التهم الباطلة والشبهات المختلفة، قام الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام سماحة الشيخ محمد علي التسخيري بإرسال خطاب إلى مجموعة من علماء أهل السنة في مختلف مناطق العالم الإسلامي بما في ذلك الحجاز أبرز فيه استنكاره لهذا العمل اللامسؤول طالباً منهم إبداء الرأي الصريح حول هذه الممارسات التي تفرّق الأمة الإسلامية وتمزّق أوصالها في وقتٍ نحن بأمس الحاجة فيه إلى التقارب والتوحد أمام أعداء الإسلام والمسلمين من قوى الكفر والاستكبار العالمي.

وننشر أدناه نصّ الرسالة وخلاصة لأجوبة مجموعة من علماء السنة المخاطبين أمليين أن تكون عاملاً من عوامل التأثير على الشيخ الجبرين وأمثاله في العودة إلى العقل وشرعة الحق في اتخاذ المواقف وإبداء الآراء والله الموفق لما فيه الحق والصواب.

نص الخطاب:

## بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: ١٢/ رجب/ ١٤١٢ هـ

الرقم: ٨٤٣/ ١٧/ م ج

الاخ الكريم الاستاذ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد

فاسأل الله تعالى لكم التوفيق المظرد في خدمة الاسلام العظيم، وإنكم لتعلمون أن وحدة الأمة الاسلامية وتلاحمها بوجه أعدائها الذين يحيكون لها المؤمرات ويحاولون صهرها في نظام عالمي جديد تحكمه القوة الواحدة، هذه الوحدة هي من أهم الضرورات، وإنها لن تتحقق إلا إذا سادت روح التقارب والتفاهم والتعاون بين أبناء الامة الإسلامية.

إلا أن المؤسف حقاً أن نجد البعض ممن لا يأبهون لهذه الامور بل يعملون على تمزيق الصفوف بحجج واهية وتهم باطلة فيصلون إلى إصدار فتوى القتل الجماعي لأتباع مذهب أهل البيت وهم يصلون إلى المائتي مليون مسلم موحد من خلال استدلالات باطلة كتهم القول بالتحريف وتهم التأليه لأهل البيت وغيرها من التهم التي رفضها مذهب أهل البيت، ولكننا نجد بين الفينة والفينة هذه الاصوات التي تعكّر صفو الأمة وتعرقل مسيرة الوحدة.

ونحن إذ نرسل لكم صورة من مثل هذه الفتاوى لندرج أن تعلنوا رأيكم الكريم بصراحة في مثل هذه العمليات الممزقة، وأملنا كبير أن نقوم بحل مشكلاتنا فيما بيننا ولا نسمح لمنظمات دولية في التدخل بحجج الدفاع عن حقوق الانسان وما إلى ذلك. إننا لعلّ ثقة من أن حكمتكم والعلماء العاملين الآخرين لقمينة بدره الخطر ❀ إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير❀. ولكم من الله تعالى التوفيق والتسديد.

أخوكم محمد علي التسخيري

عضو مجمع الفقه الاسلامي

## مقاطع من أجوبة المخاطبين:

\* الدكتور سامي حمود

المدير العام لمركز البحوث والاستشارات المالية الإسلامية

عمان - الأردن

### ﴿الموضوع - الفتوى الظالمة﴾

«...» إطلعت على خطابكم رقم ٨٢٣/١٧/م ج المؤرخ في ١٢ رجب ١٤١١ هـ والذي تسلمته متأخراً في البريد والذي أرفقتم به صورة الفتوى الصادرة عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

وقد أسفت لصدور مثل هذه الفتوى عمن يدعي العلم بالدين وهو يخالف أمر الله للمسلمين بالوحدة والاعتصام بحبل الله المتين وكأنه لم يقرأ قول الله تعالى: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾.

والحقيقة أيها الأخ الفاضل أن هناك تقصيراً متبادلاً عند عموم طوائف المسلمين، حيث يُفتقد الوعي والتقارب وذلك بسبب جهل عامة المسلمين وخاصة فيما يتعلق بمعرفة أهل السنة لحقيقة فقه آل محمد وأنه يقوم على أساس من العلم والاجتهاد. فأنا مثلاً من بلد كل أهل من السنة ولم أكن أعرف حتى تخرجي من الجامعة بكلية الحقوق عام ١٩٦٣ شيئاً عن فقه المذهب الجعفري.

وحين قرأت - ولأول مرة - بعض مؤلفات المرحوم الشهيد محمد باقر الصدر - طيب الله ثراه - رأيت علماً وفهماً وسعة أفق ومقدرة على التنظير عزّ نظيرها عند الأكثرين من المعاصرين.

وعندما بدأت للاعداد لرسالة الدكتوراه في عام ١٩٧٢ لم يكن من السهل عليّ الوقوف على عدد من المراجع الأصلية للمذهب الإمامي إلى أن قمت بزيارة شخصية لمنزل المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية في بيروت حيث حصلت على مؤلفه في فقه الإمام جعفر الصادق واطلعت في مكتبته الخاصة على عدد من مراجع الفقه الجعفري

## نفرير

مثل مفتاح الكرامة للشفرائي<sup>١</sup>، والروضة البهية للعاملي<sup>٢</sup>، وشرائع الاسلام للمحقق<sup>٣</sup>، وتذكرة الفقهاء للمطهر<sup>٤</sup>، وغيرها من المؤلفات النادرة.

وعندما اطلعت على هذه المؤلفات أعجبت بالدقة الفقهية من ناحية وأخذت بتقارب وجهات النظر ولا سيما بين المذهب الإمامي والمذهب الحنفي في مجال المعاملات المالية بالذات.

\* \* \*

أحمد بن حمد الخليلي \*

المفتي العام لسلطنة عمان

وزارة العدل والاوقاف والشؤون الإسلامية

«...» بلغتني رسالتكم رقم (٨٢٣ / ١٧ / م ج) المؤرخة ١٢ رجب ١٤١٢ هـ ق واطلعت على الفتوى الحمقاء المرفقة بها التي تشرك طائفة لا يستهان بها من أمة الاسلام وتدعو إلى قتلهم وهذا مما يكون له أبلغ الأثر في إضعاف هذه الأمة.

ولا يضيركم قول أمثال هؤلاء فإن صدور فتوى كهذه منهم لدليل واضح على ضيق أفقهم وضحالة فكرهم وعدم تحلّقهم بأخلاق العلماء، وأنهم دعاة فرقة لا وحدة، ودعاة شقاق لا وفاق، وإن هم إلا أداة طيعة في أيدي أعداء الإسلام - وعوا ذلك أم لم يعوه - يستغلّونهم في تفتيت الأمة الاسلامية وتمزيق شملها وإبقائها في سبات عميق بعيدة عن فهم الاسلام والعمل بجوهره وروحه. وقد لمسنا محاولات أعداء الاسلام في جزنا إلى هذه الحلبة ومحاولتهم إثارتنا على أمثال هؤلاء، ولكننا ولله الحمد قطعنا عليهم الطريق وبيننا لهم أن الامة الاسلامية أمة واحدة لا تتجزأ وأنه لا يوجد بيننا خلاف في الأصول. لقد تعرّضت لموضوع التكفير في خطبة بعد أن وصلتني رسالتكم الكريمة ودعوت فيها إلى ضرورة الحرص على الإتفاق والائتلاف وتجاوز الخلافات الفرعية فيما بيننا مادامنا متفقين على مصادر التشريع الأساسية. وإن هذه الطاقات المهدورة والأوقات

(١) يعني به السيد محمد جواد العاملي الشفرائي. (٢) يعني به زين الدين الملقب بالشهيد الثاني.

(٣) يعني به نجم الدين جعفر بن الحسن الملقب بالمحقق الحلي.

(٤) يعني به العلامة يوسف بن المطهر الحلي.

(٥) ممثل دولة عمان في مجمع الفقه الاسلامي الدولي.

## لغزير

الضائعة ينبغي توجيهها لتقوية الصف الاسلامي امام أعدائه الحقيقيين الذين يتربصون بنا الدوائر وينهشوننا من كل جانب والله المستعان.

نسأل الله عز وجل أن يلم الشمل المسلم وأن يسد الخلل ويرأب الصدع ويؤلف بين قلوب المسلمين بطاعته لتعود لهم قوتهم وريادتهم للعالم ويمكنهم من انقاذ العالم من حالة الفوضى والتردي التي وصل إليها.

\*\*\*

عبد الله بن عبد الرحمن البسام

رئيس محكمة التمييز المنطقة الغربية

عبد الله بن سليمان بن منيع

رئيس الدائرة الحقوقية الأولى في محكمة التمييز في المنطقة الغربية

وزارة العدل - المملكة العربية السعودية

«...» استلمنا خطابكم رقم ٨٣٣/١٧/م ج في ١٢/رجب/ عام ١٤١٢ هـ ومرفق به الفتوى الصادرة من الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وفهمنا ما فيه.

كل ما أشار اليه فضيلتكم هو عين الحق والصواب، وهو الذي نسأل الله تعالى أن يحققه لتجتمع الكلمة ويتوحد الصف ويكون للاسلام قوة في وجه أعدائه. فياليتنا نرى طوائف المسلمين تجتمع على كلمة واحدة وتتوحد نحو هدف واحد هو نصر دينهم وإعلاء كلمة ربهم على منهج من كتاب الله تعالى وما صح عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلفه سلفهم الصالح من العلم النافع والنهج المستقيم.

ونحن في عصر نبذ فيه التعصب، فدعونا نجتمع وتتوحد على دين الله وتعاون على إعلاء كلمة الله ونشر دينه ونشل البشرية الضالة من حضيض الجهل بدين ربهم إلى العلم به واتباع شرعه لتسعد تلك البشرية وتنعم بالأمن في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة. إن الله تعالى أخذ العهد على أهل العلم أن يبلغوا دينه ويعلموا الناس الهدى والرشاد وإلا فهم مسؤولون عنه يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

\*\*\*

## نقد

محمد كمال آدم

مدرس العلوم الإسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام - أديس أبابا-

عضو مجلس العلماء في أثيوبيا

«...» تلقيت رسالتكم الموقرة المؤرخة ٢٦/ رجب ١٤١٢ هـ.

«...» نعم: لا شك أن مثل هذه الفتاوى مستنكرة لدى كل المسلمين عامة ولدى كل العلماء المخلصين خاصة. وإصدار مثل هذه الفتاوى في هذه الظروف القاسية على المسلمين حيث يحاول النظام الجديد - والتي تمثله أمريكا - فرض سيطرته على جميع شعوب العالم لا يأتي إلا لخدمة المستكبرين ومحاولة لتشتيت شمل المسلمين كي لا يتحدوا لمواجهة قوى الشر والباطل.

وعجبت أنكم ركزتم على هذه الفتاوى الباطلة فقط وطلبت من أن نعلن آراءنا الإسلامية عليها ولا أحسب أنكم غير مطلعين على الفتاوى الكثيرة التي يصدرها عملاء آل سعود الوهابيين وكذلك على الكتب التي يؤلفونها ضد الشيعة خاصة والمسلمين عامة وينشرونها في العالم على نطاق واسع.

والفتنة الوهابية لم تصدر مثل هذه الفتاوى على الشيعة فقط بل أصدرت فتاوى كثيرة تكفر كل المسلمين وكل العلماء المتقدمين مثل الامام الشكراني المصري وحجة الاسلام الامام الغزالي. وإذا قرأتم الكتاب الذي صدر من دولة الكويت بعنوان «فضائح الصوفية» ترون عجائب كثيرة وأنا سمعت بأذني أن خطيب مكة المكرمة الذي يلقي خطبة بصوت رقيق يقول: إن كل من يحج في هذا البيت مشرك غير الذي يعتقد اعتقادنا، على حسب زعمه الباطل.

لذلك فإن عداوة هذه الفتنة ظاهرة لدى كل المسلمين ولا سيما القارة الأفريقية. إنهم يصرفون الملايين من الدولارات من أجل تفريق شمل المسلمين.

أما ما يتعلق بحكم هذه الفتوى الملحقة مع الرسالة فإنه مما لا يختلف فيه اثنان من انها باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ولنسمع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كأنها نزلت على الفتنة الوهابية لكشف أسرارهم ذلك أن كل هذه المحاولة وكل هذه الفتاوى ماهي إلا ابتغاء عرض الحياة الدنيا سياسياً واقتصادياً.



## نقير

\*\*\*

محمد عبدة يمانى  
رئيس جمعية إقرأ الخيرية  
المملكة العربية السعودية - جدة

«...»

وصلني كتابكم رقم ٨٣٣ / ١٧ / م ج تاريخ ١٢ / ٧ / ١٤١٢ وملحقه الواحد. وإن ما تفضلتم به بأن وحدة الامة الاسلامية وتلاحمها بوجه أعدائها الذين يحكون لها المؤامرات من أهم الضرورات، هذا أمر لا يختلف عليه عاقل ويجب أن تنسى الأمة كل خلافاتها الاجتهادية، التي لاتمس التوحيد وأصول الايمان، وتنصر في بوتقة واحدة استجابة لأمر الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾.

وما ذكرتم من أن هذه الوحدة لاتتحقق إلا إذا سادت روح التفاهم وقام الحوار الهادي بين أبناء الامة الاسلامية، فهذا أمر ضروري لابد منه في كل الاحوال والاقوات، وبخاصة في هذا العصر حتى يتم التعاون بين أبناء الامة الاسلامية، استجابة لأمر الله ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾، وحتى يتحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

ورأيي الذي فهمته من كتب العلماء وفتوى المحققين: «لا تكفر أحدا من أهل القبلة» إلا إذا صدر منه ما يقتضي التكفير و«لا تكفر من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم» إلا أن يصدر عنه ما يقتضي التكفير. وإن حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض على المسلمين.

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيباً، بما يدعى خمأ بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

\*\*\*

## لقبر

\* أحمد جمال \*

العضو الخبير لمجمع الفقه الإسلامي / مكة - الزاهر  
«...» تلقيت خطابكم الكريم. وسعدت بهذا التواصل. ولكنني أسفت لما ذكرتم به من صدور بعض الفتاوى ضد الشيعة بما لا دليل عليه.

ووجهة نظري في المسألة أحد أمرين:

- إما الصبر والصمت وإهمال المسألة وعدم الاهتمام بها،
- وإما الرد عليها بالحجج والأدلة التي تبطل الفتوى، وتظهر أنها مجرد دعوى.

\*\*\*

محمود علي السرطاوي

كلية الشريعة - الجامعة الاردنية

عمّان - الاردن

فقد وصلتني رسالتكم المؤرخة ١٢ رجب ١٤١٢ هـ رقم ٨٢٣ / ١٧ م ج بشأن ما أصدره بعضهم من فتاوى تعمل على تفريق الامة الاسلامية وتمزيقها في الوقت الذي يتكالب فيه أعداء الامة على أهلها وعقيدتها ومقدساتها.

بالإضافة إلى هذا كله فإنه - غفر الله تعالى له - لم يستند فيما ادعاه على مستند شرعي من الكتاب الكريم أو السنة النبوية المطهرة وعمل السلف وأقوالهم بل كان دليله الهوى، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ولا أجد قولاً أحسن من قول الشافعي رضي الله عنه في الرد على هؤلاء، عندما اتهم بالتشيع وأنه رافضي حين قال:

إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ هَذَا ثَقْلَانِ أَنِي رَافِضِي

عجباً عجباً، هل يستحل الاخ الكريم ذبيحة اليهود والنصارى، والزواج منهم ويحرم ذبيحة إخواننا من الشيعة الذي يؤمنون بالله رباً ومحمد نبياً ورسولاً وبالقرآن الكريم كتاباً منزلاً من عند الله تعالى على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وباليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره؟

إنني أقول ما قاله سلفنا الصالح: الشيعة الامامية إخواننا في الدين لهم علينا حق

## نفيير

الأخوة، ولنا عليهم مثل مالهم علينا، وما يوجد بيننا وبينهم من اختلاف وجهات نظر إنما هي في الفروع، وعلى الأئمة العلماء أن يقوموا بردم الهوة، وتقريب وجهات النظر، واستيعاب معطيات العصر الذي نعيشه، وأسأل الله تعالى أن يوفقكم وإخوانكم العلماء لتحقيق مافيه الخير لهذه الامة.

\*\*\*

الدكتور أحمد محمد علي  
رئيس البنك الإسلامي للتنمية  
جدة - المملكة العربية السعودية

«...» تسلمت مع جزيل الشكر رقم ٨٢٣ / ١٧ / م.ج وتاريخ ١٢ رجب ١٤١٢ هـ ق  
إنني لأتفق كل الاتفاق مع سماحتكم في أهمية أن نعمل جميعاً لتسود روح التقارب  
والتفاهم والتعاون بين أبناء الأمة الاسلامية لتوحيد كلمتها وجمع صفوفها لدفع الأخطار  
عن الأمة والسير بها قدماً نحو تعزيز مكانتها لحماية مصالحها المشتركة ولتحتل مكانتها  
المرموقة في هذا العالم ولرفع راية الاسلام خفاقة.

\*\*\*

الدكتور محمد علي محجوب\*  
وزير الاوقاف لجمهورية مصر العربية  
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية  
فقد تلقيت كتابكم رقم ٨٣٣ / ١٧ / م ج بتاريخ ١٢ رجب ١٤١٢ هـ بشأن الرأي في  
صدور فتوى القتل الجماعي لأتباع مذهب أهل البيت.  
وأود أن تعلموا مدى اعتزاز مصر شعباً وحكومة بآل بيت الرسول صلوات الله وسلامه  
عليه...

وكيف تسمح مصر بما يسيء إلى العلاقة الوثقى بين أهل السنة وإخوانهم من الشيعة  
مع اتفاق الجميع على رفض أي غلو في الدين.  
وكما تعلمون أننا في مصر نعاني من مثل هذه الآراء الجافة والتطرف في الحكم

- (٥) كاتب مصري معروف.

## لتبرير

والفتيا والذي لن يخلص منه مجتمعنا المسلم إلا حين تأخذ الوسطية الإسلامية طريقها إلى التمكن ويفسح لها الجميع حتى تسود وتعلو.  
أرجو ألا يزعجكم ما أشرت إليه وآمل أن يتواصل بيننا التشاور والحوار حتى نضع الاقدام كلها على الطريق الصحيح بما يخدم عقيدتنا وأمتنا.

\*\*\*

\* الدكتور طه جابر العلواني \*

استاذ الفقه والأصول في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض  
(١٣٩٥-١٤٠٥ هـ)

مؤسس ورئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن  
رئيس المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية

«...» ونحن في عصر قد تكاثرت فيه الأمم على المسلمين وتداعت عليهم كما تنداعى الأكلة على قصعتها ونحن حريون بأن نتذكر على الدوام قول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وبذ ذلك التراث المفروق لكلمة المسلمين، المدمر لوحدة الأمة كما ورد في القرآن: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ أما أن نطلق على المسلمين وصف الشرك فهذا أمر خطير نرجو أن لا يقع فيه أحد من المؤمنين.

إن مانعرفه عن عقائد الشيعة وما يصرّح به أئمتهم المتبرون كما هو ظاهر في مؤلفاتهم ويعلن به مشائخهم أنهم يؤمنون بالله رباً وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويؤمنون بأن الإمامة منصب ديني بعد النبوة وأن الأئمة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أئمة حق يوالونهم بالموّدة والمحبة.

ولكنهم لا يؤمنون بألوهية الإمام علي رضي الله عنه أو نبوته.  
نعم كانت هناك طائفة متقرضة نسب إليها تأليه الإمام علي ويكفرها السنة والشيعة

(٥) تخرج من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف، وحصل على الدكتوراه في أصول الفقه من نفس الجامعة. وهو أحد علماء السنة المراقبين، وقد صدرت له عدة أبحاث ودراسات إسلامية وفقهية منها: الاجتهاد والتقليد في الإسلام، أدب الاختلاف في الإسلام، أصول الفقه الاسلامي.

## لغريب

كما يكفرها بقية المسلمين.

وقد نص الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء من كبار العلماء المتأخرين في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» ص ١٦١ على «أن الأئمة عليهم السلام يبلغون عن طاعة الله ولكن لا تجوز عبادتهم ولا تجوز العبادة إلا الله وحده لا شريك له وتجب طاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام فيما يبلغون عن الله جل شأنه لكن لا تجوز عبادتهم بدعوى أنها عبادة الله فإنها شيطانية وتليسات إبليسية».

والذي أعرفه عن المسلمين الشيعة في العراق وفي الجزيرة ومناطق الخليج أنهم كآخوانهم السنة يؤمنون بالله الواحد والكتاب والقبلة وجميع أركان الايمان. قد كافحوا وجاهدوا كآخوانهم السنة للحفاظ على البلاد الاسلامية من وطأة الكفار والمحتلين وتحملوا ما تحمله الآخرون.

وبجهادهم وجهاد علمائهم وإخوانهم الآخرين تم تحرير كثير من البلاد الاسلامية من الاحتلال البريطاني وغيره.

ولا أمل لهذه الامة في الاستقرار والوحدة والتحرر وتمكين الاسلام إلا بوحدة الصف ونبد الفرقة والاختلاف والالتزام بعقيدة التوحيد التي هي زمام الأمر وسنامه. وعلى المفتي أن يتحلّى بأداب الفتيا، ومن أهم آداب الفتيا أن يعرف سائله وأسباب السؤال وأن يستيقن الجواب وأن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يفتي به، خاصة إذا تعلق الأمر بإيمان أو كفر ولأن يخطيء إنسان في فتوى في فرع من الفروع أولى له من أن يخطيء في أصل من الأصول، أو يقول ما قد يثير فتنة.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز نفسه في كتاب مجموع الفتاوى الجزء الثالث صفحة ٨١: «فإن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله والتزم بمعناها ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام فإنه يجب الكف عنه وحسابه على الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل». سائلين العلي القدير أن يوفق الأمة لما فيه خير الأمة وصلاح شأنها وأن يحفظ الله لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وديننا التي فيها معاشنا ويوحد كلمتنا انه سميع مجيب.

## \* الشيخ عبد الحميد السائح

رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

«.....» بالاشارة لكتابكم تاريخ ١٢ رجب ١٤١٢ هـ رقم / ٨٤٣ / ١٧ م ج ومعه ملحق

السؤال والجواب عن الحادث المشار إليه في الملحق.

إنّ قول المفتي في جوابه إن الروافض غالباً مشركون ومعنى هذا حسب قوله، فيهم المشرك وفيهم غير المشرك، ومن أدراه أن الذي يعتمد في الذبح منهم من المشركين؟ وهل بعد أن رد المحققون من أهل البيت تلك التهم واعتبروها باطلة، نصرّ نحن على أنها صحيحة، وهل هذا يسوّغ قوله عن جماعة لم يستوضح منهم عن عقيدتهم واتجاههم؟

ولا يكفي أن يقول أحدهم: سمعناهم يقولون، لأنّ من قال أنهم سمعواهم هل تحققوا أن الذابح منهم، وأنه لا يجوز أن يفتي بالتكفير بمجرد الشائعات أو الظن. ولذلك فإن الاسلام في دين الله، أن تسلك مسلك التوحيد في العقيدة والعبادة فكل من صلى صلاتنا واتجه قبلتنا، واعتقد برسالة نبينا وأنه خاتم الرسل والأنبياء واعتمد قرآننا، فهو مسلم تؤكل ذبيحته.

وإذا كان طعام أهل الكتاب بنص القرآن حلالاً لنا، ويشمل ذلك الذبح فكيف نحرم ذبيحة من هو معروف من المسلمين، ولم نستوضحه عقيدته، أو لم يصرح هو شخصه باعتقاده تلك التهم التي تستوجب التكفير، والأصل في الاسلام براءة الذمة ولذلك لا يجوز أن نحكم بأن فئة من المسلمين لا تؤكل ذبائحهم، بناء على تلك الأقوال التي لا ترقى إلى درجة اليقين والقطع، بالنسبة لكل شخص إلا إذا اعترف ذلك بتلك التهم فيؤخذ بمقتضى إقراره.

وإني أناشد إخواني المسلمين من السنة والشيعة أن يعتمدوا التوحيد في عقيدتهم وفي عبادتهم ويسيروا على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن أصحابه الكرام، وفي مقدمتهم الإمام علي أمير المؤمنين رضي الله عنه وأرضاه، وأن لا تثير تلك الأقوال التي تحرك المشاعر ولم تستند إلى دليل، ومع هذا إذا جهل شخص أحكام دينه وصرّح بما يخالف المعروف ويستوجب الشبهة، فعلينا أن نحاوره ونصح له رأيه بطريق الحوار الهادي،

## تقرير

الذي يجمع ولا يفرق، ويقنع ولا ينفر.

وإذا كان الله سبحانه يرشد نبيه صلى الله عليه وسلم وهو يتعامل مع المشركين بقوله: قل من يرزقكم من السماوات والأرض؟ ﴿قل الله﴾، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، قل لا تسألون عما أجرمتنا، ولا نسأل عما تعملون ﴿٢٤ و ٢٥﴾ سبأ.

فكيف تتسرع في الحكم على فريق من المسلمين بالكفر والضلال المبين؟ وأنا أعرف بعضهم وصليت في مساجد لهم، وهم يتجهون قبلتنا ويصلون صلاتنا، ويستنكرون تلك التهم، التي بنى فضيلة المفتي جوابه عليها.

فاللهم ألهمنا طريق الحق المنجية، وارزقنا السداد في أقوالنا وأعمالنا، وهيء لنا من أمرنا رشداً، وأجمع قلوبنا على تقواك ورضاك، حتى نستطيع بتضامنا أن نكون قوة يحسب لها حساب في وجه المتآمرين على الإسلام، والعاملين على إضعاف وتفريق كلمة المسلمين.

«سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

\*\*\*

محمد الحاج ناصر\*

المغرب - الرباط

سمعت أعمق السعادة وأبهجها بكتابك الكريم المؤرخ العلم ب: ١٢ رجب ١٤١٢ هـ المرقوم ب: ٨٢٣ / ١٧ / م ج: وتلقيت باعزاز واعتزاز ما تفضلت فكرمتني به من حسن ظنك بي وابتغائك للاطلاع على رأيي في الفتوى.

وطي هذا ما يسر الله لي أن أعقب به على هذه الفتوى الأسيفة. ولو قد كنت غير متنازع الوقت والجهد بأعمال عجلة لا تنتظر ولا ترحم لأحطت بالموضوع فجئت بأوفى، بيد أنني أمل أن تفضل أنت والمجمع العالمي لأهل البيت - الذي أرجو أن أكون من ذويه - بقبول جهد المقل واعتبار العذر الذي قدمته بين يديك.

فأقول وبالله التوفيق: الروافض على فرق وليس منها ما يجوز شرعا الحكم بالردة وتطبيق أحكام الاسلام في المشركين عليها إلا فرقتان: أشنعهما التي تقول بحلول

(\*) كاتب مغربي معروف.

## نقير

الألوهية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم تلك التي تقول بأن النبوة إنما أنزلت إلى علي رضي الله عنه ولشدة الشبه بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخطأ جبريل عليه السلام فبلغها إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يحسب أنه علي.

ولا نظن أنه بقي من هاتين الفرقتين غير النصيرية والدروز من فرق الاسماعيلية والباطنية.

أما غير هاتين الفرقتين من الروافض فلا يقولون بهاتين المقولتين اللتين يكفر القائل بهما بالاجماع.

وما عدا هاتين الفرقتين الضاليتين من الروافض لا يجوز الحكم عليها بالكفر بمعنى الشرك بإجماع الأمة الإسلامية.

ومهما يكن رأي بعضها في الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر أو في عثمان أيضاً الخليفة الراشد الثالث رضي الله عنهم وأرضاهم ومهما يبلغ قول هذه الفرق من النكارة لدى أهل السنة وجمهور الأمة الإسلامية فإنه لا يبلغ بقائليه دركة الخروج من الإسلام، والذين حكموا بأحكام بعضها مسرف في أصحاب هذه المقولات لم يقولوا بإخراجهم من الأمة الإسلامية إذ ليس لأحد أن يدعي الشرك فيمن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي هذا المجال يحسن أن نستظهر بحديثين: أولهما حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي أخرجه أحمد في مسنده - ص ١٨٧ / ١٨٨ ح ٢١٨٦١ - والبخاري في صحيحه - كتاب البخاري ٦٤ باب ٤٥، ح ٤٢٦٩ - و - كتاب الديات: ٨٧ باب ٢، ح ٦٨٧٢ - ومسلم في صحيحه - ص ٩٦ / ٩٧ كتاب الايمان ١: باب ٤١، ح ٩٦ - وأبو داود في سننه - ص ٤٤ / ٤٥، ح ٢٦٤٣ - والنسائي في السنن الكبرى - ص ١٧٦ / ١٧٧، ح ٨٥٩٤ - كتاب السير. باب ١٢ - وابن ماجه في سننه ٥: ص ١٢٩٦، ح ٣٩٣٠. كتاب الفتن. باب ١ - واللفظ لأحمد:

حدثنا يعلى، حدثنا الأعمش، عن أبي ظبيان، حدثنا أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى الحرقات، فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلاً فلما غشينا قال: لا إله إلا الله فضربناه حتى قتلناه فعرض في نفسي من ذلك شيء فذكرته لرسول الله صلى



## تقريب

الله عليه وسلم فقال: «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها مخافة السلاح والقتل فقال: «ألا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك أم لا؟» من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ قال: فما زال يقول ذلك حتى وددت أني لم أسلم إلا يومئذ. أما الثاني فحديث أبي سعيد الخدري الطويل في قصة بعث علي رضي الله عنه ذهيبه من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه لها وقول ذي الخويصرة له: أعدل، وهو حديث طويل أخرجه كل من أحمد في مسنده - ص ١٠ ح ١١٠٠٨ - والبخاري ومسلم في صحيحه - ص ٧٤٢ ح ١٠٦٤ - كتاب الزكاة: ٤٧ - أبو يعلى في مسنده - ص ٣٩٠/٣٩١ - ح ١١٦٣ - وفيه من لفظ أحمد:

فقال خالد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلعله يكون يصلي» فقال: إنه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم».

وفي هذين الحديثين الشريفين وفي كثير غيرهما من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم نصوص صريحة على عدم جواز معاملة من أظهر الاسلام معاملة غير المسلمين اعتماداً على ظن مهما تبلغ من قوة القرينة أو القرائن التي يستند إليها.

لذلك فوصم فرق الروافض غير الفرقين المذكورتين آنفاً بالنفاق فضلاً عن الشرك ومعاملة أتباعها بغیر معاملة سائر المسلمين مخالف للشريعة الإسلامية نصاً وروحاً فضلاً عما قد يفرزه من إيقاد نار الفتنة بين المسلمين في وقت نحن أحوج ما نكون إلى التقريب بين آرائنا والتوفيق بين مناهجنا ومقاصدنا حاجة يجب أن تحكم جميع أقوالنا وأفعالنا في المجالات العامة وأن ترتفع بها عن أي اعتبار آخر.



## \* موضوع الندوة:

المساواة بين المذاهب الإسلامية

(٢)

الندوة باب يتناول عرضاً لآراء عدد من العلماء والمفكرين حول مسألة أو موضوع معين، ويتم ذلك عن طريق طرحه تحريرياً عليهم وبعد استلام الإجابات المكتوبة ينشر المناسب منها.

لقد أولى أئمة أهل البيت عليهم السلام أهمية كبرى للتقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وتبعهم في ذلك العلماء المجاهدون الذين استهدوا بسيرتهم وواصلوا نهجهم، فأظهروا الحق وأرشدوا إليه، وأزاحوا الستار عن الباطل وحذروا منه، مقيمين ذلك على الدليل القاطع والبيان المبين من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.. مؤكدين أن خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر هي أمة الثقلين اللذين ما فتئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بهما ويملاً الآفاق بأمرهما، لتتم الحجة البالغة على الناس ويحيا من يحيا منهم على بينة من أمره ويهتدي إلى الحق والصراط المستقيم أو يضل عن سواء السبيل.

ونظراً لهذه الأهمية العظيمة والمسؤولية الجسيمة رأت مجلة رسالة الثقلين ضرورة المساهمة الجادة في هذا السبيل فطرحت هذه المسألة على جمع من علماء الإسلام الأعلام لستجلي آراءهم وتستكشف أساس ومنهج أهل البيت عليهم السلام في ذلك.. وهي هنا لا تكتفي بما تنشره من آراء هؤلاء الأعلام بل توجه خطابها إلى كل أصحاب الفكر والعلم من قادة الأمة ورؤادها ليتحفوها بالسديد من آرائهم والفصل من كلامهم في هذا الأمر الحساس الذي بات تحقيقه أمراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه خصوصاً وأن الأمة تعيش مرحلة مصيرية من مراحل صراعها الطويل مع قوى الكفر والضلال،

## ندوة

التي تنادت للتحزّب والتكتل في كل مكان للنيل من الاسلام المحمّدي الاصيل وإطفاء نور صحوته المباركة التي امتدت إلى اقصى أمصار الارض وسرت إلى أبعد أوصال الأمة. آمليين أن تكون المساهمة بمستوى المسؤولية الرسالية الكبيرة التي أُلقيت على عاتق حملة العلم والفكر وأهل الحل والعقد من رجال الاسلام وقادته.. وما التوفيق إلّا من عند الله.

وفي هذا العدد ننشر الجزء الثاني مما وردنا من أصحاب العلم والفضيلة في موضوع الندوة آمليين أن نوفق لنشر ما يردنا تبعاً في الأعداد اللاحقة إن شاء الله تعالى.  
«التحرير»

بسم الله الرحمن الرحيم

### سماحة السيد كاظم الحائري

قال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>١</sup>.

وقال عزّ من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

إننا حينما نتكلم عن التوحيد بين فرّق المسلمين ننفي معنيين ونثبت معنى واحداً:  
أما مانفيه:

فاولاً- ننفي رفع اليد عن نقاط الفرق بين المذاهب سواء الأساسية منها، كما هو الحال في معرفة معنى الإمام ومعرفة شخص الإمام، أو الفرعية منها، كما هو الحال في الخلافات الكثيرة الموجودة على مستوى الفروع الفقهية، كبعض الفوارق التي توجد في الوضوء أو في الصلاة أو في الحج أو غيرها، فحينما نؤكد ضرورة التوحيد لانقصد بذلك ضرورة رفع هذه الخلافات؛ فإن رفع هذه الخلافات أمر غير ممكن، وتجريد المذهب

## ندوة

عنها يعني مسح هوية المذهب، ولا أحد من المؤمنين المخلصين يدور في خلد هذا المعنى، أو يتوقع من صاحبه الذي يعتنق مذهباً آخر غير مذهبه التنازل عن تلکم الفوارق.

وثانياً - ننفي الامتناع عن البحث عن حَقَّانية هذا المذهب أو ذاك، أو عن صحة هذا الرأي أو ذاك من الرأيين المختلفين، في أصول المذهب كالإمامة، أو في الفروع كالصلاة والصوم، بل يجب أن يبقى باب النقاش الحر الموضوعي السليم مفتوحاً على مصراعيه، كما هو الحال أيضاً في النقاش بين الاتجاهات المختلفة لدى علماء مختلفين ضمن إطار مذهب واحد؛ فإنَّ طريق النمو العلمي وطريق اكتشاف الحقيقة هو النقاش والبحث في المسائل المختلف فيها، وسدَّ هذا الباب يعني سدَّ باب الوصول إلى الحقيقة والمنع عن النمو العلمي، وهذه خطيئة لا تغتفر.

وأما ما نشبهه، فهو: ضرورة التآزر والتكاتف والتناصر، والعيش الأخوي، وتراص الصف، والتراحم والتعاطف ودفاع بعضهم عن بعض، بين الفرق والفئات المختلفة والمذاهب المتشعبة، الذين يجمعهم الإيمان بالاصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. وذلك بوصفهم معتنقين لدين واحد، فهم جميعاً مشمولون للنص المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلمون إخوة، تكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»<sup>١</sup>.

ونحن الشيعة، ندين الله بهذه الوحدة بيننا وبين إخواننا السنة، وسائر فرق الاسلام، سواء اعترف إخواننا الآخرون بذلك أم خالفوا، والذي يدلنا على وجوب هذا التوحيد أمور:

أولاً - إن الشريعة الإسلامية جعلت كل فرق المسلمين سواء في الحقوق، فالشيعي يرث السنِّي والسنِّي يرث الشيعي، وحقوق الزوج على الزوجة لا تختلف باختلافهما في المذهب أو عدم اختلافهما، ولا يشترط في أصل الزواج اتفاقهما في المذهب، وفي القصاص والديات لا فرق بين شيعي وسنِّي أو سائر فرق الاسلام، فكل المسلمين في جميع هذه الحقوق وما إليها يكونون من وجهة نظر فقهاء المصريح به من قبل جميع

(١) الوسائل ١١: ب ٣١ من قصاص النفس، ح ١.

## ندوة

علمائنا الأعلام سواء كأسنان المشط، ولئن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أن الشريعة الإسلامية أرادتهم جسماً واحداً وأمة واحدة، ولم تُردّهم متفرقين متشتتين يعادي بعضهم بعضاً.

ثانياً - التصريحات الأكيدة في روايات أهل البيت عليهم السلام على صلة العشائر والأرحام والخطاء من الناس، وعبادة مرضاهم، وشهادة جنازتهم، وأداء أماناتهم، وما إلى ذلك من حسن السيرة معهم، وإن اختلفوا معك في المذهب، فهذا هو الحديث المروي في الكافي بسند صحيح عن معاوية بن وهب، قال: قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطانا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟

قال عليه السلام: «تنتظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنازتهم، ويسيرون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم»<sup>١</sup>.

وأيضاً روي في الكافي بسند صحيح عن زيد الشحام عن الصادق عليه السلام: «... صلوا عشائركم<sup>٢</sup>، واشهدوا جنازتهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري. فيسرني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر، فوالله لحديثي أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، أدّاهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنه لأدانا للأمانة وأصدقنا للحديث»<sup>٣</sup>.

وهذا كله يعني: أن أئمتنا عليهم السلام لم يكونوا يقبلون بأيّ تمييز في طريقة التعامل وحسن التصرف بين أبناء المذاهب المختلفة، ماداموا جميعاً مسلمين.

وثالثاً - مما يؤيد ما استتجناه بعض الروايات الصحيحة السند الواردة لدى الشيعة عن أئمتهم عليهم السلام، الدالة على أن «من صلّى خلف الإخوة السّنة في الصف الأول

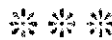
(١) أصول الكافي ٢: كتاب العشرة باب ما يجب من المعاشرة، ح ٤.

(٢) علماً بأنه لم تكن توجد في عصر صدور النص عشيرة يكون جميع أفرادها من الشيعة.

(٣) نفس المصدر ح ٥.

## ندوة

كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>١</sup> وقد ورد في رواية أخرى:  
«إنّ المصلّي خلفهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله»<sup>٢</sup>.  
وقد أفتى بالصلاة خلفهم، وخاصّة بلحاظ أيام الحج، سماحة المرجع الأعلى مفجّر  
الثورة الإسلامية وقائدها السيد الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه كما وتبعه على ذلك  
قائد الثورة الإسلامية اليوم سماحة آية الله السيد علي الخامنئي حفظه الله.  
هذا هو موقفنا نحن كشيعّة باتجاه إخواننا السنّة، وباتجاه سائر الفرق الإسلامية،  
ونحن بانتظار الموقف المماثل من قبل إخواننا في الإسلام كافّة.  
وعلى جميع المسلمين أن يلاحظوا أن موقف الاستكبار العالمي الشرس تجاه جميع  
المسلمين واحد، فنفس الموقف الدموي الوحشيّ الذي نراه في العراق تجاه شيعة  
العراق نراه أيضاً تجاه الأكراد السنّة في العراق وتجاه سائر المسلمين، ونرى نفس  
الموقف الوحشيّ للإنسانيّ تجاه المسلمين في فلسطين، وفي لبنان، وفي أفغانستان،  
وفي البوسنة والهرسك، وفي شتّى أطراف العالم.  
كما ونلفت نظر إخواننا المسلمين غير الشيعة إلى الموقف المشرف للجمهورية  
الإسلامية في إيران باتجاه كل هذه الأحداث، كيف أن موقفها تجاه السنّة لم يختلف عن  
موقفها تجاه الشيعة، فهي دافعت عن المسلمين السنّة الفلسطينيين بنفس النسق الذي  
دافعت به عن شيعة لبنان، ودافعت عن المسلمين السنّة في البوسنة والهرسك وسائر  
المناطق بنفس أسلوب دفاعها عن شيعة العالم.  
ألا يعني هذا التجسيد الحقيقي للوحدة بالمعنى المعقول من الوحدة بين فرق  
المسلمين؟  
وأما أنّ للمسلمين أن ينتبهوا إلى أنّه حان الوقت لتوحيد الكلمة، وللتأزّر والتكاتف  
ضدّ العدوّ المشترك الكافر تحت الحنان الأبوي للجمهورية الإسلامية وبقيادتها المباركة  
الرشيدة؟



(١) الوسائل ٥: ٣٨١ ب ٥ من صلاة الجماعة ح ١ و ٤. (٢) نفس المصدر: ٣٨٢ ح ٧.

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي (لبنان):

أ- عالمية الاسلام:

إن دعوة الاسلام لا تقتصر على زمان دون زمان ولا على جيل دون جيل فهي دعوة عالمية تستقطب إلى نورها البشر جميعاً ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾<sup>١</sup>.

ب- وحدة الأمة:

ولكن الاسلام بعالميته هذه لا يراد له أن ينتشر أفقياً دون أن يحقق لهؤلاء الناس في الوقت ذاته ربطاً عميقاً محكماً يشد بعضهم إلى بعض برباط الأمة الواحدة: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾<sup>٢</sup>.  
وتستند عملية الربط هذه إلى أسس ومنطلقات يتحتم تركيزها من خلال دافع التكليف الإلهي والبعد عن كل مايؤودها ويخل بها بوازع من المسؤولية الشرعية.  
ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وآله، مستقرئين تلك الأسس ومتلمسين تلك المنطلقات لوجدنا أن الاسلام يعتبر الأمة المسلمة بمثابة أسرة واحدة لها قيم واحد يشرف على شؤونها ويدبر أمورها وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أنا وعلي أبوا هذه الامة»<sup>٣</sup>.

ج- الامة المسلمة في القرآن والسنة:

وأما ما يشد هذه الامة بعضها إلى بعض فهو روح أخوة نبيلة لا يفجرها فقط العطف والمحبة والحنان، وإنما هي أخوة مسؤولة تتحمل أعباؤها بوعي وحيوية وعمق وتؤثر آثارها الايجابية على الصعيد العملي والواقع الخارجي:  
فقد قال سبحانه: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. وفرغ على ذلك: ﴿فأصلحوا بين

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(١) سبأ: ٢٨.

(٣) البحار ٣٦: ٦.

## ندوة

أخويكم<sup>١</sup> وقال عزّ من قائل: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾. ثم فرّع على ذلك ﴿يأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>٢</sup>.  
وعن الصادق عليه السلام «إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»<sup>٣</sup>.

### د - ركائز الأخوة المسؤولة الواعية:

وبعد أن تقررت لدينا عالمية الاسلام وأنه يسعى لايجاد وحدة حقيقة تقوم على أساس الاخوة المسؤولة الواعية فإننا إذا راجعنا التاريخ الاسلامي فسنجد أن النبي صلوات الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين في المدينة قد جعل تلك الاخوة مرتكزة إلى أمرين اثنين هما: الحق والمواساة.

فالحق، هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات وتبنى عليه المعاملات وليس المصالح الشخصية ولا الأهواء ولا الميول ولا الانفعالات العاطفية ولا المصالح القبلية، أو الاقليمية، أو الفئوية أو غيرها.

وعن طريق الحق يحصل التفاهم ثم الرضا ثم الثقة المتبادلة، ويكون من ثم هو الفيصل في كل مقام تختلف فيه الأهواء والمصالح.

وإذا توّصل إلى الحق بنتيجة الاحساس بالمسؤولية الشرعية والانسانية ومن خلال الاخوة والمحبة والحنان فذلك أضمن لبقائه واستمراره بخلاف ما إذا جاء عن طريق التحدي والقوة والعصا، فإن علينا أن نتظر غياب الحق آنذاك بمجرد غياب تلك العصا وهاتيك القوة.

والمواساة تعني درجة أعلى من العدل لأنها تقتضي في أحيان كثيرة البذل والتضحية لمصالح الآخرين والتخلي عن كثير مما نكتسبه لأنفسنا من خلال العدل الذي يرجع بدوره إلى الحق.

وعن طريق المواساة تستطيع الأمة مواجهة الظروف الطارئة والتقليل من آثارها السلبية وكذلك مواجهة جميع أشكال الضغوط التي يمكن أن يمارسها عليها أعداؤها

(٢) التوبة: ٧١.

(١) الحجرات: ١٠.

(٣) بحار الانوار ٧٤: ٢٦٤.



## ندوة

من سياسية واقتصادية وعسكرية أو غيرها بهدف القضاء عليها أو امتصاص طاقتها الایمانية.

### هـ- بين الوحدة والاتحاد:

فالوحدة إذأ ضرورة إنسانية ومصيرية للأمة، ولكنها تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد وكثير من البحث والتمحيص للحقائق العلمية، ثم إلى تربية نفسية لخلق درجة من الاستعداد والسمو لتحقيقها.

وريشما يتحقق ذلك لا يمكن للأمة أن تترك خطر أعدائها يجتاحها ويلتهم مقدراتها ويستأصل شأفة الاسلام والمسلمين بل لابد لها من تعامل وحدوي فيما بينها. وهذا الاتحاد، أو ققل هذا التعامل الوحدوي، مطلوب إسلامياً، ومحبوب بمختلف أبعاده ودرجاته، وعلى جميع المستويات، ولكنه ليس هو كل المطلوب، وإنما هو بديل إضطراري موقت لابد من القبول والرضا به بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية على أسسها الاسلامیة والإنسانیة الواقعیة.

### و- التقريب بين المسلمين ومبادراته:

وعلى طريق الوحدة والاتحاد بين المسلمين وفي طولهما تمس الحاجة إلى التقريب بينهم والتعارف والتفاهم وتبادل وجهات النظر وإطلاع أتباع كل مذهب على المذهب الآخر من مصادره، وعلى ألسنة علمائه ومن خلال أعلامهم وبعبداً عن العقد والحواجز. ولقد بذل المخلصون من المفكرين والعلماء على مر العصور محاولات كثيرة في هذه السبیل، ونستطيع أن نذكر مثلاً على ذلك في خصوص الآونة الاخيرة هو مبادرة آية الله العظمى السيد حسين البروجردي قدس الله نفسه الزكية إلى تأسيس دار التقريب، ثم فتوى الشيخ شلتوت بصحة التعبد بالمذهب الجعفري.

ولابد من أن نخص بالذكر جهود آية الله العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين الذي ألف كتابه المهم (المراجعات) وكتابه القيم (الفصول المهمة في تألیف الأمة) وقد ذكر فيه الكثير الكثير مما يساعد على التقريب والتفاهم بين المسلمين فضلاً عن نبذة مهمة جداً من أقوال أشهر أئمة المذاهب الاعتقادیة والفقهیة وجلة من العلماء فيما

## ندوة

يتعلق بالشيعة والتعبد بمذهبهم.

أما بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران، فقد كانت الوحدة الاسلامية والسير الجدّي في طريقها والتأكيد على الاتحاد والتقريب بين المسلمين، الشغل الشاغل لكل المسؤولين فيها، ولعل أعظم الناس إصراراً على هذا الأمر هو إمام الأمة وقائد المستضعفين آية الله العظمى السيد الخميني قدس الله روحه وقد سعى إلى ذلك سعياً حثيثاً قبل انتصار الثورة وبعد قيام الدولة الاسلامية.

وعلى الصعيد الفكري، فإن المحاولات كثيرة ومتنوعة ومنها إقامة العديد من المؤتمرات وكتابة البحوث الكثيرة وغير ذلك.

ولأبأس هنا بالتنويه بعمل جيد مهم بادر إليه بعض الاخوة، إذ قام بجمع الروايات المشتركة لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء، ونظّمها وبوّبها وذكر مصادرها ونشر ذلك على شكل مقالات في مجلة التوحيد التي تصدر عن «مؤسسة الاعلام الاسلامي» في إيران، وهذه المبادرة تظهر بما لا يدع مجالاً للشك أنّ حوالي تسعين بالمائة من الروايات الفقهية لدى السنة والشيعة تشترك فيما بينها إما لفظاً ومعنى، أو معنى على الأقل.

وما أروع أن يبادر العلماء المسلمون إلى تشكيل لجان مشتركة لدراسة الموضوعات المتفق عليها أولاً، وتمييزها، ثم دراسة المسائل الخلافية، بروح علمية نبيلة تهدف إلى رضا الله سبحانه وخدمة الانسان والانسانية، وبالاتكاء على الثقة المتبادلة والاحساس بالمسؤولية الشرعية والوجدانية.

ومن الجدير بالذكر والتقدير عودة الروح إلى فكرة التقريب بين المسلمين وتجديد الحركة باتجاهها وتأسيس مركز لها في إيران الإسلام - بعد أن توقفت في مصر لعوامل متعددة - وذلك بنفح وتوجيه من ولي أمر المسلمين سماحة آية الله السيد الخامنئي حفظه الله.

### ز- الاستعمار الحَكَم:

هذا ومن المضحك المبكي أن نجد الاستعمار الكافر ينصب نفسه حكماً في المسائل الاسلامية: الاعتقادية منها والفقهية على حد سواء، فيؤيد وجهة نظر فريق

## ندوة

(وهو الذي يتعامل معه) ضد الفريق الآخر، حرصاً منه على زرع الفتنة في الأمة الإسلامية، ومن أجل الحفاظ على تلك القواعد والمنطلقات الفكرية التي أسس بها الاعداء بصورة أو باخرى إلى أذهان بعض المسلمين، لأنها تخدم مصالحهم، وتمكّنهم من الحفاظ على الامتيازات التي جعلوها لانفسهم، وتساعدهم على تنفيذ خططهم الرامية إلى الاستمرار في تأزيم العلاقات فيما بين المسلمين أنفسهم، حتى لا يمكنهم التفكير بأي مظهر من مظاهر الوحدة بل الاتحاد أيضاً، بل إن هؤلاء الاعداء يعملون على تجنيد الفريق الذي يتعامل معهم لمحاربة أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد في جميع أنحاء العالم، والعمل على ألا يمر ذلك بخيال أي انسان على الاطلاق.

### ح - نداء وتحذير:

هذا وإن مما يؤلم حقاً أن نجد بعض الحكام باسم الاسلام يوادّون من حادّ الله ويسرون في ركاب المستعمر الكافر، وهم في الوقت نفسه ينصبون العداء لإخوانهم من المسلمين، ويحاربونهم بكل ماأوتوا من قوة وحول متذرّعين بحجج واهية وأقويل خاوية أبرزها: إن إخوانهم المسلمين لايقبلون بوجهة نظرهم في بعض المسائل الفرعية أو بعض التفصيلات العلمية في بعض المسائل الاقتصادية غير مكلفين أنفسهم عناء البحث في الحجج التي يستندون إليها ولا ملتسمين لهم أي عذر في ذلك، مع أنّ إخوانهم يملكون من الحجج القويّة على مايزهبون إليه الشيء الكثير، ومع أنّ مسألة المواءة للمستعمر الكافر تفوق في خطرها على الاسلام وعلى المسلمين كل خلاف مذهبي حتى كثيراً من الاعتقادات فضلاً عن خلاف في مسألة فرعية لا خطر لها إطلاقاً بالقياس إلى ذلك الخطر الداهم حيث إنّ خلافاً كهذا لا يعدو أن يكون خلافاً بين المجتهدين في فهم الإسلام وهم لا يتحرّون إلّا الحق والواقع ورضا الله سبحانه ماوجدوا إلى ذلك سبيلاً فإن أخطأوا فلهم أجر وإن أصابوا فلهم أجران.

فلماذا لا يكون التعامل بهذه الروحية وعلى أساس من أخلاقيات الاسلام السامية بعيداً عن نزوات الأهواء وفي منأى عن تأثيرات العواطف غير المتزنة ولا المسؤولية. والتي يكون المستفيد الوحيد منها هو العدو المشترك المتمثل بقوى الكفر والإستكبار العالمي؟

مجله نشر اسلامي ( ٢ )

## شرح رسالة الامام الخميني قدس سره الى غورباتشوف

سماحة الشيخ عبد الله الجوادي الآملي  
ترجمة وتعليق الشيخ مجتبی المحمودي

«أهمية دعوة الزعماء والقادة»\*

إنَّ من أبرز خصائص الدين الإسلامي شموله وخلوده. شموله لكافة الطبقات والشعوب، وخلوده واستمراره على مرَّ الزمان. وانطلاقاً من هذا فهو يدعو العالم بأجمعه إلى الدين الحنيف: ﴿تَزَلُ الْفِرْقَانِ عَلَى عِبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>١</sup>. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>٢</sup>. ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾<sup>٣</sup>. والعلماء الصادقون هم ورثة الأنبياء؛ وميراثهم إنما هو إبلاغ الرسالات الإلهية إلى مسامع القلوب من دون أن يخشون أحداً إلا الله: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>٤</sup>.

يشترط في دعوة الملحدّين إلى التوحيد احتمال تقبلهم للدعوة، إلا في الجهاد الابتدائي، فإنه يتم على أساس إتمام الحجة وقطع العذر لا غير: ﴿مَعذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾<sup>٥</sup>. إن إرشاد الأنبياء وإن كان لا ينفع إلا بالنسبة إلى المتقين، ولكن لا بد أيضاً من إنذار الطاغين المستعجلين: ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾<sup>٦</sup>. إن دعوة الأنبياء كانت تبدأ دوماً وبصيغة رسمية من مراكز القدرة، ثم تنتشر إلى سائر

(٢) سبأ: ٢٨.

(٤) الأحزاب: ٣٩.

(٦) مريم: ٨٧.

(١) الفرقان: ١.

(٣) المدثر: ٣٦.

(٥) الأعراف: ١٦٤.

الأكثاف والجهات: ﴿... لتنذر أم القرى ومن حولها﴾<sup>١</sup>.

إنَّ عامة الناس وسوادهم إنما هم على طريقة سادتهم وكبرائهم: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا﴾<sup>٢</sup>، فمن الطبيعي أن تبدأ الدعوة من قادة المجتمع وزعمائه.

وبعد الالتفات إلى هذه الأصول يتيسّر لنا فهم السرّ في دعوة الامام الخميني وفي هذا المقطع الحساس من التاريخ - الزعيم السوفيتي إلى الإسلام.

### \* (البرهان والموعظة، دعامتا الدعوة) \*

إنَّ الشرط الأساسي في الدعوة إلى التوحيد إنما هو إتقان المضمون وتقوى الداعي، فإنه مع افتقاد أيّ واحدة من الرّكيزتين سوف لا تتحقّق النتائج المفروضة لتلك الدعوة والهداية: ﴿إنّه لقول فصل وما هو بالهزل﴾<sup>٣</sup>. ﴿أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾<sup>٤</sup>. إنَّ على كلّ مفكّر ناقد أن يبحث عن الإتجاهات والمدارس الفكرية المختلفة، ثمّ يتبنّى الأحسن منها: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾<sup>٥</sup>. والقرآن الكريم يرى أن أحسن القول هو مبدأ التوحيد والتحرّز عن أغلال الشرك، ويشترط في الداعي إلى هذا المبدأ أن يكون نموذجاً إسلامياً وصلاًحاً مجسّداً في المجتمع: ﴿ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾<sup>٦</sup>.

إن دعوة الأنبياء تأتي موافقة لما عليه الفطرة الإلهية؛ والفطرة المودعة في الإنسان تعرف الحق وتطلبه، وبناءً على ذلك يكون للدعوة النبوية مجالان: مجال البرهان، وذلك ليؤمن متطلّبات العقل النظري. ومجال الموعظة، لتلبي حاجة العقل العملي: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾<sup>٧</sup>. وإذا كان هناك حديث عن الجدل الأحسن فإنه يقع بعد مرتبة البرهان والموعظة ولغرض الإجابة عن حاجات العقل النظري. ونستلهم ممّا أوردناه الحكمة في احتواء رسالة إمام المتقين على البرهان والموعظة

(١) الأنعام: ٩٢.

(٢) الاحزاب: ٦٧.

(٣) الطارق: ١٤.

(٤) يوسف: ١٠٨.

(٥) الزمر: ١٧، ١٨.

(٦) فصلت: ٣٣.

(٧) النحل: ١٢٥.

وسلوكلها سبيل الجدل الأحسن على ضوء البرهان، فلم يترك لمذهب الإلحاد طريقاً للخلاص: ﴿فأين تذهبون﴾<sup>١</sup>

### \* «مطابقة نظام التشريع لنظام التكوين» \*

قُررت الحقائق العلمية البيّنة بهدف استكمال الروح الإنسانية، فإنّ العقول البشرية تهتدي إلى هذه البيّنات، وتتغذّى من المعارف الأصيلة، وتتخلّص من شقاء الجهل، وهذا الشأن لا يرجع إلى إنسان دون إنسان... كذلك خلقت السواد الغذائية الضرورية لتغذية الأبدان. وخلق العالم مسخراً لكل الناس. ولا يتحدّد النيل من المواهب الطبيعية بطائفة دون طائفة: ﴿وما من دابة إلا على الله رزقها﴾<sup>٢</sup>. ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً﴾<sup>٣</sup>. ﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾<sup>٤</sup>. وبما أنّ التشريع يطابق التكوين، فلذا لا يجوز حصر الثروات الطبيعية في أيدي طبقة معينة، سواء كانت هي الحكومة أو أصحاب الأموال الطائلة: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾<sup>٥</sup>.

إنّ انحصار الثروات العامّة في طبقة خاصة سيؤدّي إلى إسراف وإتلاف المرفهين الذين لا يحسّون بالآلام الآخرين، ويسبّب أيضاً اضطهاد المستضعفين المعذّبين. لأجل ذلك يجب على حماة الإسلام الصادقين أن لا يصبروا أمام هذا الحيف والظلم، وأن لا يقرّوا النظم الحاكمة على الغرب أو الشرق: «أخذ على العلماء ألا يقارّوا على كفة ظالم ولا سغب مظلوم»<sup>٦</sup>. و«ما جاع فقير إلا بما مُنِع به غنيّ والله تعالى سائلهم عن ذلك»<sup>٧</sup>.

### \* «دور الإقتصاد في المجتمعات البشرية» \*

يعتبر النظام الاقتصادي للإسلام الثروة بمنزلة العمود الفقري بالنسبة إلى البدن، فهي الأساس في قيام الحياة وقوامها، ولذا فإن الشعوب المتخلفة والفقيرة، تفقد الأساس

(١) التكوين: ٢٦.

(٢) الجانية: ١٣٢.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة: ٣٢٨.

(٥) هود: ٦.

(٦) فصلت: ١٠.

(٧) نهج البلاغة: الخطبة الشفقية.

والركن لحياتها.

وبما أن المجتمعات الفقيرة لاتقدر على الصمود أمام أصحاب القوة والثروة فلذلك تقسم المجتمعات إلى طبقتين: إحداهما الثرية المستكبرة، والأخرى المتخلفة المستضعفة. وفي حالة كهذه سوف تقع الطبقة المترفة في منزلق الإفراط والإسراف، وتصطدم الطبقة المضطهدة بالتفريط والعناء، وهذا هو الانحراف عن خط الدين القويم: «لا ترى الجاهل إلا مفراطاً أو مفراطاً»<sup>١</sup>.

### \* «عدم محورية الاقتصاد» \*

لا تلحظ النظرية الإسلامية الاقتصاد إلا كعنصر فوقى في الهيكل العام للنظام الإسلامي، ولا تنظر إليه بما هو المبنى والاساس، وإن القول بمحورية الاقتصاد هو بمعنى التغافل عن الأصل والتشبث بالفرع.

وأما ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه، فلولوا الخبز ماصليتنا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا»<sup>٢</sup>. فهو وصف لما عليه عامة الناس، ولا يتضمن إيضاء أو أمراً بهذا الشأن، كيف وإن كثيراً من الصحابة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يعانون الفقر والمحنة، وهم والحال هذه يجاهدون ويدبّون عن الإسلام أيضاً<sup>٣</sup>.

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٧٠.

(٢) فروع الكافي ٥: ٧٣.

(٣) يجدر الالتفات إلى أن إنكار كون الوضع الاقتصادي هو المبنى والاساس لايتنافى مع ما ذكره سماحة الكاتب (الشارح) في المقطع السابق من كلامه من كون الاقتصاد هو بمثابة العمود الفقري لحياة المجتمعات البشرية. إذ إن هناك موضوعين:

الأول: أن الاقتصاد -بمعنى توافر المواد والسلع الضرورية لتأمين الحاجات المعيشية- هو الأساس لقيام الحياة المادية واستمرارها، وأن التخلف الاقتصادي لاينتج إلا انهيار وزوال المجتمعات الفقيرة. وهذا ما اعترف به الكاتب «الشارح» في الفقرات السابقة.

الثاني: أن الوضع الاقتصادي هو العامل الرئيسي للمجتمع في نشوئه وتطوره، وهو الذي يحدّد أوضاعه السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية وما إليه من ظواهر الوجود الاجتماعي. وهذه هي الفكرة الماركسية عن المجتمع والتاريخ. وهذا هو الذي أنكره سماحته في المقطع الأخير من كلامه.

### \* «مساعدة المحرومين لا تعني الاعتراف بنظام الفقر والغنى»\*

إن تشريع بعض الأحكام، كالخمس والزكاة، لم يكن بهدف الإيقاع والتأكيد على نظام الفقر والغنى؛ ولنوضح ذلك بمثال: إن الشريعة الإسلامية أمرت بصرف الزكاة في عتق الرقيق «وفي الرقاب»<sup>١</sup>، ولكن ليس ذلك بمعنى التحريض والترغيب في الاسترقاق، كيف ونحن نرى أن الفقهاء قد خصصوا في كتبهم الفقهية بحثاً تحت عنوان «كتاب العتق» ولا يوجد موضوع باسم «كتاب الرق». كذلك فإن إعانة الفقراء والمحرومين هي أحد موارد صرف الزكاة، ولا يعني ذلك أنه تكريس وتأييد لنظام الفقر والغنى لكي يوصي الإسلام الفقير بالصبر، والغنى بالشكر.

نعم ليس حرمان البؤساء ومسكنتهم حكماً دينياً - كالزكاة حتى يجب الحفاظ عليه أو الدفاع عنه، بل إن النظام الإسلامي يحاول أن يؤمن المعيشة على مستوى الرفاهية النسبية للجميع، كما أن ذلك سيتحقق في عصر ظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه ولا يتعارض مع سائر الأحكام الشرعية الثابتة في عصر الظهور.

أضف إلى ما سبق أن الثروات العامة - كالزكاة - يجب بذلها في موارد متعددة، وفي مقدمتها: «الإنفاق في سبيل الله»، (وهذا عنوان عام يشمل جميع المصارف المتناسبة في كل زمان) وبناءً عليه فإن هذه الأحكام صالحة للتنفيذ والتطبيق أبداً، ولا يجوز توهم نسخها أو بطلانها وزوالها.

### \* «دور الشروط المتغيرة في الاجتهاد»\*

إن الظروف والأحوال المتغيرة كالزمان والمكان ... لها الدّخل التام في تغيير موضوعات الأحكام الشرعية، والأحكام بدورها تتغير تبعاً لتغير موضوعاتها. بل تؤثر هذه الظروف أيضاً في نظرة الفقيه إلى الأحكام الشرعية وكيفية استنباطه لها، فإنه قلنا كما مرّ: إن الفاصل الكبير في المستوى المعيشي سوف يؤدي إلى انحراف كلتا الطبقتين عن خط الاعتدال (وهذا يشمل ويؤثر على نتائج دراسات الفقهاء المتواجدين في هذه



## \* «ضرورة التوجه إلى القدرات والقابليات الفردية» \*

يتميز البعض من الناس في ذكائهم وقدراتهم عن الآخرين، وذلك أمرٌ له مكانته واحترامه، وإنَّ إختلاف الناس في الإبتفاع من المواهب والخيرات الماديّة والمعنوية أمر معترف به مادامت الرفاهية النسبيّة مضمونة للجميع، ولا تكون القدرات والقابليات الذاتية وفرض المساواة الظالمة عدلاً وقسطاً. ولذا نرى المفكرين الماركسيين بدأوا يفكرون في تعديل أو إعادة البناء لمذهبهم تحت عنوان «البروستاركا».

كما أنَّ إلزام الشعب بالصمت والكتمان بدلاً من تأمين الهدوء والإطمئنان لهم لا يعدّ من الوعي السياسي للقادة، ونتيجة للإحساس بهذا الأمر، اضطرّ المفكّرون الماركسيون إلى التخطيط وتنظيم القوانين لتأمين الحرية السياسية للشعب «جلاس نوست»، ومن الواضح أنهم لا ينظرون إلى الحرية السياسية إلّا بما هي وسيلة للإزدهار والتقدم الاقتصادي، ولكن مهما كان المقصود من ذلك فإنَّ تغيير الآراء في هذا المجال يدلّ بوضوح على فشل المحاولات التي تهدف إلى التغلب على مقتضيات الفطرة الإنسانية. وفي ضوء ما بيّناه نستكشف المغزى الحقيقي لما قاله الإمام الخميني رضوان الله عليه، حيث قال في رسالته مخاطباً غورباتشوف: «إنَّ أول موضوع يضمن نجاحكم هو إعادة النظر في سياسة أسلافكم المتمحورة حول إنهاء الدين والإعتقاد بالله». وقال: «من الممكن أن تميلوا إلى العالم الغربي بمغرياته، لكن الحقيقة هي في مكان آخر».

## \* «المفارقات بين الحق والباطل» \*

إن الباطل دائماً كالشوك في طريق الحق، وصدّ عن سبيل سالكي الحقيقة: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>١</sup>.

لكن هناك فروق بين الحق والباطل. فإنَّ الحق هو تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. والباطل لا أصل له فلا استقرار له

## دراسان

أيضاً.

والحقائق كلها متواصلة ومرتبطة، والأباطيل منقطعة ومنفصلة. وإنَّ سلسلة الحقائق تتصل بالحق المحض والحقيقة الصافية وهو الله سبحانه، بينما الباطل هو حصيلة شيطنة الوهم ووساوس إبليس.

ولذلك يقول ربُّ الوجود: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾<sup>١</sup>، ﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾<sup>٢</sup>. ويقول أيضاً بشأن الترابط في سلسلة الحقائق: ﴿أرسلنا رسلاً نترى﴾<sup>٣</sup>. ويقول عن تبدُّد الأباطيل: ﴿وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾<sup>٤</sup>. ويقول في اتصال سلسلة الحقائق بالله عزوجل: ﴿الحق من ربك﴾<sup>٥</sup>. ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾<sup>٦</sup>.

ونقول استناداً إلى ماسبق: إنَّ الحق هو كالشجرة المثمرة تبقى مترسّخة ثابتة، وأما الباطل فهو كالغُشْب الطفيلي ينبت أحياناً ويَجْتَنُّ بعد قليل: ويرى القرآن أنَّ المصير المحتوم لأنصار الباطل هو التمزُّق والسيان: ﴿فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾<sup>٧</sup>. ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية﴾<sup>٨</sup>. ولذلك يصرِّح قائد الثورة الإسلامية في رسالته: «يجب أن نبحث بعد هذا عن الشيوعية في متاحف التاريخ السياسي للعالم... فلم يعد اليوم في عالمنا المعاصر شيء باسم الشيوعية. .... يجب أن تُظهرُوا تاريخ بلادكم من متبقيات الإنحراف الشيوعي الذي ساد بلادكم مدة سبعين عاماً».

### \* «الشوق الفطري إلى الله سبحانه»\*

إنَّ الفطرة الحنيفة تتطلَّب أن يعشق الإنسان خالق الكون، ويفتَمَّ ويحزن في هجره عنه، ويفرح بالوصول إليه، ويرى ذكره شفاءً وعلاجاً لأسقامه، وشكره سبباً للمزيد من لطفه، وإنَّ وَهْنَ الإنسان وتكاسله قد أخسره وأضله، فلم يبق له إلاَّ التحسُّر والتضرُّع،

(٢) إبراهيم: ٢٦-٢٤.

(٤) الحشر: ١٤.

(٦) الحج: ٦٢.

(٨) الحاقة: ٧ و ٨.

(١) نوح: ١٧.

(٣) المؤمنون: ٤٤.

(٥) البقرة: ١٤٧، وآل عمران: ٦٠.

(٧) سبأ: ١٩.

والإستكانة، فتراه يثّر من هجره «وسلاحه البكاء»<sup>١</sup>. ويقول في وصاله: ﴿وإذا سمعوا مأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتمنا مع الشاهدين﴾<sup>٢</sup>. وحينما يفقد ما يدافع به عن حريم الإسلام تجري دموعه: ﴿تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾<sup>٣</sup>. ويبكي فزعاً من أهوال يوم القيامة: «وأراق دموعهم خوف المحشر»<sup>٤</sup>.

وبذلك تتضح الأصول القرآنية لما قاله الإمام العظيم في رسالته: «عند ما ارتفع نداء الله أكبر وأعلن الإيمان برسالة خاتم الانبياء من مآذن مساجد بعض جمهورياتكم، تفجرت دموع الشوق في أعين كافة أنصار الإسلام المحمدي النقي الأصيل».

### \* «أهمية المعرفة بالنفس» \*

إنّ اتخاذ أيّ تدبير بشأن القضايا المختلفة إنّما هو رهين الإيمان بالايديولوجية الخاصة، وكلّ إيديولوجية تتكيّف وفقاً للنظرة الخاصة عن الكون والوجود. كما أنّ النظرة الكونية تابعة لنظرية المعرفة، وذلك بمعنى أننا لو لم نعرف المعرفة نفسها ولم نتفهم مدى قدرة الإنسان على معرفة عالم الوجود، لم تتمكّن من تحصيل مفهوم مستدلّ عن الكون أيضاً. كل ذلك صحيح، لكن المعرفة بالمعرفة أيضاً لا تتم إلا في ضوء العلم بالنفس، لأنّ المعرفة بالنفس - وهي العلم بأوصاف النفس - مقدمة على كل معرفة حتى على المعرفة بالمعرفة أيضاً.

ولذلك ترى الحكمة المتعالية<sup>٥</sup>: أنّ العلم بالنفس من أهمّ الأركان في تحصيل النظرة

(١) دعاء كميل.

(٢) المائدة: ٨٣

(٣) نزلت الآية في سبعة نفر من قبائل مختلفة أو من الأنصار أتوا إلى رسول الله - قبل غزوة تبوك - فقالوا: يا رسول الله إحملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فرجعوا عن النبي وأعينهم تسيل من الدمع لحزنهم ألا يجدوا ما يركبونه من الدواب. وتام الآية هي: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون» التوبة: ٩٢. أي لا حرج على هؤلاء في التخلف عن الجهاد. مجمع البيان الطبرسي ٣: ٦٠

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٢.

(٥) هو المذهب الفلسفي القائم على أنّ المعرفة تحصل من طريقتين: طريق البحث والتعلّم والتعليم الذي يستند على الأقيسة والمقدمات المنطقية، وطريق العلم اللدني الذي يحصل من طريق الإلهام والكشف والحدس.

## دراسان

الإلهية عن الكون. قال صدر المتألهين: «معرفة النفس ذاتاً وفعلاً مرقاة لمعرفة الرب ذاتاً وفعلاً»<sup>١</sup>.

إن من غفل عن حقيقة نفسه ولم يعرف إلا الجسم والجسمانيات، سيصبح الحس هو المحور الوحيد للمعرفة عنده، ولا يعترف بشيء إلا ما وقع الحس عليه، ويقول: «المادة أو الوجود هو ما نحس به بالحواس والإدراكات»<sup>٢</sup>.

نعم من لم يعرف نفسه كيف يمكنه أن يعرف الشؤون الذاتية لنفسه فضلاً عن أن يدرك العالم الخارج عن وجوده؟ «العالم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره»<sup>٣</sup>. «أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه»<sup>٤</sup>. «نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس»<sup>٥</sup>.

يتحدث القرآن الكريم عن رأي الذي خسروا نتيجة لسيان أنفسهم: ﴿قد خاب من دسأها﴾<sup>٦</sup> ويقول عن الذين حصروا الوجود في المادة وعن رأيهم حول إنكار المبدأ والمعاد: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾<sup>٧</sup>. ويحكي عن موقفهم تجاه الوحي والرسالة ويقول: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾<sup>٨</sup>. ويعبر عن تفكيرهم حول مبدأ الحس وإنكار الوجود خارج إطار الحس ويقول: ﴿لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾<sup>٩</sup>. ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾<sup>١٠</sup>.

ويرى أن الفرق بين العلمين كالفرق بين علم من يعلم بالحلاوة بالوصف وبين علم من يعلمها بالذوق وأن الثاني أفقر وأحكم.

والمبتكر لهذه الطريقة هو الحكيم الإلهي صدر الدين محمد الشيرازي (المتوفى ١٠٥٠ هـ) حيث كرّر في كتبه وأكد مرّة بعد أخرى على ضرورة الجمع بين البرهان والذوق، كما جمع هو وتفرد بهذا الجمع. فيبلغ ما لم يبلغه أحد من فلاسفة المصور الإسلامية. قال في المبدأ والمعاد: ٢٧٨: فأولني أن يرجع إلى طريقتنا في المعارف والعلوم الحاصلة لنا بالمازجة بين طريقة المتألهين من الحكماء والمليين من المرفاء. (اقتبسناه من مقدمة الأستاذ العلامة محمد رضا المظفر على كتاب الاسفار الاربعة لصدر الدين الشيرازي).

«التحرير»

(١) الأسفار ٨: ٢٢٤.

(٢) أصول الفلسفة: جورج بوليتسر، عن الترجمة الفارسية: ٢٤: ٢١.

(٣) ميزان الحكمة ٢: ١٥٧.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

(٥) الشمس: ١٠.

(٦) الفرق والدرر- الأمدي.

(٧) الأنفال: ٣١.

(٨) الحائية: ٢٤.

(٩) النساء: ١٥٣.

(١٠) البقرة: ٥٥.

ثم يقسم القرآن الوجود إلى الغيب والشهادة - أي المجرد والمادي - ويرى أن الله هو الغيب المطلق الذي لا يباشره الحس لا في الدنيا ولا في الآخرة، لا في اليقظة ولا في المنام، لا في الطبيعة ولا في عالم المثال، لأنه منزّعة عن الصورة الحسية والجسد المثالي ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾<sup>١</sup>. فلا تدركه الأبصار، لأنه لطيف ومجرد عن المادة والمثال، ويدرك الأبصار، لأنه خبير بالذات.

### \* «دور الإدراكات العقلية في تنسيق المدركات الحسية» \*

إن الأعمال الحركية للجسم تنشأ عن الإرادة النفسية والروح المجردة. ومالم تنظم الإرادة الروحية القوى المحركة للجسم فلا تنتظم أعمال الإنسان انتظاماً معقولاً، كذلك مالم تنسق المدركات الحسية بالرؤية العقلية، فلن يستقيم نظام الإدراكات الحسية للإنسان أبداً، وذلك لأن الحواس لا تعطي ولا تفيد إلا المفردات من التصورات البسيطة المحضة، وإن تأليف هذه المفردات الحسية وربطها، وتجربتها عن الملابس الأجنبية؛ كي تعمّم، ويحمل الجزئي على جزئي آخر أو الكلي على جزئي آخر أو الكلي على كلي آخر، كل ذلك إنما يحصل بفعل القوة المدركة للحقائق غير المحسوسة. ومن هنا يمكن القول بأنه ليس حدوث أي مادي متوقفاً على المجرد فحسب، بل إن معرفة كل محسوس أيضاً تتوقف على المعقول، كما جاء ذلك في نص الرسالة.

### \* «الوجود لا يساوق المادة والمعلول» \*

إن الذي لم يعرف حقيقة نفسه، بل حصر المعرفة في مضيق الحس، فهو كما يرى الوجود مساوقاً للمادة، كذلك يحسب أن كل وجود معلول. أي أن المادية والمعلولية تساوقان الوجود عنده، فهو لا يؤمن بوجود غير مادي أو غير معلول، ولأجل ذلك يزعم أن القول بوجود الواجب وغير المعلول نوع من المثالية، ويعتقد أن تحقق الموجود من غير علّة لا يكون إلا من الصدفة والإتفاق، وأن سلسلة الموجودات غير متناهية. وأيضاً لا يمكنه التسليم بتقسيم الوجود إلى الواجب والممكن، ولا يميّز بين التسلسل الممكن

للمتعارفات، والتسلسل الدفعي المستحيل للعلل والمعلولات<sup>١</sup>.  
لكن كما أن الفلسفة الإلهية لا ترى العدم - من حيث كونه عدماً - ملاكاً ودليلاً  
للمعلولية (فلا تؤمن بأن الشيء لا بد أن يكون ذا علّة، لأنه معدوم)، كذلك لم تذهب إلى  
القول بأن الوجود - من حيث كونه وجوداً - مقتضياً وسبباً للمعلولية<sup>٢</sup>، (فيكون الشيء  
بحاجة إلى العلّة لأنه موجود). بل يرى أنّ دليل المعلولية يكمن في وصف الموجود،  
وقد اختلفت الأنظار في تعيين ذلك الوصف بأنه هل هو حدوث الموجود، أو الإمكان  
الماهوي له، أم الامكان الفقري<sup>٣</sup>؟

### \* «تجرّد النفس الإنسانية» \*

إنّ الانسان (السليم غير المتطرف) المتعشّق الولع للطبيعة وإن لم يتمكن من المعرفة  
الشهوديّة بنفسه، لكنه يتحقّق بالمعرفة الحصولية بالنفس، كما أن المرحلة الضعيفة  
الباهتة من العلم الحضورى بالنفس متيسّرة لكل الناس<sup>٤</sup>.

(١) إشرط الحكماء في استحالة التسلسل أموراً، منها: أن تكون جميع آحاد السلسلة غير المتناهية مجتمعة في  
الوجود وموجودة بالوجود الدفعي الفعلي، لا أن يوجد أحدها وينعدم فيوجد الثاني على سبيل التعاقب، فإن  
ذلك ليس بمستحيل، كما هو في الحوادث الزمانية المتعاقبة، فإنها وإن كانت غير متناهية لكن لا دليل على  
استحالتها، لعدم اجتماعها في الوجود. «نهاية الحكمة، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٥٠»  
«التحرير»

(٢) شرح الإشارات، الفصل الثاني من النمط الخامس.

(٣) هناك ثلاث نظريات عن سرّ احتياج الأشياء إلى العلّة:

١. الحدوث: وهي النظرية التي تعتبر حاجة الأشياء إلى أسبابها مستندة إلى حدوثها، أي لأنها أمورٌ حدثت بعد  
العدم، كوجود السخونة في ماء لم يكن ساخناً، وهذه هي النظرية المعروفة عن علماء الكلام.  
٢. الإمكان الماهوي: ترى هذه النظرية أنّ السبب يكمن في إمكان الماهية - أي ماهية كانت، كالشجر والحيوان  
و... - لأنها متساوية النسبة إلى الوجود والعدم، فلا تخرج عن حد التساوي ولا يُرجّح جانب الوجود فيها إلا  
بالعلّة. وهذا هو الرأي المنسوب إلى جمهور الحكماء.

٣. الإمكان الفقري: هذه النظرية هي للفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي حيث يعتقد أنّ سرّ  
الاحتياج يكمن في الكنه الوجودي للمعلول، لا في حدوثه وماهيته، أي أنّ المعلول وجود تملقي وربطي ولا  
كيان له إلا التعلق والإرتباط بالعلّة، فسبب الاحتياج إلى العلّة ليس إلا الفقر الوجودي للمعلول. راجع: فلسفتنا آية  
لله العظيم الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٢٩٣.

(٤) العلم الحصولي هو العلم بالشيء من خلال الملم بصورته ومفهومه الذي ينتقل إلى الذهن، وبعبارة أخصر:  
هو حضور صورة الشيء لدى الذهن، كعلمنا بالماء والهواء.  
أما العلم الحضورى فهو العلم بالشيء مباشرة ومن دون توسط المفهوم والصورة. وبتعبير آخر: هو حضور

## دراسان

فالذي يستنتج من العلم الحضورى والحصولى بالنفس هو أن الإنسان وإن كان يمتلك جسماً مادياً متحولاً، لكن هناك حقيقة غير مادية في وجوده هي حاضرة غير غائبة عنه، واحدة غير متكررة، ثابتة غير متغيرة، مجردة غير مادية، لأنها بعيدة كل البعد عن الصفات العامة للمادة، كالنغير والتكثف والقبول للإنقسام، على حين أن الظواهر المادية لا تتخلف عن هذه الأوصاف. فلو كان الإنسان في حقيقته مشتملاً على بعد مجرد عن المادة، فهل يبقى مجال للتأكيد على أن الوجود مساوق للمادة، أو أنه لا وجود لغير المادة؟

### \* (الطريق الفطري إلى الله) \*

إن إمعان النظر في عظمة الروح الإنسانية يكشف لنا أن الإنسان منجذب بفطرته إلى الكمال المطلق وإن كان قد يخطيء في تطبيق ذلك، وقد يسلك سبيل الشر لغرض الوصول إلى ذلك الخير المطلق.

إن أهم الكمالات الوجودية وأبرزها هي الحياة والقدرة والعلم، فالإنسان يحب الخلود ويكره الموت والفناء؛ ويريد القدرة اللامتناهية ويتجنب عن وصمة العجز؛ ويعشق العلم المطلق والابتعاد عن عار الجهل.

إن هذا الشوق والرغبة إلى الكمال المطلق لا يمكن أن يكون عبثاً وهزلاً، وإن المنهج الإلهي والمادي في التفكير يرفضان ذلك رفضاً باتاً، وذلك لأن الرؤية الإلهية للكون تقتضي الإيمان بأن يكون العالم بكل ظواهره وحقايقه مخلوقاً لله الحكيم، وأن تكون لصنائه وبدائعه غايات معينة. والشوق إلى الكمال اللامتناهي - الذي هو من صنعه أيضاً - لا يكون عبثاً وفارغاً عن المصداق، بل إن هذا الإنجذاب الفطري يحكي عن وجود ذلك الكمال المطلق وله دلالة أيضاً على أن الوصول إليه ميسور للإنسان، إذ لولا ذلك لكان خلق الظاهرة هذه لغواً.

وأما الطريق للوصول إلى مبدأ الكمال، فهو عبارة عن سلوك منازل التوحيد الذاتى والصفاتى والأفعالي: «لا إله إلا الله وحده وحده» إذ إن هذه الفقرة ليست تكراراً

---

الشيء - لا صورته ومفهومه - لدى النفس، كعلمنا بنفسنا التي نعبر عنها بـ أنا - وكذا علمنا بحالاتنا النفسية، كالغضب والحزن والفرح.

## دراسان

لمضمون واحد، بل هي تفيد التوحيد بشعبه الثلاثة.  
ولذا يرى صدر المتألهين أنَّ الشوق إلى الحياة الأبدية دليلٌ على ثبوت حياة الآخرة بعد الموت<sup>١</sup>.

وأما على حسب المنهج المادي فإنه يستنتج الموضوع بمعونة مقدمة حسية، وهي: أنه لا يوجد شيء عبث في عالم الكون، فإذا كان النبات ظامئاً للماء، فإنَّ ذلك أمانة قطعية على وجود الماء عيناً. وإذا كان الحيوان جائعاً للطعام، فإنَّ هناك طعاماً يقيناً. وعلى أية حال فإنَّ الشوق إلى الكمال المطلق والخلود دليلٌ على وجود المطلق والحي الأزلّي الذي لا يحده شيء وهو الله سبحانه: وأنَّ الإنسان يتمنى ويطلب الوصول إليه وقطع التعلق عن غيره، ولذا نرى أنَّ الرسالة الموجهة تصرّح: «إننا كلُّنا متوجهون إلى الله سبحانه وإن كنا لم نشعر بذلك».

(١) الأسفار ٩: ٢٤١. المبدأ والمعاد: ٤٥٦.



## مِن أَمْسِ الْأُمَّةِ إِلَى غَدِهَا

شعر: الدكتور مصطفى جمال الدين

عودي لأمسكٍ ينطلقُ منكِ الغدُ  
يا أمةً يَبْسُ الزمانُ، وعُودُها  
تسري بأعماقي السنين جذورهُ  
ما ارتاع من عَسَفِ المحول ولا اتثنى  
ومذٍ اشتكت تلك الجنائن حوله  
ألقى رِواء الهدى بين غصونها  
وَسَرَتْ بها بعد الذبول غضارةُ القرآن  
وتطلعتْ فإذا بسِتةٍ أحمدٍ  
وإذا النبوةُ في الوجوه نضارةُ  
وإذا بصرعي الجاهلية في الوجع  
وإذا بمكةً وهي صُمٌّ جنادلٍ

ماعاش في ديك النبي محمدُ  
رَبَّانٌ من نبع النبوة أَمَلْدُ<sup>١</sup>  
وتشُدُّ أذرعةُ النجوم فيصعد  
بيد العواصفِ فرعةُ المتأوِّدِ<sup>٢</sup>  
مما يعبكُ بها الخريفُ الأجرد  
فأفاق حتى الهامدُ المتقصدُ<sup>٣</sup>  
تُخَصِّبُ روحها وتوردُ<sup>٤</sup>  
سُحْبٌ يفيض بها النعيم ويرقدُ  
والعقل نورٌ والقلوبُ تودُّدُ  
حُمَمٌ، وفي ليل المتبهة فرقد  
سود لمؤتلي الكواكب مقصد

\*\*\*

عودي لدربك لا يصدك أنه عسيرٌ ودرب الآخرين مُعبَّدُ

(١) الأملد: الناعم اللين.

(٣) المتقصد: المنكسر.

(٢) المتأوِّد: المتمايل.

(٤) الغضارة: النعمة وطيب العيش.

## فنون وآداب

وبأن أمسك من متاعب شوطه  
فالمجد لا ترقى إليه أمة  
والفكر لم يقبسه يوماً خاطر  
هودي لأمسك، لا لأنك من رؤى  
ولأن روحك في السراة غريّة النجوى  
كلا فدربك في الحياة ودرهم  
وسيصحوان غداً ليلغ شأوه  
هودي لأن غداً طرقت رتاجه  
يبنى الجديد على القديم وخيرما  
ويغور في النسيان وهج حضارة  
سنن الحياة على الرمال قلاعها

\*\*\*

يا أمة القرآن لم يذبل على  
تندى به، خصل البيان، تلاوة  
وتشب فيه بالفتوح سرية  
ويكاد حتى الصخر لو رنت به  
هدرت به لغة كأن حروفها  
تساءل الكلمات، وهي ثقلة:  
- للشعر نسبة؟ - ونعرف أنه  
لكنه مهما استطال يظل في  
يا أمة القرآن أمسك مخصب  
مابالك استدبرته وتركته  
يلقيه في حلك القلوب تبرك

شفتيك هذا اللؤلؤ المتوقد  
وينث، عطر الخشوع تهجد  
ويضج منه بالمعارف مسجد  
آيائه يصغي لها ويرد  
من طيب ماحملت شذى متجسد  
من أين هذا الفارس المتفرد؟  
بوح الحياة وزهوها المتمرد  
حصر أمام شموخه يتنهذ  
بوريف ما أعطى ويومك أريد  
يختال بين بنيه وهو مصفد  
ويذيه بين الشفاه تعود

(١) غريّة النجوى: مولعة بالنجوى.

(٢) التشب: المال الأصل، النادر المستحسن، المتلد: القديم.

(٣) المحتد: الأصل. (٤) الوريف: الواسع الممتد، الأريد: المقط.

## فنون وآداب

ويكاد يستجدي محبة فتية لولا توهج نوره لم يهتدوا

\*\*\*

يأمة بهز الخلود لدائها وتأتق التاريخ في خطواته  
العدل أسس العلوم فريضة والناس عند ولاتها وقضاتها  
والأرض أرض الله، لا كسرى بها ومحمد عرش الممالك دونه  
وعلي ذو الثوبين يكسو (قمبراً) والراشدون خلافتاً وأئمة  
حتى إذا فتحوا الفتوح وأسرجوا وزهت بوهج ذبالة في (يثرب)  
ألفيتنا يحدو طلائع ركبنا وتشعبت طرق المتيه، فسرق  
فيما أقام بها البناة وشيدوا يجلو بها ماسرعوه، وقعدوا:  
والحكم شورى والسياسة سؤدد شرع، سواة عبدتهم والسيد  
يهب الحياة، ولا هرقل يسعد قدراً، على خشن الحصيرة يرقد  
أغلاهما، وله الرخيص الأجرد ماين أقدام الرعية أعبد  
الدنيا فضاء بها الزمان الأسود عرق بأعلى (طاشقند) هجد  
تية ويغمرهن ليل سرمد الاعمى.. وعرب في دجاء الأرم

\*\*\*

يأمة الاسلام وقفه حائر عودي لأميك تركبي طرق الهدى  
وأمام عينك حاضر متقدم فتخيري ماتشتين وجددي  
وتعددي طرقاً فلا توهي السرى فالرأي تصقله العقول تخالفت  
والخوف ليس بأن نكون منائراً والخوف أن يئنى فريق مسلم  
والخوف من لقيا عدوك شاهراً تزين فيها: مايربح ويجهد  
فالأرض سهل والركائب، حشد فيه من الرشد الوفير الأجود  
همماً تكاد من التغرب تهمد سعة المذاهب والمدى متوحد  
نظراً، وقد يصديه عقل مفرد شتى تضيء لنا الطريق وترشد  
بحطام آخر مثله يتبدد!! لأخيك صارم حقيه فتمجد -

## لننن وأداب

والخوف أن (العنصرية) هومت  
والخوف أن (الطائفية) تبني  
ونطير أسراباً نرفرف حولها  
زمناً.. فأيقظها الدم المستورد  
أعشاشها بين العقول فنحمد  
ونتب فضل دماننا ونفرد

\*\*\*

يا قوم حسبكم التفرق في المدى  
والطائفية - وهي أسوء ماسعى  
ويكاد (رمز الطائفية) - وهو من  
ما انفك يلمز من ذرى أحسابنا  
نحن العراق، شموخه وإباؤه  
عزب تكاد عروقنا ممتا بها  
وجرى بنا الاسلام سيل حضارة  
وامتد وهج (القادسية) من دما  
أكون محشنا لأن قلوبنا  
ويكون عذر بني آيينا أنهم  
هيك صدقتم ماتنطع فيه من  
أفستكون وقد أحال خرائباً  
حتى كان بكر بلا (حائط المبكى)

فالليل طاع، والضياغ مُعربد  
أعداؤكم فيه - ثمان وتعضد  
تدرون بُغضاً للتدين - يُعبد  
حنقاً فيعجمنا لكم أو يهندا<sup>١</sup>  
وكريم ما أعطى بنوه وأنجدوا  
من (دارم) و(مجاهش)<sup>٢</sup> تنفصد  
وتمدن يرغي هذاه ويريد  
آبائنا حتى (الشعبية) يشهد<sup>٣</sup>  
من نبع آل محمد تزود  
خُدعوا ببارق مايقول فأرعدوا  
خرق اليهود منافق متهود<sup>٤</sup>  
مثنى الأئمة جيشه المستأسد  
وفي النجف، (الكنيست) يُعقد

\*\*\*

يارملة النجف الشريف تذكرني  
حنث فكان لها بذكرك مسرح  
أشرق بي نوراً وغرسي ناعم  
ووقيتني عثر الشباب فما التوث

ظماً العيون ففي يدك المورد  
وشكت فكان لها برمك أئمد  
وزهوت بي ثمرأ وعودي أغيد  
قدم.. ولا ادتد لناقص يد

(١) يلمز: يميم.

(٢) مجاشع: هو ابن دارم بن مالك، قبيلة عربية من عدنان ينسب إليها الفرزدق الشاعر.

(٣) الشعبية: منطقة في جنوب العراق تابعة للبصرة تمتاز الآن بكثرة آبار النفط فيها.

(٤) تنطع: تفصح وتائق وتحذق.

## فنون وآداب

وعبرت بي نهر الكهولة لم يضق  
حتى إذا الستون أثقل جذعها  
ألفيتني وملاب رملك في مدى  
ووجدتني أنأى وأحمل في دمي  
أعزز علي بأن أراك فرسة  
يعميه أنك للعراق منارة  
وبأن حمراء القباب تزينها  
فطفئ ليغسل فيك عاز هزيمة  
كذب الغرور فلن يهد عقيدة

ذرعاً بصارتي الشراع المجهد  
ثلج الشتاء وباخ ذاك الموقد<sup>١</sup>  
عينني من زهر الكواكب أبعد<sup>٢</sup>  
من ذكرياتك ما به أتجلد  
لنيوب وحش لم يزل يترصد  
ولشعبه عند الشدائد منجد  
لهم دماء سراتها لا العسجد  
ألقاه فيها من بهم يتمرد  
سيف لدى (أم المعمارك) مغمد<sup>٣</sup>

\*\*\*



(٢) الملاي: طيب يشبه الزعفران.

(١) باخ: سكن وفتر وخمد.

(٣) أم المعمارك: الاسم الذي أطلقه صدام على حربه في الخليج مع دول التحالف.

دور أهل البيت في المجتمع

# في بناء الكتلة المالحة

(١)

## «الاهداف»

سماحة السيد محمد باقر الحكيم

### تمهيد:

لقد عمل أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الاسلامي على خطين رئيسيين وفي دائرتين متداخلتين:

الأول: العمل في الخط العام للأمة وفي الدائرة الواسعة لها، حيث كانوا يتفاعلون مع عموم الأمة وأطرافها الواسعة. وفي مجال هذه الدائرة لم يكن يتميز الموالون والمؤمنون بأهل البيت من أبناء الأمة عن غيرهم إلا بمقدار الولاء السياسي والحب العاطفي والالتزام الأخلاقي تجاههم والطاعة لأوامرهم.

الثاني: العمل في الخط الخاص وفي دائرة النخبة من المسلمين الذين كانوا يتفاعلون مع أهل البيت بمستوى عالٍ. ويؤمنون بفلسفة دورهم في النظرية الاسلامية القائمة على أساس الإمامة للمسلمين والخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنصوص عليها من قبل الله تعالى.

ونلاحظ أن الدائرة الثانية لم يتم فرزها ونموها وتطورها وبالتالي تميزها عن الجماعات الأخرى ضمن الدائرة الأولى، بحيث أصبحت كتلة لها معالمها الخاصة وعرفت بشيعة أهل البيت بمجرد تفاعل الأمة العام مع حركة أهل البيت. بل تم ذلك

بجهد وتخطيط من الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لإيجاد تلك الكتلة. وبعبارة مختصرة لم يتم وجود هذه الكتلة بصورة عفوية ونتيجة لعمل الأئمة في الخط العام للأمة بحيث أفرزَ هذه النخبة المؤمنة فحسب، بل كان ذلك أيضاً بصورة هادفة ومقصودة ونتيجة للتخطيط الذي رسمه ونفذ الأئمة لبناء تلك الكتلة وإيجادها. ذلك أن أئمة أهل البيت كانوا يدركون أن أهدافهم في الدفاع عن كيان الإسلام وحفظ وجوده لا يمكن أن تتحقق بمجرد العمل على المستوى العام والدائرة الواسعة، لأن تحقيق هذا الهدف وبأبعاده المختلفة إنما يمكن أن يستمر إذا توافرت شروط الوعي الدائم والزخم العاطفي المستمر والعنصر القيادي في الأمة الذي يقوم بمهمة التوعية وإدامة الزخم.

ولذلك نجد أئمة أهل البيت عليهم السلام يتوجهون -بالإضافة إلى نشاطهم العام -إلى هذا الخط والنشاط في الدائرة الخاصة منذ البداية. فها هو الإمام علي عليه السلام يقوم بهذه المهمة فيبني الكتلة الصالحة في المدينة المنورة، ويوسع من قاعدتها بعد ذلك في الكوفة على يد سلمان الفارسي وعمار بن ياسر، وفي لبنان على يد أبي ذر الغفاري، وفي اليمن خلال المدة التي قضاها متولياً لشؤون هذا الإقليم.

## الفصل الأول:

### الأهداف

يمكن تلخيص الأهداف الأساسية من وراء بناء الكتلة الصالحة في نفس الأهداف التي عرفناها لدور الأئمة عموماً وهي حفظ الوجود الإسلامي من خلال المحافظة على الحكم الإسلامي والمجتمع الإسلامي والكتلة البشرية التي تفتحت للإسلام، وليتضح ذلك نشير إلى النقاط التالية:

أ- المساهمة في قيادة التجربة الإسلامية (استلام الحكم الإسلامي):  
لا شك في أن الهدف الأول والأهم من وجود الأئمة وأطروحتهم في الرسالة الخاتمة هو قيادة التجربة الإسلامية والوصول بها إلى الدرجة العالية من التكامل كما أشرنا إلى

ذلك في بداية هذا البحث. حيث كان التخطيط الرباني للرسالة الخاتمة يقضي أن تبلغ التجربة هذه الدرجة التكامليّة خلال المدّة التي تتولّى فيها الحكم القيادة المتمثلة بالأئمة المعصومين الاثني عشر على المستوى المعنوي والعلمي والخلقي، ومستوى العلاقات والتنظيم، والمستوى المادي في التنمية الاقتصادية والضمان والتكافل الاجتماعيين والقوة العسكرية، وانتشار الدعوة الإسلامية وثقافة الإسلام في مختلف أرجاء العالم، وغير ذلك من شؤون الحياة الإنسانية.

وكان إقصاء أهل البيت عن هذا الدور الأساس - بفعل الانحراف، وسوء الاختيار، والأهواء الشخصية والسياسية - السبب في هذا التخلف والإحباط والأوضاع السيئة التي تعيشها البشرية الآن وفي العهود السابقة. ويتحمل الإنسان المسؤولية في هذا الأمر كما يتحملها في جميع المواجهات وقضايا الإحباط الأخرى عبر التاريخ البشري تجاه رسالات الأنبياء عندما تخلفت البشرية عن الاستجابة لرسالاتهم ونداءاتهم الربانيّة ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾<sup>١</sup>.

وقد حاول الأئمة أن يعيدوا الحق إلى نصابه، وخططوا لاستلام التجربة الإسلاميّة بعد إقصائهم عنها عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكان أحد معالم هذا التخطيط بناء الكتلة الصالحة التي يمكن أن يكون لها دور المساهمة في قيادة التجربة الإسلامية. ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح من خلال دراسة المرحلة التي عاشها الأئمة الثلاثة الأوائل (علي والحسن والحسين) عليهم السلام حيث كانت محاولة استلام هذه القيادة قائمة كهدف مطروح على مستوى تلك المرحلة والخطاب السياسي في الأمة.

وقد تمكّن الامام علي عليه السلام بالفعل من الوصول إلى هذا الموقع القيادي، واستمر

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) لاشك في أنّ الامام الحسين (عليه السلام) - كما سنذكر في تحليلنا لحركته - كان يعلم بأنه لا يصل إلى استلام قيادة التجربة، ولكن الهدف المعلن والمطروح له وخطابه السياسي وكذلك نشاطه السياسي إنما كان يصب في هذا الاتجاه وهو ما تقتضيه وظيفته الشرعية ومسؤوليته الإنسانية وتفرضه الظروف الموضوعيّة، وإن كان هدفه الواقعي من هذا التحرك تحقيق أمور أخرى.



هذا الأمر مدة قصيرة من حياة الإمام الحسن عليه السلام. ثم كان المسلمون يأملون أن ترجع التجربة إلى سابق عهدها في زمان الإمام الحسين عليه السلام إلى أن حدثت المأساة المروعة في كربلاء.

ولا شك أن النخبة الصالحة التي تمكّن الإمام علي عليه السلام من تربيته وبناء الوضع الروحي والتنظيمي لها، وكذلك ما قام به الإمام الحسن عليه السلام من المحافظة عليها حيث كان أحد الأهداف المهمة لاتفاقية الهدنة مع معاوية هو المحافظة على هذه الكتلة مما مكّنها أن تقوم بدورها الرائد في زمن الإمام الحسين عليه السلام. إذ تمكّنت أن تكسر الجمود وحالة الاستسلام للحكم الأموي، وتعطي المبرر الموضوعي والاجتماعي لحركة الإمام الحسين عليه السلام التي استهدفت الإطاحة بالحكم الأموي، وتهيب الأراضية لتأخذ ثورة الحسين عليه السلام مداها الواسع في أوساط الأمة الإسلامية ويكون لها تأثيرها في مسار التاريخ الإسلامي.

ففي مرحلة الأئمة الثلاثة الأوائل يمكن أن نقول: إن الهدف الأول والأهم من بناء الكتلة الصالحة هو المساهمة في عملية استلام قيادة التجربة الإسلامية، وهو هدف يأتي منسجماً مع الأعمال التي قام بها الأئمة عليهم السلام على مستوى الحفاظ على الأمة الإسلامية في بعدها الأول وهو إقامة الحكم الإسلامي الأصيل سواء على مستوى الوجود الخارجي لهذا الحكم الذي تحقق على يد الأئمة لمدة قصيرة، أو على المستوى النظري والطموح. إذ أوجد الأئمة تياراً في الأمة يدعو لإقامة هذا الحكم بحيث كان أحد عوامل الضغط لتصحيح مسار الحكم على مرّ التاريخ الإسلامي.

وقد تبين لنا أن هذه النخبة الصالحة كان لها دور عظيم في قيادة التيار الإسلامي الجماهيري الذي كان يدعو لخلافة الإمام علي عليه السلام منذ زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ويضغط خلال ذلك الزمن باتجاه أن يكون الخليفة بعده هو الإمام علي عليه السلام. ولكن ترشيح الخليفة عمر للخليفة بعده على أساس الشورى السادسة وجعله الخيار بيد عبد الرحمن بن عوف إذا انحصر الأمر بين شخصين كان محاولة لامتصاص هذا التيار الجماهيري بطريقة محسوبة ومع ذلك فقد وجدنا أن الضغط الجماهيري يفرض على ابن عوف أن يطلب في البداية من علي عليه السلام أن يتصدى للخلافة. ولكنه يضع شرطاً لهذه البيعة وهو يعرف مسبقاً أن علياً عليه السلام يرفضه.

## دراسان

وتتوضح فاعلية هذا التيار الجماهيري بعد ذلك عندما تحدث فتنة قتل الخليفة عثمان حيث تنهال الجماهير بصورة فريدة على بيعة علي عليه السلام بحيث كان هذا الشيء مما اختص به عليه السلام وامتاز به من جميع الخلفاء الذين سبقوه والذين جاءوا من بعده.

وكذلك كان لهذه النخبة الدور المتميز في الصراع الذي خاضه الامام علي عليه السلام مع مناوييه (عائشة، طلحة والزبير، والأمويين وعلى رأسهم معاوية...) حيث كانت الموازنة التي يعتمد عليها الامام علي عليه السلام في هذا الصراع هي قضية المباديء والقيم في مقابل مقومات الموازنة التي اعتمد عليها مناوؤه وهي المصالح والمنافع الدنيوية المنظورة والمكاسب الملموسة التي يحس بها الإنسان، وفي هذه الموازنة لم يكن من الممكن للإمام علي عليه السلام بسبب الظروف النفسية والتاريخية القائمة - أن يستمر في الصراع أو أن يحقق نجاحاً فيه لولا وجود هذه النخبة الصالحة التي كان قد بناها في أوساط الأمة.

ولذلك وجدنا هذا الوضع المتميز لأشخاص أمثال: مالك الأشتر وهاشم المرقال ومحمد بن أبي بكر وقيس بن سعد بن عباد وحجر بن عدي والأصبغ بن نباتة وميثم التمار وكميل بن زياد والحارث الهمداني ورشيد الهجري وعبد الله بن العباس وغيرهم، فضلاً عن بقايا الصحابة أمثال: عمار بن ياسر وابن التيهان وعثمان بن حنيف أولئك الذين كان يحزن الإمام علي عليه السلام لفقدهم ويبكي عليهم ويحس بالفراغ الكبير الذي تركوه في التحرك الإسلامي الكامل.

واستمر هذا الدور بشكل فاعل لهذه النخبة حتى زمن الإمام الحسين عليه السلام حيث كانت آخر محاولة واضحة ومكشوفة لمساهمة هذه النخبة في استلام قيادة التجربة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

### ب - المحافظة على المجتمع الاسلامي:

وتأتي مهمة المحافظة على المجتمع الاسلامي كهدف ثانٍ لبناء الكتلة الصالحة في

(١) يمكن أن يذكر هنا دور الكتلة الصالحة في استلام الحكم من خلال فهم نظرية أهل البيت عليهم السلام في قضية استلام الحكم.

## دراسان

نظر الأئمة عليهم السلام ولقد كان للكتلة الصالحة دور متميز في المحافظة على المجتمع الإسلامي سواء في أيام حضور الأئمة سلام الله عليهم أو بعد الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وذلك أن بناء الكتلة الصالحة لم يكن لمجرد تكثير الأنصار والمهتدين أو توسعة دائرة الأفراد الصالحين والإستعانة بهم في العمل السياسي الذي كان يمارسه هؤلاء الأئمة فحسب، وإنما كانت هناك أهداف أخرى أعمق ترتبط بالأهداف العامة للأئمة عليهم السلام على جميع المستويات والأبعاد بحيث تؤديها هذه الجماعة الصالحة من خلال وجودها وتماسكها ومنها المحافظة على وجود المجتمع الإسلامي.

ويمكن أن يتضح ذلك بملاحظة النقاط والظواهر التالية:

١- قيام النخبة الصالحة بالمحافظة على قوة المجتمع الإسلامي وتماسكه من خلال الدفاع عنه أمام أعدائه الخارجيين والداخليين. فقد كان لشيعة أهل البيت ومواليهم دور كبير في صد عمليات الغزو الأجنبي التي واجهها العالم الإسلامي في المرحلة المتأخرة من زمن العباسيين في الحروب الصليبية من خلال الحمدانيين أو الأدارسة في شمال أفريقيا أو محاربة الغزو المغولي في الشرق الإسلامي. وكذلك القضاء على حركات التمرد للكفار والوثنيين في مناطق طبرستان وبلاد ماوراء النهر وغيرها.

وكان الأهم من ذلك هو الدفاع الذي قام به رجالات الشيعة بتوجيه من أئمة أهل البيت في مواجهة حركات الإلحاد والزندقة أو موجات التفسخ الأخلاقي التي عمّت حواضر العالم الإسلامي في المدينة المنورة ومكة والكوفة والبصرة والشام وبغداد وغيرها حيث يظهر ذلك واضحاً من خلال المطارحات والمناقشات والمدارس التي أسسها أتباع أهل البيت والأخلاق التي كانوا يتصفون بها، ومقاومتهم لمظاهر الإنحلال والفساد والظلم.

٢- تقديم القدوة الصالحة في المجتمع الإسلامي في عصر كادت أن تطفئ فيه المنافع الذاتية والمصالح الخاصة وتشتري فيه ضمائر الناس وألستهم ويتاجر بالدين والحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتبرير مختلف التصرفات والسلوكيات المنحرفة.

وقد أهتم أهل البيت بهذا الأمر اهتماماً بالغاً حتى دعا الإمام الصادق عليه السلام شيعته

أن يكونوا القدوة الصالحة والأسوة في السلوك بين المسلمين للمحافظة على المجتمع الإسلامي من ناحية وهداية الناس إلى طريق الحق من ناحية أخرى.

فقد روى الكليني بسند صحيح عن صفوان بن يحيى عن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اقرأ علي من ترى أنه يعطيني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برأ أو فاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بأداء الخيط والمخيطة، صلوا عشائركم، واشهدوا جنازتهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان علي غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، أداها للأمانة، وأقضاها للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان إنه أداها للأمانة، وأصدقنا للحديث».

إن الفقرة الأخيرة من الحديث تشهد بشكل واضح على هذا الدور الذي حققه أتباع أهل البيت فيما يرويه الصادق عن أبيه الإمام أبي جعفر الباقر عليهما السلام.

٣- دور شيعة أهل البيت في قضية الانسجام مع بقية أطراف المجتمع الإسلامي والمسلمين من بقية المذاهب الإسلامية حيث كانوا يمارسون التقية مع هذه الأطراف تحقيقاً للانسجام وترسيخ روح التعايش بين المسلمين وتأكيد التماسك بين الجماعات الإسلامية.

والتقية وإن كانت في أحد أبعادها قد حققت لشيعة أهل البيت عنصراً من عناصر الحماية لوجودهم والوقاية من عمليات القمع التي كان يمارسها أعداؤهم المتسلطون ضدهم، ولكنها لم تطرح في مدرسة أهل البيت من خلال هذا البعد فقط بل طرحت في بعد آخر وهو تحقيق الوحدة والانسجام في المجتمع الإسلامي، ولذا نجدهم يحرضون

شيعتهم على إيجاد روح التضامن والتكامل والوفاء بالمهود والمواثيق مع بقية أطراف المجتمع، ويحثونهم على المعاشرة وحسن الجوار والحضور في الجنائز والمساجد وعيادة المرضى مع التأكيد على عدم إمكان الاستغناء عن الناس والحاجة إليهم.

وقد التزم أتباع أهل البيت هذه التوصيات ومارسوها من موقع القوة والقدرة. ولذلك لم يعرف عن شيعة أهل البيت أنهم مارسوا عمليات القمع والاستئصال ضد أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى حتى في الحالات التي كانوا يمسون بها بأزمة الأمور، وإنما كانوا دائماً يتمسكون بنهج الدفاع عن النفس عندما يتعرضون للعدوان في أشد الحالات. وقد يتمسكون بالصبر والسكوت وتحمل ألوان الأذى والهضم لحقوقهم الطبيعية تأثراً بهذا النهج.

ولننظر إلى النص التالي الذي يحدّد فيه الإمام الصادق عليه السلام أحد خلفيات منهج التقية. فقد روى الكليني في الأصول بسند صحيح عن مرّام عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز أنه لا بد لكم من الناس. إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بد لبعضهم من بعض»<sup>١</sup>.

٤- ظاهرة الالتزام بالروح المبدئية والمثل العليا وجانب الحق والعناوين الأولية للأحكام الشرعية في الأوساط الشيعية وأتباع أهل البيت.

حيث أصبح هذا الالتزام ظاهرة يتسم بها شيعة أهل البيت وانتهى بهم أن يعيشوا دائماً في صف المعارضة للحكم، الأمر الذي جعلهم يفقدون الكثير من المكاسب المادية وعرضهم للطغيان. ولكن هذه الروح وهذا النهج كان سبباً مهماً في احتفاظ المجتمع الإسلامي بقيمه ومثله من خلال حركة الإنسان الصالح الذي يتمسك بالحق ويزهد في الدنيا ويطمح إلى تحقيق المثل والأهداف السامية.

وقد كانت هناك فرص كثيرة أمام أتباع أهل البيت أن يتحدروا مع التيار العام الفاسد ليحققوا المكاسب الضيقة كما حصل في بداية عهد العباسيين، وكذلك الاغراءات التي تعرضوا لها في مختلف أدوارهم بعد ذلك، وكذلك في بعض أدوار المغول أو الغزو

(١) الوسائل: أبواب العشر، ب: ١، حديث: ٥.

الأجنبي الأوربي للبلاد الإسلامية، إلا أنهم أبوا لأنفسهم هذا المصير لسبب تلك الروح المبدئية العالية التي كانوا يتصفون بها.

وكان لمواقفهم هذه الأثر الكبير في صمود المجتمع الإسلامي أمام هذه التيارات الغازية، والمحافظة عليه وبقاء روح الرفض والتعالي على الأوضاع الدنيوية.

٥- إطفاء نار الروح العنصرية أو الطائفية أو الإقليمية بين المسلمين من خلال روح الأخوة الإسلامية التي كان يعيشها أتباع أهل البيت خصوصاً في أوساط الشعب العربي الذي برزت فيه هذه الروح في العصر الأموي وكانت سبباً للصراع بين المسلمين وتقسيمهم إلى العرب والموالي ثم امتدت إلى العصر العباسي والعثماني.

وقد كان شيعة أهل البيت بسلوكهم الإيماني يجسدون روح الأخوة بين المسلمين ولا يستشعرون بالامتيازات القومية أو العنصرية، تأثراً بسلوك أئمتهم.

ومن هنا نجد هذا الاتهام الذي واجهه شيعة أهل البيت ولا زالوا يواجهونه حتى الآن من الرمي لهم بأنهم من الأعاجم لأنهم كانوا يتعايشون مع الجميع بروح الاخوة الكاملة. كما كانوا يجدون التعاطف من أوساط الموالي والأعاجم بسبب هذه الروح المنفتحة.

٦- إذكاء روح التضحية والفداء والاحتفاظ بها في أوساط الأمة الإسلامية، وكذلك روح الرفض للظلم والطغيان، ولذلك كان دور هذه الكتلة الصالحة واضحاً عبر التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره في تأجيج الانتفاضات والثورات التحريرية والتصحيحية للأوضاع الفاسدة في المجتمع الإسلامي. حيث كانوا يقومون بها بشكل مباشر أو من خلال تأثير هذه الروح في الأوساط الإسلامية العامة.

وبقيت هذه الظاهرة تحكم مسيرة أتباع أهل البيت وعلاقتهم بأوساط الأمة الإسلامية حتى عصرنا الحاضر الذي تميز بشكل واضح في هذا التأثير المتبادل.

وكان من أهم المميزات التي أختص بها أتباع أهل البيت هي التزامهم بالحرمة المطلقة للتعاون مع الظالم.

فقد روي أن صفوان الجمال كان يكرى إبله إلى هارون الرشيد ليحج عليها إلى بيت الله الحرام، فدخل على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فلما استقر به المجلس التفت له الإمام قائلاً له: يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً.

فذهل صفوان وذابت نفسه، فقال للإمام: - جعلت فداك أي شيء هو؟

- كراؤك جمالك من هذا الطاغية - يعني هارون -  
 - والله ما أكريته أشرأ ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق -  
 يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني.  
 فقال له الإمام: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟  
 - نعم جُعلتُ فداك.  
 - أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟  
 - نعم!  
 - من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً للنار.  
 فانطلق صفوان فباع جماله فبلغ ذلك هارون فاستدعاه فلما مثل عنده قال له:  
 يا صفوان بلغني أنك بعث جمالك؟  
 - نعم!  
 - لم؟؟  
 - أنا شيخ وأنا الغلمان لا يقومون بالأعمال.  
 - هيهات!! إني لأعلم من أشار عليك بهذا أشار به عليك موسى بن جعفر<sup>١</sup>.

ج - حفظ الشريعة الإسلامية والخط الإسلامي الأصيل من التحريف:  
 لقد كان هدف حفظ الشريعة الإسلامية من أهم الأهداف التي استهدفها الأئمة من بناء الكتلة الصالحة، حيث كان أئمة أهل البيت يسعون إلى تحقيق هذا الهدف في زمن حضورهم لكي لا تبتلى الشريعة بعد غياب الأئمة عليهم السلام بالتحريف والضياع بسبب الأوضاع السياسية والأهواء والعوامل الأخرى التي كانت السبب في تحريف الديانات الأخرى وضياعها. الأمر الذي يفرض ضرورة وجود الكتلة الصالحة التي لا بد لها أن تحمل هذه المسؤولية. خصوصاً وأن الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة التي يجب أن تحفظ من الضياع ليس بمنطق المحافظة على المصالح البشرية وتطورها ورفقها الذي يتحقق بالالتزام بالحدود الواقعية للرسالة فحسب. بل بمنطق ضرورة إقامة الحجة من

قبل الله تعالى على الأمة في كل العصور والأزمنة ﴿ثلاثا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾<sup>١</sup>.

من أجل أن يتضح الدور الذي قام به أتباع أهل البيت في حفظ الشريعة الإسلامية والخط الإسلامي الأصيل نشير إلى المعالم التالية في الكتلة الصالحة المتمثلة بأتباع أهل البيت عليهم السلام.

**الأول:** الجانب السياسي الذي يتصف به أتباع أهل البيت في مقاومة الظالمين ومواجهتهم حيث تعرض هذا الأصل الإسلامي إلى محاولات الطمس والإخماد إما بطريقة القمع والمطاردة أو بطريقة التضليل والتحريف. بحيث كانت النصوص والأحاديث توضع على لسان النبي لتبرير الاستسلام للظالمين والقبول بحكمهم وسلطانهم. بحيث تأثرت بذلك الأوساط العامة للمسلمين. وبقيت الكتلة الصالحة من أتباع أهل البيت تلتزم بهذا الخط السياسي ونقلته لنا عبر الأجيال المتعاقبة لا على مستوى الشعار والنظرية فحسب بل على مستوى التطبيق والموقف السياسي الفعلي. بالإضافة إلى أن هذا الموقف السياسي كان يتعالى بمدرسة أهل البيت والكتلة الصالحة من أن تجعل عملية استنباط الحكم الشرعي والافتاء به خاضعة للتأثر بأهواء الظالمين ومتبنياتهم بحيث تجسد عنصر الاستقلال في موقف الكتلة الصالحة من الحاكمين على المستويين العملي والنظري وفصل قضية الاجتهاد عن الأوضاع السياسية الحاكمة المنحرفة. وهذا مما يتميز به أتباع أهل البيت.

**الثاني:** بقاء باب الاجتهاد والاستنباط مفتوحاً ولكن ضمن الأسس والضوابط التي تعتمد بشكل أساسي على المصادر الصحيحة (الكتاب والسنة).

على حين أن الجماعات الإسلامية الأخرى التي اعتمدت مصادر أخرى كالتقلياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها اضطرت بعد ذلك إلى غلق باب الاجتهاد للأضرار البالغة التي لحقت بالشريعة وعملية الاستنباط وتطبيق الحكم الشرعي على موارده ومصاديقه المتجددة، الأمر الذي وضع الشريعة في خطر التحريف الكبير. وهذا الغلق والحد من عملية الاجتهاد كانت له آثار سلبية كبيرة على عملية الاستنباط وقدرة



الشريعة الاسلامية على معالجة التطورات الجديدة التي واجهت المجتمع الانساني، وأصبح الفقه في الأوساط العامة يعيش حالة من الجذب والعسر.

وهذا بخلاف المزية التي تفرّدت بها الكتلة الصالحة من أتباع أهل البيت في إثراء عملية الاستنباط مع ضبطها بحيث أصبحت مواكبة باستمرار للتطورات دون وجود خطر الانحراف أو الوقوع تحت تأثيرات الأفكار والحضارة المادية، وبقيت معطاءة مع الاحتفاظ بالأصالة في مصادرها وبنائيعها الصافية وقادرة بذلك على المحافظة على الشريعة والتراث الاسلامي.

الثالث: القدرة على حرية التفكير والتأمل والتدبر والفحص لمختلف القضايا الفلسفية والكلامية والسياسية بعيداً عن الأطر الجامدة أو القيود الفكرية المفروضة سياسياً أو مذهبياً. الأمر الذي جعل هذه الكتلة قادرة على نقد التاريخ الاسلامي، والإبداع والتطور في فهم القضايا الفلسفية والكلامية ومواجهة التيارات الفكرية والفلسفية في مختلف العصور.

الرابع: إعطاء التقوى والعدالة والوثاقة في الشخصية الإنسانية وفي الممارسة الاجتماعية دوراً كبيراً ومهماً وأساسياً، فلا تقبل شهادة غير العادل، وهي شرط في إمام الجماعة وفي شهود الطلاق والقضاء وفي القاضي، ولا بد في الراوي من الوثاقة مع قطع النظر عن ائتمائه السياسي. فتقبل رواية المخالف في المذهب والعقيدة إذا كان ثقة، وترفض رواية الكاذب والضعيف مهما كان متعصباً في ولائه لأهل البيت عليهم السلام، ولا يقبل الحديث إلا إذا كان عن ثقة أو كانت هناك وثاقة بصدوره.

وقد كان لذلك دور مهم في حفظ النصوص وتمييزها، ولذا أصبح جميع ماورد من الحديث خاضعاً للنقد والتمييز والتدقيق على مستوى السند والمتن معاً.

ولا نجد كتاباً من كتب الحديث مقبولاً بشكل مطلق لدى الكتلة الصالحة<sup>(١)</sup>، على خلاف الأوساط الإسلامية الأخرى التي تلتزم بمجموعة من الكتب على أساس أنها صحيحة بشكل مطلق بالرغم من وجود رواة معروفين بالانحراف والكذب في أسناد أحاديثها. كما أن هناك أحاديث كثيرة لم تتناولها كتب الحديث لمجرد أن رواتها لهم

(١) هناك اتجاه بين أتباع أهل البيت يلتزم بصحة بعض الكتب الحديثية بشكل مطلق معروف بـ (الأخباريين) ولكنه ظهر لفترة من الزمن ثم تضاعل وجوده إلى حد كبير.

انتماء مذهبي مخالف بحيث أصبحت القضية السياسية هي الأساس في القبول.  
الخامس: الاهتمام بالتدوين والحفظ والضبط للأحاديث والنصوص بحيث تمكّنت هذه الكتلة أن تحفظ ثروة كبيرة من الأحاديث من مختلف الموضوعات والأدعية والرصايا والخطب بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها في مختلف العصور، وبالرغم من قلة الامكانيات والفرص المواتية. الأمر الذي يَسّر المحافظة على الشريعة والخط الاسلامي الأصيل بعيداً عن الأهواء والتحرير أو خدمة الحاكمين.

#### د - التمهيد للظهور:

لقد بَشّرت جميع الأديان السماوية ومنها الاسلام بظهور المصلح المنقذ في آخر الزمان ونهاية التاريخ الإنساني «ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». وجاءت هذه الفكرة والبشارة تأكيداً للحقيقة القرآنية التي تؤكد على وراثة الصالحين والمستضعفين في الأرض ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾، ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾.

كما أن هذا ينسجم مع الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم من غلبة الحق على الباطل في مجمل الصراعات التي تحدث في التاريخ الإنساني الذي يعني أن حركة التاريخ - ومن خلال التدخل الإلهي بإرسال الأنبياء والمرسلين وإنزال الكتب السماوية - هي حركة تكاملية لا بد أن تصل في نهايتها إلى المجتمع الكامل الذي بَشّر به الأنبياء والصالحون.

وجاءت الرسالة الخاتمة (رسالة الإسلام) معبرة عن التكامل الإنساني في المرحلة على مستوى الوعي والإدراك، وعلى التكامل النظري لتنظيم الحياة الإنسانية والتطور الكامل للعلاقات المختلفة في المجتمع. إلا أن التكامل على مستوى التطبيق والممارسة والتجسيد والالتزام العملي، فهذا مما يحتاج إلى فترة طويلة من المعاناة والآلام والتجارب والامتحان.

وهنا يأتي دور أئمة أهل البيت عليهم السلام والكتلة الصالحة التي أعدوها للقيام بدور

التمهيد لتلك المرحلة التاريخية ولظهور ذلك المنقذ المصلح للبشرية.

فقد كان أهل البيت يطرحون أكثر من كل أحد من الناس فكرة المهدي المنتظر والقائم بالأمر لإنقاذ البشرية من الظلم والطغيان والفساد حتى كان يدّعي الكثير من المسلمين في مختلف عصور أهل البيت أن أحدهم هو القائم المهدي.

ونحن هنا لا نريد أن نتحدث عن الأبعاد والتأثيرات الروحية والسياسية التي أوجدها هذا الطرح المستمر لفكرة الظهور وقيام القائم بالأمر فإنّ لذلك مجالاً آخر ولكن المقصود هو الإشارة إلى دورهم في عملية التمهيد.

وقد وضع الأئمة عليهم السلام في منظورهم بناء الكتلة والجماعة التي تقوم بهذا الدور في عصر الغيبة ليس على المستوى الفكري والعقائدي فحسب، بل على المستوى العملي أيضاً، فكان أحد أهداف وجود هذه الكتلة الصالحة هذا الدور الخاص بالتمهيد للظهور.

ويمكن أن نتبين ذلك بوضوح في هذه الكتلة الصالحة من خلال ملاحظة النقاط التالية:

أ- بقاء فكرة الظهور حية في وسط هذه الجماعة من المسلمين مع الارتباط الحقيقي بها والإحساس بالإنظار وجعله شعاراً مطروحاً في وجودها الثقافي ووعيتها السياسي. وبالرغم من أن جميع المسلمين يؤمنون بهذه الفكرة، ولكن من الواضح أن هذه الكتلة الصالحة تتميز على بقية المسلمين في مقدار تبينها وإحساسها بهذه الفكرة والتزامها بتفاصيل معالمها. فالقائم المنتظر ليس مجرد حالة مستقبلية يطمح إليها الإنسان بل هو حيّ يعيش مع الإنسان المسلم ويتحسس آلام الإنسان ومشاكل المجتمع الإنساني وهو ينتظر إلى جانب جميع المؤمنين ذلك اليوم الموعود. فهو غائب ولكنه يشهد كل الأوضاع التي يعيشها الحاضرون.

ب- إن التمهيد الذي تمارسه هذه الكتلة الصالحة ليس مجرد طرح نظري أو التزام عقائدي كما نشاهده في جميع المسلمين بل ومعتنقي الأديان وإن كان بشكل متفاوت. كما أنه ليس - أيضاً - مجرد حالة نفسية وروحية وإن كان كل من هذين البعدين له دور في التمهيد.

وأما هذا التمهيد - وهو الأهم - فهو حركة سياسية جهادية في الأمة للمنع من

استسلامها أمام الطغاة أو الضغوط الحضارية أو الثقافية التي تواجهها عبر عصور التاريخ. وهذا ما تميزت به هذه الكتلة الصالحة على مر الأزمنة والأعصار.

ج - المساهمة الفعالة في عملية الظهور وإنجاحها في مواجهة الحضارات الغريبة وهذا مما سوف يكشف عنه المستقبل كما تشير إلى ذلك النصوص المؤكدة. ولكن على مستوى الحاضر يمكن أن نشاهد بشكل واضح الدور الذي تقوم به هذه الكتلة في العودة إلى الإسلام بعد المحاولات التي جرت للقضاء عليه أو إبعاده عن الحياة خصوصاً في هذا العصر.

وبهذا الاستعراض للأهداف من بناء الكتلة الصالحة يمكن أن نقول أن حصيلة الهدف هو استمرار دور الأئمة عليهم السلام في المجتمع الإسلامي بواسطة الكتلة الصالحة بعد فرض حصول الغيبة الكبرى للإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف. ولذا كان وجود هذه الكتلة والجماهير الصالحة بشكل مخطط ومقصود وليس وجودها هو مجرد نتيجة طبيعية لقضية هداية الناس وإقامة الحجة عليهم، وإن كان ذلك حالة تأثير طبيعي في تكون هذه الكتلة الصالحة التي تؤمن بولاية الأئمة الاثني عشر وموقعهم الطبيعي في الأمة الإسلامية..

«يتبع»

مكتبة الإمام الخميني (قده)

## خاطرة: ركب الممهدين:

### ثورة وثأر

أبو فراس

من ثورة الحسين عليه السلام إلى ثأر المهدي عليه السلام تتفتح أسرار النفخة الإلهية في المعجزة الآدمية حقيقة محمدية سجد لها ملائكة الله أجمعون مسبحين إلا زعيم المستكبرين ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾<sup>١</sup>.

... وبنفحة ربّانية وإرادة مولوية أمرة بزواج الوصيّ الأمين من الزهراء سيدة نساء العالمين تفتتح أنجم الإمامة الزهر أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>٢</sup>. في ثورة الحسين عليه السلام استخلصت كلّ ثورات النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وفي ثأر المهدي عليه السلام تخصب كلّ رؤاهم وآمالهم وأشواقهم. في كربلاء انتصر دم الرسالة في جرح الإمامة على الكفر كلّ. ومن مكة ينطلق الإسلام من جديد على يد المهدي الموعود عليه السلام ليظهره الله على الدين كلّ، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

(١) سورة ص: ٧١.

(٢) سورة الاحزاب: ٣٣.

## فنون وآداب

ولو كره المشركون<sup>١</sup>.

بشهادة الحسين عليه السلام امتد التُّشَعُّ<sup>٢</sup> الثوري إلى حروق شجرة الإسلام ينفي عنها كل تحريف وتزييف، واشتمل الرفض لبحرق الانظلام، وتكرّست الإمامة راية لكل ثورة على الظلم والظلام.

وبنار المهدي عليه السلام تتحقق دولة القسط الإلهي وهي غاية كل النبوات والرسالات: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾<sup>٣</sup>.

وانها لثورة المعصوم أسوة لكل الثائرين، وإنه لثأر المعصوم أوجاً لحركة المؤمنين، ودولة للمستضعفين ﴿ونريد أن نمؤ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾<sup>٤</sup>.

وتتعاقد ثورة الحسين عليه السلام وثأر المهدي عليه السلام فإذا كل منهم ثورة وثأر وكلتاها لله دون سواه.

ففي زيارة الحسين عليه السلام: «يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور»<sup>٥</sup>. وفي دعاء النذبة للامام المهدي عليه السلام: «أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء»<sup>٦</sup>.

ويسألون لم تثورون الآن وتثأرون؟ ونسألهم: لم لا تثور؟ «ويزيد» يذبح المسلمين مرة بسيف الكفر الصريح ومرة بسيف الكفر المبطن وفي كل عصر.

ولم لا تثأر وهذه دماؤنا تهرق في فلسطين ولبنان والبوسنة والهرسك. وكذلك دماء المظلومين والمحرومين تارة تحت شعار حقوق البشر وتارة تحت شعار النظام

(١) سورة الصف: ٩.

(٢) سائل غذائي تمتصه الجذور من الأرض ويجري في الساق والاوراق بواسطة: العروق. المنجد.

(٣) سورة الحديد: ٢٥.

(٤) سورة القصص: ٥.

(٥) مفاتيح الجنان زيارة الامام الحسين.

(٦) المصدر: دعاء النذبة.

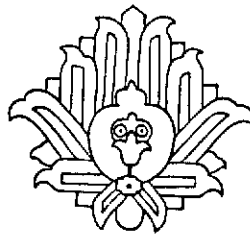
## فنون وآداب

الدولي الجديد.

وقدر المسلم وشرفه أن يقاتل دفاعاً عن المستضعفين.

﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان...﴾<sup>١</sup>

وحسبنا الإمام الخميني رضوان الله عليه، قدوة، وهو أنجب تلميذ عرفته المدرسة الحسينية مدرسة الإسلام المحمدي على مدى قرون وقرون، فقد ثار وثار فكان الثائر الثائر وقالها: لا للشيطان الأكبر وسائر الشياطين، وأقام دولة أم القرى وقبلة الثائرين. وها هو ذا خليفته ولي أمر المسلمين يتابع مسيرة الثورة والثار لله والمستضعفين. فلنلتحق جميعاً بركب الحسينيين الممهدين، ولنعرض عن النائمين والمخدرين والمتحجرين، ولتتصل بنا السلسلة فيمن يتصل به بين ثورة الحسين عليه السلام وثار المهدي عليه السلام لتكون جند الله الغالبين وحزبه المفلحين.



## بحث في

سماحة الشيخ محمد علي النسخيري

الخمس من الضرائب الإسلامية الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع. إلا أن هناك اختلافا في موارد بين الفقهاء. وهناك اختلاف كلي في أحد موارد بين الإمامية والمذاهب الأخرى وهو خمس المكاسب: إذ ذهب الإمامية إلى ثبوته إجمالا ورفضه فقهاء أهل السنة.

ولسنا هنا بصدد إثبات هذا القسم الأخير إلا أننا نذكر هنا بعض الآراء في تكييفه: فقد يقال: إنه كان ثابتا من أول الأمر.

كما قد يقال: إنه تمّ جعله بشكل ثابت من قبلهم عليهم السلام بناءً على أن لهم حق التشريع في المجال المالي - على الأقل

وربما يقال: إن الأئمة أخذوا هذا الخمس باعتبار اختلاط أموال الناس بحقوقهم، فهو بذلك يشكّل تطبيقا لتخميس المال الحلال المختلط بالحرام.

كما قد يقال: بأن إيجابه كان من باب ولاية الحاكم الشرعي، خصوصا بعد أن رأى الأئمة عليهم السلام أن الأموال والحقوق المخصصة لهم قد زويت عنهم إلى موارد أخرى. ولسنا هنا بصدد ترجيح أي قول من هذه الأقوال وإنما المهم لدينا في هذه المرحلة هو معرفة المتولي على الخمس، فمن هو؟

إن الظاهر من مجموع النصوص الواردة في شأن مطلق الخمس وتلك الواردة في خصوص أرباح المكاسب: أنه ضريبة مالية يجب دفعها إلى ولي الأمر والحاكم الشرعي. بل إن الأمر في هذا القسم أوضح منه في الأمور الأخرى باعتبار احتمال الاستحقاق



## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المباشر للأصناف الثلاثة من بني هاشم؛ بمقتضى الآية الشريفة، وإن كان الراجح فيها أيضاً أن الخمس يعود إلى الإمام كله وهو يعمل على صرفه في المصالح العامة بمقتضى سهم الإمام وفي إصلاح أحوال الفقراء من بني هاشم حتى يستغنوا، وحينئذ يصرف الباقي في المصالح العامة أيضاً.

هذا ما يبدو من مجمل النصوص فلنستعرض جملة منها:

١- جاء في بعض الروايات تسمية الخمس بأنه: «وجه الإمارة»<sup>١</sup>.

وهو يدل بوضوح على أنه جزء من بيت المال الواقع تحت إشراف أمير المؤمنين والولي الشرعي لهم.

٢- النصوص التي تنسب الخمس لله تعالى من قبيل: «الوصية بالخمس لأن الله عز وجل قد رضي لنفسه الخمس»<sup>٢</sup>.

«والله لقد يسر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم جعلوا لهم واحداً وأكلوا أربعة أحلاء»<sup>٣</sup>.

«الخمس لله والرسول وهو لنا»<sup>٤</sup>.

بل يمكن أن يقال إن تقديم ماحقه التأخير في الآية وإدخال اللام على لفظ الجلالة والرسول وذوي القربى دون الآخرين فيه ظهور في الملكية؛ إلا أن يقال: إن السياق يسوق تأثير اللام إلى باقي الأقسام.

٣- النصوص التي تنسب الخمس لهم عليهم السلام من قبيل «الخمس لله والرسول وهو لنا»<sup>٥</sup>.

«ما كان لله فهو لرسوله وما كان لرسوله فهو لنا»<sup>٦</sup>.

«لي منه الخمس مما يفضل من مؤوته»<sup>٧</sup>.

وسئل الإمام عن تقسيم الخمس فأجاب: «ذلك إلى الإمام»

وجاء هذا التعبير في تقسيم الخمس<sup>٨</sup>: «فإن فضل عنهم شيء فهو للوالي، فإن عجز أو

(١) وسائل الشريعة ٦: ٣٤١ الحديث ١٢.

(٢) نفس المصدر: ٣٦١.

(٣) نفس المصدر: ٣٣٨.

(٤) نفس المصدر: ٣٦١.

(٥) نفس المصدر: ٣٦١.

(٦) نفس المصدر: ٣٣٨.

(٧) نفس المصدر: ٣٣٨.

(٨) نفس المصدر: ٣٦٢.

## من لفقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

نقص عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به»<sup>١</sup>.  
وعندما قدم أحد أصحاب الإمام عليه السلام بمال الخمس قال له: «أما إنّه كلّه لنا وقد قبلت ما جئت به»<sup>٢</sup>.

وجاء في الرواية أيضاً «إن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا»<sup>٣</sup>.  
«على كل امرئ غنم أو اكتسب الخمس مما أصاب لفاطمة عليها السلام ولمن يلي أمرها من بعدها من ذريتها الحجج على الناس، فذاك لهم خاصة يضعونه حيث شاؤوا»<sup>٤</sup>.  
«كل شيء قوتل عليه على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن لنا خمسه، ولا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا حقنا»<sup>٥</sup>.  
«خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»<sup>٦</sup>.

وقد سُئل عليه السلام: «ما حق الإمام في أموال الناس؟ فقال: «ألفيء والأفقال، والخمس»<sup>٧</sup>.  
وقد جاء التعبير عن الإمام عليه السلام بأنه صاحب الخمس»<sup>٨</sup>.

٤- وأخبار التحليل بنفسها تدل على عودة الخمس إلى الإمام ثم إنّه عليه السلام يبيحها لشييعته، وذلك - كما هو ظاهر - بالنسبة إلى الأموال التي تنتقل إلى الفرد الشيعي وفيها حق من حقوق الإمام كالخمس، لا بالنسبة لأموال الشيعي نفسه والتي يعمل فيها فيستحق عليه الخمس.

ولكنها على أي حال واضحة في نسبة الخمس إلى الإمام عليه السلام وأن له الولاية عليه، وبالتالي يدخل ضمن الأموال العامة التي يتم توزيعها وهدايتها لتحقيق التوازن العام، غاية الأمر أنّ جزءاً معيناً منه يصرف تكريماً لبني هاشم ليطمئن الارتفاع بمستواهم إلى حدّ الغنى، وهو نفس ما يتم عمله بالنسبة للآخرين حيث يعطون من الزكاة حتى يستغنوا، فتحقق نظرية الإسلام في التعادل الاقتصادي الذي لا يرضى للفرد في مستوى معيشته أن ينزل عن حد الغنى ولا أن يرتفع إلى مستوى الإسراف - على تفصيل يُذكر في محله -.

(٢) نفس المصدر: ٣٦٨.

(٤) نفس المصدر: ٣٥١.

(٦) نفس المصدر: ٣٤٠.

(٨) نفس المصدر: ٣٥٤.

(١) نفس المصدر: ٦٤.

(٣) نفس المصدر: ٣٧٥.

(٥) نفس المصدر: ٣٣٩.

(٧) نفس المصدر: ٣٧٣.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

### أقوال العلماء في ذلك:

ويحسن هنا أن نرجع إلى أقوال العلماء لنزداد يقيناً بهذه الحقيقة:

يقول العلامة الكبير صاحب «الجواهر» مانصه:

«يجب صرفه إليه مع وجوده وحضوره عليه السلام كما هو ظاهر الأكثر وصریح البعض كالفاضل في قواعده وغيره، بل ينبغي القطع به بالنسبة إلى حصته (سهم الإمام) ضرورة وجوب إيصال المال إلى أهله؛ أما حصة قبيله (الهاشميين) فالظاهر أنها كذلك أيضاً، خصوصاً خمس الغنائم، وفقاً لما عرفت».

«بل لولا وحشة الانفراد عن ظاهر اتفاق الأصحاب لأمكن دعوى ظهور الأخبار في أن الخمس جميعه للإمام عليه السلام وإن كان يجب عليه الإنفاق منه على الأصناف الثلاثة الذين هم عياله، ولذا لو زاد كان له عليه السلام ولو نقص كان الإتمام عليه من نصيبه، وحلّلوا منه لمن أرادوا»<sup>١</sup>.

ويقول الإمام الخميني رحمه الله:

«وبالجملة: فمن تدبر في مفاد الآية والروايات ظهر له أن الخمس بجميع سهامه من بيت المال، والوالي ولي التصرف فيه، ونظره متبع بحسب المصالح العامة للمسلمين، وعليه إدارة معاش الطوائف الثلاث من السهم المقرر إرتزاقهم منه حسب ما يرى»<sup>٢</sup>.

وإذا كان الفقهاء أحياناً قد أفتوا بالدفع المباشر إلى بني هاشم فهم ينظرون حتماً إلى مرحلة ما قبل قيام الحكومة الإسلامية ولذا جاءت لديهم الفتاوى التالية:

فالسيد صاحب العروة الوثقى:

يجوز دفع سهم السادات مباشرة وإن كان يحتاج استحباباً بالدفع إلى المجتهد. ويوجب دفع سهم الإمام إلى المجتهد الجامع للشرائط.

السيد الإمام الحكيم قدس سرّه يرى: أن الأحوط وجوباً دفع سهم السادة إلى الحاكم الشرعي، وإن كان قد أصدر إذناً عاماً بذلك.

(١) جواهر الكلام ١٦: ١٥٥.

(٢) كتاب البيع ٢: ٤٩٥.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أما سهم الإمام فالأحوط وجوبا لديه مراجعة المرجع العام المطلع على الجهات العامة في ذلك.

أما السيد الإمام الخميني قدس سرّه فيؤكد على أن سهم السادات يجب أن يصرف بإذن المجتهد، وكذلك سهم الإمام.

السيد الإمام الخوئي قدس سرّه: يجوز استقلال المالك بدفع سهم السادات، مع وجود احتياط استحبابي للدفع إلى الحاكم الشرعي.

أما سهم الإمام عليه السلام فالأحوط للزومي لديه مراجعة المرجع الأعلم المطلع على الجهات العامة في ذلك.

ويقول سماحة آية الله العظمى الكلبايكاني حفظه الله مانصه:

«بالنسبة للسهم المبارك للإمام عليه السلام فيجب في هذا الموضوع أن تراجع أدلة ولاية الفقيه في عصر الغيبة بشكل مفصل ودقيق. وما استفاد منها - إجمالاً - بمناسبة الحكم والموضوع، وأن الأمور العامة في عصر الغيبة لم تهمل وتترك بلا تنظيم، وأن الأحكام أيضاً - ماعدا تلك المشروطة بمباشرة الإمام عليه السلام الشخصية أو نائبه الخاص - لم تعطل، ما استفاد منها هو: أن ولاية الفقيه ثابتة على كل تلك الأمور التي يجب أن يتولاها الحاكم والوالي للأمر، وأن السهم المبارك للإمام عليه السلام من الأمور المالية الإسلامية التي ترك أمرها إلى «من بيده الأمر» كما كان الحال كذلك في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام حيث كانت هذه الشؤون المالية الإسلامية تُدار من قبلهما، وكذلك نجد سائر الأئمة عليهم السلام يتدخلون في مثل هذه الموارد حيث ترتفع الموانع من تدخلهم، وتراجعهم الشيعة في ذلك.

وكما يقتضيه طبع الحكم وأصل التشريع فإن القائم والمتولي على الأمور التالية مثل جبايتها وتقسيمها يجب أن يكون ولي الأمر، أما جواز استقلال من عليه الحق في التصرف فهو يحتاج إلى دليل.

وعليه فإن هذه الولاية على أمر السهم المبارك للإمام عليه السلام تقبل الاستظهار من أدلة الحكومة وأدعاء شموله لذلك قوي وقريب»<sup>١</sup>.

## من لغة مدرسة أهل البيت عليهم السلام

### ملاحظة مهمة:

وينبغي أن نركز هنا على أن الحديث هو عن رجوع الخمس إلى منصب الإمامة لا شخص الإمام، وأن الحديث النظري يركز على منصب القيادة الإسلامية والإمارة وولاية الأمر.

إذ الحديث عن حق الإمام الشامل للفيء والأنفال والخمس، فهو حديث عن أموال الدولة وملكيته العامة، ولذلك تنتقل بشكل طبيعي من إمام إلى آخر ولا تدخل في تركته الشخصية بلاريب.

وقد روى الصدوق بإسناده عن أبي علي بن راشد قال: قلت لأبي الحسن الثالث عليه السلام: إنا نؤتى بالشيء فيقال: هذا كان لأبي جعفر عليه السلام عندنا. فكيف نصنع؟ فقال: «ما كان لأبي عليه السلام بسبب الإمامة فهو لي، وما كان غير ذلك فهو ميراث على كتاب الله وسنة نبيه».

وهنا تنتقل إلى المرحلة التالية من البحث وهي تعيين ولي الأمر، فمن هو؟ وهل يمكن أن يكون متعدداً؟

لاريب في أنه الإمام المعصوم عليه السلام حال وجوده. ولكن ما هو الموقف في عصر الغيبة؟

والجواب على هذا يختلف على ضوء المباني.

فإن قيام الحكومة الإسلامية في عصر الغيبة أمر مسلم به، لا ينكره إلا مكابر. كما أن قيام فقيه أو مجلس من الفقهاء بإدارتها أمر مسلم به، ولكن مبنى تشكيلها يختلف: فتارة يكون المبنى هو ولاية الفقيه، وأخرى يكون المبنى هو نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي نظام الحسبة، وعلى كلا الحالين تارة نقول بدور ما للشعب أو للخبراء أو لأهل الحل والعقد بانتخاب الحاكم، وأخرى لانعطي دوراً لذلك. ثم إنّه على ضوء نظام ولاية الفقيه تارة نقول بأن الأدلة تمنح الفقهاء الواجدين للشرائط على مستوى واحد ولاية فعلية مطلقة على كل شؤون المسلمين. وأخرى نقول

## من لفقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

بأنها تعلن أهليتهم لذلك، ويبقى عليهم أن يجتمعوا لينتخبوا أحدهم، أو يحصل أحدهم على شعبية واسعة تؤهله ليتحرك نحو القيادة الفعلية.

وكذلك بالنسبة لنظام الحسبة مع القول بالانتخابات يأتي البحث في إمكان انتخاب ولي لكل منطقة أو لكل ناحية من نواحي الحياة في عرض واحد أولاً؟  
وحينئذ فالنتائج قد تختلف من حالة إلى أخرى.

ولسنا هنا بصدد الاستدلال التفصيلي على كل مبنى من هذه المباني، إلا أننا نشير إلى أن التأمل في الأدلة يؤكد لنا: أن إدارة شؤون الحكومة الإسلامية تحتاج إلى ولاية يملكها الحاكم الشرعي، ليستطيع إدارة البلاد، وملء منطقة الفراغ القانوني، وإصدار الأوامر التي تخالف الحالات الأولية المباحة مثلاً، وإلا فلن تستقيم الأمور، وهو أمر لا يرضاه الشارع قطعاً.

ولا يمكننا أن نتصور ولايات فعلية متعددة على منطقة واحدة، بل إن النصوص الإسلامية ترفض قيام حكومتين أو تواجد إمامين، وطبيعة الحال تقتضي ذلك، وذلك رعاية لوحدة القانون ووحدة المعايير ووحدة الأمة.

وقد جاء في الروايات رفض فكرة تعدد الأئمة في آن واحد، كما في صحيحة الحسين بن أبي العلاء: قلت لأبي عبد الله: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا. قلت: يكون إمامان؟ قال: لا. إلا وأحدهما صامت<sup>١</sup>.

وهناك روايات أخرى معتبرة بهذا المضمون.

وإذا عدنا إلى أدلة ولاية الفقيه فلا نجد الدلالة الكافية على تعميم مبدأ الولاية الفعلية إلى كل فقيه جامع للشرائط.

فالدليل العقلي الذي يركّز على مسألة دوران الأمر بين تعيين الفقيه والتخيير بينه وبين غيره - وحتى لو غرضنا النظر عن ما يورد عليه من قبيل أن التريد هنا قد يتصور بين المتباينات - لا يقتضي أكثر من تعيين فرد فقيه له الولاية والقدرة على تصريف شؤون المجتمع.

أما الأدلة النقلية فهي كذلك كما سيبدو من استعراضها:

(١) الكافي ١: ١٧٨.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

فروايات: «اللهم ارحم خلفائي» المستفيضة سنداً إنما يثبت بها وجود خلافة ما لهذا الصنف من البشر، أما شمولها لجميع العلماء، وإطلاقها لما يشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية فغير تام، خصوصاً إذا علمنا أنها ليست بهذا الصدد ولا يتحمل لسانها لسان النصب العام للعلماء.

ويتوضح عدم إمكان استفادة هذا المعنى الواسع من الروايات، إذا لاحظنا وجود قدر متيقن عرفي لها يركّز على نوع من الخلافة كالخلافة العلمية، بل وحتى لو استفدنا عموم الخلافة لمطلق الشؤون فإنّ هناك قدراً متيقناً يركّز على الفرد الخليفة في كل عصر، بل يمكن أن يقال إن هذا القدر المتيقن هو في الواقع أمر مركّز عرفاً وشرعاً، من خلال تعاليم وحدة الإله في الكون ووحدة الإمامة ووحدة الأمة بقوانينها ومعاييرها.

ولو تم هذا - وهو في رأينا تام - لأمكن القول بأنه يمنح النصوص المطلقة بنفسها ظهوراً في خصوص المورد المرتكز، فكيف ونحن نفرض وجود الإطلاق من أصله؟ وهذا الإشكال يرد على روايات «العلماء ورثة الأنبياء» و«الفقهاء أمناء الرسل». و«أن المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها». و«العلماء حكام على الناس». وأمثالها.

أما بالنسبة لمقبولة عمر بن حنظلة<sup>١</sup> التي جاء فيها عن الفقيه: «فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً» وكذلك قوله عليه السلام «فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فقد استخفّ بحكم الله علينا رُدّ، والراذ علينا كالراد على الله»، فالإشكال وارد عليها وإن اختلف القدر المتيقن هنا واتجه نحو خصوص القضاء.

أما رواية اسحق بن يعقوب<sup>٢</sup> والتي جاء فيها: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله» فإنها وإن أمكن دلالتها - بعد تأمل وبحث - على أنّ الولاية هي للفقهاء، ولكن الإشكال الأخير يرد على استفادة الولاية لمطلق الفقهاء فيقال: إن وضوح ضرورة وحدة الولي وقبح تعدد الأولياء الفعليين إنما يصل إلى حد يشكّل قيداً ارتكازياً لا ي إطلاق مدعى في البين، فلا يمكن أن نستفيد منها أن كل هؤلاء الرواة يشكّلون بالفعل أولياء مطلقاً على الأموال والأعراض والنفوس وكل ما يرجع

(١) وسائل الشيعة ١٨: ٩٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٨: ١٠١.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إلى الإمامة، بحيث تساق حجية أوامره فيها حجية أوامر الإمام المعصوم عليه السلام. وهذا القيد أولي من قيود «العدالة» و«الذكورة» المطروحة في البين. ولم يبق إلا بعض الروايات التي ترجع إلى الثقات، وهي في عدم الدلالة أوضح من غيرها.

فمثلاً جاء في رواية عبد الله بن جعفر الحميري في حديث طويل يروي فيه عن أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألت وقلت: مَنْ أَعَامِلُ؟ أَوْ عَمَّنْ أَخَذُ، وَقَوْلُ مَنْ أَقْبَلُ؟ فَقَالَ لَهُ «الْعَمْرِيُّ ثَقْتِي فَمَا أَذَى إِلَيْكَ عَنِّي فَعَنِّي يُودِي، وَمَا قَالَ لَكَ عَنِّي فَعَنِّي يَقُولُ، فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِع فَإِنَّهُ الثِّقَةُ الْمَأْمُونُ»<sup>١</sup>.

ومن الواضح أننا مهما عملنا على تجاوز هذا المورد من هذه الرواية فلن نستطيع الوصول إلى الولاية المطلقة والفعلية لكل الثقة.

هذا وقد استدل بعض العلماء بأدلة تجمع بين مقتضى التسليم بلزوم وجود أطروحة للحكم والولاية من قبلهم عليهم السلام وعدم وجود أية إشارة في الروايات لأطروحة أخرى غير أطروحة ولاية الفقيه.

وهو استدلال متين لو لوحظت مختلف أبعاده، ولكنه كما هو واضح لا يؤدي إلى الإيمان بالولاية المطلقة الفعلية لمطلق الفقهاء الجامعين للشرائط.

وعليه: فنبقى والقدر المتيقن في الموضوع وهو الفقيه الجامع للشرائط والذي قبلته الأمة، إن قلنا بأن نصوص اعتبار البيعة كافية في صنع ارتكاز عرفي متشعري يترك أثره على ظهور النصوص ويحقق لنا القدر المتيقن المطلوب من خلالها.

والأكان اللازم تصور قدر متيقن ينحصر في فرد متعين إمّا بانتخاب أهل الحل والعقد، أو من خلال إذعان الفقهاء له، أو غير ذلك.

ثم إننا لو سلكنا طريق (الحسبة) في سبيل الوصول إلى نوع من ولاية الفقيه على الحياة العامة فإن الأمر كذلك لا يقبل ولاية محتسبين في منطقة واحدة، بل لا يقبل ولايتين في منطقتين بعد الفراغ من لزوم وحدة الدولة الإسلامية طبعاً مع الإمكان، ومع عدمه فيمكن أن تتصور ولايتين على منطقتين وذلك بشكل استثنائي.

(١) أصول الكافي ١: ٣٣٠، وسائل الشيعة «قطعة منه» ١٨: ١٠٣.



## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

ثم إننا لو قبلنا - جدلاً - شمول الدليل لكل الفقهاء وإثباته ولاية عامة لهم، فلا شك في لزوم طاعتهم للولي الفقيه الحاكم، حفظاً لوحدة المسلمين ومنعاً من شق عصاهم، وهو أمر مسلم به، ولا ريب في أن للفقيه أن يحكم بعودة كل الأمور إليه ومنها الأموال والحقوق الشرعية، وذلك إما لأنه يفتي بذلك ويرى المصلحة في تحويل فتواه إلى حكم عام، أو أنه - دونما افتاء بذلك - يرى أن المصلحة الاجتماعية تفرض ذلك وهذا يعني بالتالي تقليص الكثير من صلاحياتهم وترك المجال لهم في الحدود التي يأذن بها هذا الولي الحاكم، ويعود الحال إلى ما استنتجناه مع شيء من الفرق.

ونودّ هنا أن نشير إلى أننا نفترض الظروف المؤاتية، أما الظروف الاستثنائية والتي يمتنع فيها قيام الحكومة الإسلامية فلها أحكامها الاستثنائية أيضاً، ومع ذلك فلا يمكننا تصور تلك الولاية لمطلق الفقهاء، لمنع وجود المقتضي ووجود المانع أيضاً من هذا الإطلاق، وحينئذ فلا مناص من حصر القدر المتيقن في بعضهم ممن تتوفر فيهم الشروط المناسبة.

### النتيجة:

أولاً: أن الخمس كغيره من الأموال العامة يعود أمرها إلى الولي الحاكم.  
ثانياً: أن هذا الولي الحاكم هو الفقيه الجامع للشرائط والذي تعيّن بنحو ما أميراً للأمة وإماماً لها.

وبعد هذين الأمرين نصل إلى لزوم دفع الحقوق الشرعية - كالخمس - إلى الولي الفقيه وأمير الأمة الإسلامية، ليقوم بصرفها وفقاً للمصاريف المقررة، والله أعلم.

## \* كتاب الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق.

يشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب أساسية، ونستعرض فيما يلي المباحث  
والنتائج المطروحة فيها على حد الإشارة والایجاز:

### الثورة الاسلامية :-

لقد خصص المؤلف الباب الأول من كتابه للبحث عن الثورة الاسلامية تلك الثورة  
المباركة التي أوجدت هزة في العالم المعاصر، وفتحت عيون العالم على حقيقة الاعتماد  
على الذات، والركون إلى الشريعة الاسلامية. وكانت الثورة فريدة في أسلوبها ونتائجها،  
فهي ثورة شعبية في أسلوبها، وقد شاركت فيها كل الجماهير الايرانية بطبقاتها  
الاجتماعية ومذاهبها الفكرية الدينية.

وأما من حيث النتائج فإن أسلوب الثورة الاسلامية كان له نتائج إيجابية كقدرة  
التحرير الذاتية من دون الاعتماد على الدعم الخارجي، وكذلك القدرة على الصمود  
للدفاع عن العقيدة ومبادئ الثورة. كما أنه قد أفرز في مقابل ذلك بعض النتائج السلبية،  
كالتناقضات التي برزت بين الخطوط الثورية، وازدياد حجم الخسائر والتضحيات وما  
إلى ذلك من نظير.

لكن المستعمرين قاموا بمحاولات مكثفة لزرع روح اليأس بين المسلمين وترسيخ  
فكرة عجز الاسلام عن تنظيم شؤون المجتمع، وهذا مما أدى إلى خضوع غالبية

## تعريف

المسلمين لهيمنتهم سياسياً وعسكرياً، بل فكرياً وثقافياً. وقد تصدت الثورة الاسلامية للصمود أمام هذه التحديات، سواء في مجال النظرية أم التطبيق. مما أثبت خطأ المستعمرين وابتعادهم عن الواقع في تفكيرهم عن النظام الاسلامي وشريعته.

## الولاية - والشورى :-

هذا هو الباب الثاني الذي يبحث فيه المؤلف عن العلاقة بين الولاية والشورى. ويبين فيه وجود اتجاهين رئيسين:

الاول: اتجاه النص على الولاية من قبل الله سبحانه والرسول، ونفي مدخلة الشورى في مجال الولاية.

والثاني: اتجاه الشورى الذي سار عليه جمهور المسلمين.

وبعد أن يستعرض المؤلف النظريات الموجودة في مجال العلاقة بين الشورى والولاية، يستخلص النتيجة النهائية وهي: أنه لا يمكن استفادة الولاية للشورى من خلال الأدلة، بل الولي هو الفقيه الجامع للشرائط، وإن كانت الشورى طريقاً لكشف الولي. كما أن لها دورها في الولاية على مستوى الممارسة والتطبيق.

ثم يستمر في بحثه عن المميزات الاساسية لنظام الشورى، كما أنه بحث عن المواصفات الاخلاقية والسلوكية للمستشارين.

## الجمهورية الاسلامية وخصائص الحكم الاسلامي :

وهذا هو الباب الثالث من الكتاب والذي بحث المؤلف في مقدمته عن دور الحكم في توجيه القاعدة الاجتماعية، وإن إقامة الحكم الاسلامي يعني تنفيذ الخطوة المركزية لبناء مجتمع التقوى.

وبعد ذلك يتطرق في دراسته لخصائص الحكم الاسلامي والتي نشير إليها بالشكل التالي:

١- المثل والقيم الانسانية التي يسعى الحاكم إلى تحقيقها من خلال القانون واستقرار الأمن.

## تعريف

- ٢- القوانين الشرعية التي تشكل الاطار والمنهج الثابت للحكم.
  - ٣- الحاكم الاسلامي مع ماله من المؤهلات والمواصفات اللازمة.
  - ٤- دور الأمة في الحكم الاسلامي، وهو عبارة عن بيعتها للولي وتقديم المشورة والنصيحة له.
- وقد عقد بحثاً مفصلاً عن هذه الخصائص على ضوء دستور الجمهورية الاسلامية. ثم استعرض بعد ذلك هذه الخصائص على مستوى الممارسة الخارجية، فبدأ بالحديث عن اهتمام الثورة الاسلامية بتجسيد المثل من خلال الاجهزة المعنية التي لديها القدرة على هذا التجسيد.
- واستعرض كذلك المجالات التي تم تطبيق الاحكام الشرعية فيها - كالبنوك والعلاقات الخارجية وما إلى ذلك. كما أنه أشار إلى دور مجلس المحافظة على الدستور في المراقبة على اللوائح القانونية.
- ثم تحدث بعد ذلك عن تولي الفقيه المرجع لقيادة الثورة الاسلامية، وممارسة الامام الراحل قدس سره لجميع مهماته الدستورية. كما أنه بحث أخيراً عن الدور الواقعي للامة من خلال التجربة ومساهماتها المستمرة في الاستفتاءات العامة.
- ويجب أن نشير في ختام حديثنا عن كتاب الحكم الاسلامي إلى ما ذكره المؤلف من تميز بحوث الكتاب عن سائر الدراسات المتواجدة في هذا المجال. وهو أنها جاءت حصيلة شعور وتفاعل ميداني حقيقي مع الاحداث التي شهدتها ساحة العالم الاسلامي، وإن الافكار المطروحة فيها جاءت متطابقة مع الترقعات والتحليل لأسبابها ونتائجها مما يمثل جانباً من المصادقية والواقعية فيها.
- وما أحوج العالم الاسلامي اليوم إلى بحوث ودراسات بشأن موضوع «الحكم الاسلامي»، وذلك لسد الثغرات النظرية والتطبيقية في هذا المجال.
- نبارك لسماحة المؤلف ثمرة جهوده المتواصلة التي أثمرت بها المكتبة الاسلامية المعاصرة، وقد قدمها للمثقفين المتعطشين في مختلف أرجاء العالم الاسلامي بشكل لائق يستحق التقدير.



# الحكومة الإسلامية

## في نهج البلاغة

سماحة الشيخ الدري النجف آبادي

إنَّ من أكثر مقاطع حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حساسية هو الزمن القصير لخلافته التي استمرت خمس سنين تقريباً والذي كان مثمراً غاية الأثمار، فهو على كل ما كان فيه من القلق والاضطراب، يعكس لنا أقوال الإمام وسيرته العملية في: القيادة والزعامة السياسية، واتخاذ القرارات والمواقف مع الصديق والعدو، وكيفية مواجهته للاتجاهات الأموية المنحرفة والسطحية.

إن المواجهة الصحيحة واتخاذ المواقف الدقيقة على الأصعدة الاجتماعية المعقدة اليوم من دون المعرفة التامة بأصول السياسة الإسلامية أمر مشكل جداً، وتقتضي هذه الضرورة لمجتمعنا الإسلامي أن يسعى بجِدٍّ للتعرف على النظام السياسي الإسلامي وتبيين أصوله السياسية في كل أبعادها، وأن يوظف في هذا الجهد العلمي والعملية كل جده وجهده.

أضف إلى ذلك أن عالمنا المظلم اليوم المليء بالظلم والجور، والغريق في لجة الماديات، عطش إلى القيم الإسلامية السامية، وإن عرض هذه القيم بواقعها الصحيح يفتح نافذة أمل للبشرية، ويقدم للعالم أطروحةً جديدةً تبدي بنفسها خواء المادية الغربية والشرقية معاً.

ونستعرض هنا عدّة نماذج من «نهج البلاغة» تبين ضرورة الاعتناء بنظام الحكم أو

التعرف على أصول السياسية الاسلامية من خلال عناية الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بصورة تامة بذلك:

أ- «وإن في سلطان الله عصمةً لأمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها. والله لتفعلنَّ أو لينقلنَّ الله عنكم سلطان الاسلام، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرزه الأمر إلى غيركم»<sup>١</sup>.

وقد أورد هذا البيان لدى خروجه إلى حرب الجمل، وعلى أثر اندلاع فتنة «الناكثين» وشغبهم في الحكومة الشرعية الحق له عليه السلام، وهو يشير فيه إلى مايلي:

١- أن الحكومة الاسلامية هي سلطان الاسلام وسلطان الله، لا حكومة الحاكم الفرد أو الجماعة أو الحزب أو الطبقة، وأن تنفيذ الأحكام الإلهية وقوانين الاسلام إنما يتم من خلال زعامة الإمام وقيادته.

٢- أن بقاء الحكومة الاسلامية ودوامها بحاجة إلى قبول الناس ومواكبتهم ومعونتهم، وإن لتواجد الناس في الساحة دوراً مصيرياً في استمرار حكومة الاسلام، وإن على الناس أن لا يبخلوا على الاسلام بذلك.

٣- أن الحكومة الاسلامية ليست حكومة السيف والسنان والسطر والعصا والقبضة الحديدية أو الحديد والنار، أو حكومة بوليسية، وأن الدور الأساس إنما هو لقبول الناس وتعاونهم جميعاً، والأهم من ذلك أنه لا بد أن تكون هذه الطاعة عن شوق ورغبة، فإن الحكومة الاسلامية تحكم على الاثقة والقلوب، وإن القلب والروح هي التي تجر الجسد معها حيثما شاءت، ولا قيمة للمواكبة عن خوف وفي ظل القوة والقدرة والجبروت.

٤- كما أن استمرار الحكومة الاسلامية هو ثمرة طاعة الأمة الحرة وعن رغبتها، وأن ذلك يؤدي إلى المحافظة على النظام الاجتماعي السعيد والسليم، كذلك فإن عدم انسجام الشعب مع القائد يؤدي إلى تحوّل قيادة المجتمع إلى من لا أهلية له، وذلك يستتبع الضلال والانحراف طبعاً.

ب - «سئل عليه السلام: أيهما أفضل: العدل أو الجود؟ فقال عليه السلام: العدل يضع الأمور

مواضعها، والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما<sup>١</sup>.

إن هذه المقارنة بين العدل والجود وعناية الإمام بجوانب العدالة الشاملة، واهتمامه بقيمة العدالة الاجتماعية، تبين لنا النظرة النافذة والشاملة للإمام عليه السلام في أركان الحكومة الإسلامية وأبعادها الشعبية؛ فالعدالة سياسة عامة شاملة ينتفع بها عامة الناس، بينما الجود عمل خاص ينتفع به فرد أو فئة خاصة، وإن نظام القيادة في الحكومة الإسلامية يجب أن يجعل أساس البرامج على محور العدالة.

ج - «استعمل العدل واحذر العسف والخيف، فإن العسف يعود بالجلال، والخيف يدعو إلى السيف»<sup>٢</sup>.

## رؤيتان سياسيتان:

د - «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمر بالشديدة»<sup>٣</sup>.

لقد بين الإمام عليه السلام في هذا البيان القصير أساس السياسة الإسلامية وسياسة القادة الإلهيين وإن الكثير يرى أن السياسة تساوي الغدر ونقض العهد والكذب والتزوير. ولكنها في نظر القادة الإلهيين يجب أن يوازها الصدق والأمانة وأن تُنفذ بكل قدرة وشهامة وتدبير. إذ هناك من يتوسل بكل وسيلة للوصول إلى هدفه، ويفيد من أنواع الدسائس والمؤامرات الشيطانية من أجل الحفاظ على مقامه ومركزه، وطبعي أن يكون منقذو السياسة الإلهية بعيدين بل معرضين عن الإفادة من هذه الأساليب الرخيصة. ويقول الامام علي عليه السلام: إن السبب في تمكّن معاوية من التأثير بأساليبه في جماعات من الناس والوصول إلى بعض أغراضه وأهدافه، ليس هو علمه وعقله، بل لأنه لا يهتم أن يكون الوصول إلى الهدف بأي وسيلة وطريق.

إن الفارق الأساس فيما بين هاتين الرؤيتين المتقابلتين في السياسة، إنما هو في أن

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٦٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة: ١٩٣.

إحداهما تلتزم بالأصول والقيم الاسلامية والإنسانية، على حين يختلف الأمر بالنسبة إلى الطرف الآخر من حيث الالتزام بالأصول والقيم، فالأصل لديه الوسيلة للوصول إلى هدفه، والعدل لديه هو تنفيذ سلطته، والحفاظ على قدرته وتوسيعها بكل الطرق والأساليب. ومن المؤكد أن بُعد الرجال الإلهيين عن الخيانة ونقض العهود ليس بمعنى جهلهم بتلك الأساليب الرخيصة، أو عجزهم عن القيام بها، أو سذاجتهم وغفلتهم، ووقوعهم ضحية لمؤامرات الأعداء ودسائسهم، بل إنهم يتخذون قراراتهم بكل قدرة وتدبير وشجاعة وصرامة في مواجهة أعدائهم ومجابهة المصاعب الناجمة عن تلك المواجهة. ويقومون بالسياسة الإلهية مع رعاية الأصول والقيم، وعلى أساس الحدود والأحكام الشرعية، وبصفتها وظيفة وتكليفاً عليهم أدائه.

### الحاكم والوالي في الرؤية الاسلامية:

إن الحاكم في النظام الإسلامي يتخذ شرعيته من الله والدين، وتدفعه للعمل الدوافع الإلهية ورضا الله تعالى. وإنما تقيم هذه المسؤولية بما يدفعها من الاتجاه الإلهي في العمل، ثم لا موضوعية لآراء الناس وانتخابهم، بل إن الأصل هو الحفاظ على القيم والمقاييس الشرعية والقانونية، من دون أن يكون رأي الناس مشرعاً ومقرراً، ولا سائر العوامل الاخرى، ويجب أن يراعي الراعي في ذلك مصالح الاسلام ثم المسلمين، لا المصالح الفردية والجماعية ويجب أن تكون الميول والأهواء إلهية، وأن تنظم النشاطات - لا سيما التبليغية - على هذا الأساس.

وليس الحاكم في النظام الإسلامي مختاراً مطلقاً ومستبدّاً، بل إنها أمانة ومسؤولية حفظ الكلام الإلهي وصيافته، وهو الحافظ لحقوق الله والناس. في حين أن الاستبداد الفردي أو الجماعي أو التنظيمي الحزبي، والأهواء والميول - لا التكليف والتقوى - هي التي تقرّر المصير في غير النظام الإلهي، والحاكم في الأنظمة البشرية يحكم وفق أهوائه وآرائه. وليست الديمقراطية فيها على أساس أن تكون الأمة سواء وعلى أساس قيادة الإنسان الإلهي، وإنما هي خداع وتضليل. والفقهاء الولي في النظام الاسلامي عندما يعمل بولايتهم وينفذونها إنما يكون على أساس الاسلام ومصالح الأمة الاسلامية، لا الميول البشرية الشخصية، فالحاكم حينئذ في الحقيقة هو الله والعدل والاسلام، وفقهه وفهمه



العلمي يكشف عما يريد الله سبحانه ويراه عدلاً وقسطاً.

## إلفات نظر:

وهنا تلزم الإشارة إلى نقطة وهي أن كلمة «العلم» وإن كانت اليوم توسعت من حيث المعاني والمصاديق، فقد تطلق على العلوم المادية والتجريبية فقط، وقد تطلق أحياناً وعلى سبيل الاشتراك اللفظي على العلوم المادية والفلسفية أيضاً، وقد تشمل العلوم والمعارف الدينية، وأحياناً تُستعمل فيما يقابل العلوم والمعارف الدينية. ولكنها في القرآن ونهج البلاغة والمعارف الإسلامية غالباً ما تشمل العلوم والمعارف الدينية، وبمعنى مطلق المعرفة، والكشف، وكثيراً ما تدل قرائن الكلام على المعنى المراد.

وعليه فبالنسبة إلى صفة الفقه في الدين لا ضرورة إلى أن نفيد من كلمة الفقه خاصة، بل إن هناك كثيراً من الكلمات تدل على مفهوم الفقه بالنظر إلى الشواهد والقرائن الموجودة والأوصاف المذكورة للعلماء. وبالجمله، فإن كلمة العلم وكلمات أخرى مثل الفقه والحكمة والبصيرة تشمل علم الدين والفقه يقيناً.

وللفقه معنيان: فالفقه بالمعنى الأعم يطلق على درك الدين، والعلم بجميع جوانب معارفه. والفقه بالمعنى الخاص يطلق على العلم بالأحكام الشرعية والاجتهاد فيها واستنباطها حسب الأسلوب الخاص في علم الفقه.

ان الذي يؤهل الفرد للقيادة الإسلامية في نظر الامام علي عليه السلام هو الفهم العميق للإسلام والقدرة على تطبيقه. انظر قوله عليه السلام:

١- «أيها الناس، إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله... ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر، والصبر، والعلم بمواضع الحق... واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه»<sup>١</sup>.

ذكر عليه السلام في هذا البيان العميق ثلاثة مواضيع أساسية بالنسبة إلى الحكومة وقيادة المجتمع:

١- «إن أحق لناس بهذا الأمر - أي القيادة وزعامة المجتمع الاسلامي - أقواهم عليه،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

## دراسات

وأعلمهم بأمر الله». فالشرطان الأساسيان المؤهلان للقيادة هما: العلم، والقدرة.  
٢- «ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر، والصبر، والعلم بمواضع الحق» فالخصال الثلاث هي:

أ- البصيرة في الدين.

ب- العلم بمواضع الحق.

ج- الصبر على طريق الحق.

ثم يوصي الناس فيقول:

٣- «واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه».

تعليم الناس وتأديبهم من وظائف القادة الإلهيين:  
«وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كي ماتعملوا».

ومن وظائف الإمام والقائد فيما يخص الأمة والمجتمع: تعليم الكتاب والسنة والمعارف الإلهية والأحكام والأخلاق الإسلامية. فالإمام في الواقع معلم مسؤول، وأسوة وقدوة، ونموذج في الفضائل والمعارف لمبدأ الحق، وعليه أن يرشد المجتمع قولاً وعملاً إلى تعاليم الإسلام وعلومه ومعارفه، فيسوق قافلة البشرية إلى الله في إطار شريعة الله.

ومن شرائط الحاكم الإسلامي أن يكون فقيها عادلاً، فإذا انكشف الخلاف أو علم أنه ليس جامعاً للشرائط أو غير مراعٍ لها فهو منعزل عن الحكم شرعاً.

فالحكومة الإسلامية ليست حكومة فردية ولا حكومة جماعية، بل هي حكومة الله على الناس من خلال حكومة من يطيع أوامر الله وينفذها ويحفظها. والحكومة الإسلامية ليست استبدادية ديكتاتورية، ولا سلطة جماعة من الأشراف والنبلاء، ولا جمهورية بمعناها المتداول، سواء كان الأساس رأي الناس أم لا، كما في النظم الشرقية منها والغربية، بل إن الأساس هو قبول هداية الله وولايته وإطاعة أوامره. وهذا هو أكبر

ضمان لصيانة حقوق الناس في النظام الإسلامي، أما الآراء والانتخابات والأحزاب والتنظيمات فيجب أن تشكل على هذا الأساس، وعليهم السعي لتنفيذ أفكار الولي الفقيه وأوامره النابعة من الإسلام الأصيل، ولا عذر لأحد عند الله في ذلك.

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام في كلماته في «نهج البلاغة» بخطر الحكام المستبدّين غير المتّقين لكي لا يبتلي المجتمع المسلم بأمثالهم من الذناب البشرية، ولا يستولوا على مصير الاسلام والمسلمين، فيحملوا المسلمين الذلة والانحراف والتحرّيف، ولا يتصدوا لتحطيم الإسلام باسم الاسلام. وإن خطر هؤلاء ولا سيما حينما يمسون بأزمة أمور المسلمين أكبر من أي خطر آخر، وإن تاريخ الاسلام الدامي والمؤلم ليرينا تلك الآثار السيئة لحكم هؤلاء السفهاء المتغترسين! يقول عليه السلام: «ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دولاً وعبادة حوْلاً، والصالحين حرباً والفاسقين حزباً»<sup>١</sup>.

فهو آسف وحزين أن يقع زمام أمور المسلمين بيد السفهاء والفسّاق الفاجرين، فيجعلون بيت مال المسلمين إقطاعاً لهم ويتصرّفون فيه كيفما يشاؤون، ويتخذون عباد الله عبيداً لهم، فيحاربون الصلحاء بحزب الفسقة. وإنما دخل علي عليه السلام الساحة السياسية في الاسلام ليحيي دين الله ويقوم بصيانه، ليحيي كلمة التوحيد بتوحيد الكلمة وتحكيم سنة الرسول، ولم يخف في سبيل ذلك من الجهاد حتى الشهادة، ولكنه يتألّم أن يبادر إلى زمام أمور المسلمين السفهاء الفسقة والسياسيون الخونة ثم ينقلب كل شيء، فيحكم أعداء الله ويغلب أولياء الله.

وفي كتابه إلى أهل مصر مع محمد بن أبي بكر، بعد أوامره الأكيدة بشأن تنفيذ العدالة والمساواة، والتواضع والمحبة، وحسن البشر، ورعاية حقوق الناس، يقيس بين نوعين من القيادة والإمامة هما: إمام الهدى والحق، وإمام الضلالة، وولي رسول الله، وعدوّ رسول الله فيقول: «فإنه لا سوء إمام الهدى وإمام الردى وولي النبي وعدوّ النبي» ثم يحدث بحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال له: «إني لا أخاف على أمتي مؤمننا ولا مشركاً: أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه. ولكنني أخاف عليكم كلّ منافق

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

الجَنان عالم اللسان، يقول ماتعرفون ويفعل ماتنكرون<sup>١</sup>.  
وما أنبيء به رسول الله وأنذر بخطرته تحقق، فقد أصاب الإسلام من جانب القادة  
المناققين، مالم يصبه من خلال أعداء الأمة الإسلامية.  
إن الحكومة في ثقافة الإمام علي عليه السلام والإسلام خدمة وعبادة ومسؤولية. وإن  
قول الحاكم الاسلامي وفعله واحد وفي خدمة عباد الله، ويجب أن يكون الحاكم بعيداً  
عن قول الزور والاستبداد وعدم الاعتداد بشأن العباد والديكتاتورية والاستعلاء  
والامتياز عن سائر الناس. وأن ينشأ على التقوى ويصبح مسؤولاً على أساس التقوى،  
والهدف من الحكم إعداد الأجواء لعبودية الله في الأرض، وليس الهدف الاقتدار  
والاستعلاء على الآخرين، ولا موضوعية للحكومة بذاتها، بل هي وسيلة لإحياء الحق  
وإماتة الباطل.

وقد رسم الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في أحد كتبه إلى أهل  
الكوفة الخطوط والشرائط العامة للقيادة في الإسلام كما يلي: «فوالله ما الإمام إلا العامل  
بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله»<sup>٢</sup>.  
فالشروط أربعة:

- ١- أن يكون عاملاً بأحكام الكتاب الإلهي «القرآن الكريم».
  - ٢- أن يقيم القسط والعدل.
  - ٣- أن يكون متديناً بدين الحق.
  - ٤- أن يحبس نفسه على الله ودينه بعيداً عن أي زلة وانحراف.
- أجل، إن أساس الحكومة والإمامة والولاية في الإسلام ذلك فحسب، وواضح أن  
هذه الخصائص بعيدة عن الانحراف والاستبداد والديكتاتورية والسياسة الخسنة أو  
المراوغة واتباع الأهواء. والذين يصطبغون بغير صبغة الله ويتأثرون بغيره وينخدعون  
بالقدرة والمقام لا يصلحون للمسؤولية في الحكومة الإسلامية.
- وقال الإمام علي عليه السلام: «يُستدل على إدبار الدول بأربع: تضييع الأصول، والتمسك  
بالفروع، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل»<sup>٣</sup>.

وفي أيّ مجتمع تُسحق الأصول فيه وتضَيّع الموازين، وتقدّم الأمور التافهة، فإن الأراذل من الناس سيتقدمون بصورة طبيعية حتى أنهم ليأخذون بزمام الأمور، وبالطبع سيتأخّر العقلاء والخبراء، وبالتالي سينخر الضعف والقصور في إدارة أمور المجتمع، وبذلك تتوافر عوامل تأخر الشعوب مع انحطاط الدول. وإن من العوامل المهمة في تقدم الأمم والشعوب تواجد قادة صالحين مديرين ومدبّرين، وما قوام أمور الدين والدنيا إلا بذلك.

وفي ختام هذا الفصل نجعل حسن الختام بكلام الإمام عليه السلام بشأن السياسة مما جاء في الكتاب القيم «الغرر والدرر» للآمدي<sup>١</sup>:

- ١- «حسن السياسة يستديم الرياسة».
- ٢- «حسن السياسة قوام الرعية».
- ٣- «من حسنت سياسته دامت رياسته».
- ٤- «حسن التدبير وتجنّب التبذير من حسن السياسة».
- ٥- «أفة الزعماء ضعف السياسة».
- ٦- «سوء التدبير سبب التدمير».
- ٧- «من ساء تدبيره كان هلاكه في تدبيره».
- ٨- «خير السياسات العدل».
- ٩- «ملك السياسة العدل».
- ١٠- «جمال السياسة العدل في الإمرة والعفو مع القدرة».
- ١١- «من الحق على المَلِك أن يسوس نفسه قبل رعيّته».



(١) نقلا عن ميزان الحكمة ٤: ٥٨٣ فما بعدها.



## ساقِي الحوض

شعر: الشيخ نبيل الحلباوي

فطريقي شوكٌ وعِثني ثَقِيلُ  
وجَناحي عن كلِّ أَفقٍ كَلِيلُ  
ودموعي يَصُدُّ بِهِنَّ الغليلُ  
لِي عَذْرٌ والسائلُ المسؤولُ  
وامامي وقائدي والدليلُ  
لشِقائِي؟ فما عساي أَقولُ؟  
باد تبقي وحسرة لا تزولُ

فمع الفعل يَحْسنُ التفعيلُ  
ولأيسرُ فالجهادُ دربُ تطولُ  
بيتَ وَرداً ما نال منه دُبولُ  
سلاكُ والناسُ والزُّبَا والسُّهولُ

ليس يدري مَداهُ إِلَّا الرسولُ  
وتَلَاقِي التَّنزيلُ والتَّأويلُ

ساقِي الحوضِ هلْ إِلَيكَ سَبِيلُ  
وقيودي يَشُدُّنَ للأرضِ خَطُوي  
ولهيبُ الهجيرِ يُحرقُ صدري  
ما جهلتُ الجوابَ يوماً فيقني  
أُتراني وأنتَ أنتَ وليي  
والأباريقُ كالنجومِ، وأظما  
بِالها خجلةٌ إلى أبدِ الآ

فَلأَسْمَرَ لكلِّ فَعْلٍ ولأءِ  
ولأَطْمَرُ نفسي وقلبي وعقلي  
ولأَقْلها في حُبِّ طه وأهلِ الـ  
ولتَرَدِّدْ مَعِي الملائكُ والأفـ

يا إماماً تَحارُّ فيه العقولُ  
يا أخاه ونفسَه وهُداهُ

## فنون وآداب

وأماناته لديه وباب الـ  
ماله في الأنام من بعد طه  
نصر الدهر والمكان وأعطي

سعلم والبضعة الطهور البتول  
من مثيل وليس عنه بديل  
ما به الدهر والمكان بخيل

يا إمام البيان حين يجول  
كان للشرك دولة وزمان  
فإذا ذو الفقار يهوي عليهم  
وشروح اليهود كانت وكانوا  
نفثوها مكرراً وكيداً وحقداً  
وإذا خبير ومرحب ذكرى

وإمام الحسام حين يصول  
وجيوش وسادة وقبيل  
وإذا الشرك بعد ذاك قتيل  
ولهم صولة وظل ظليل  
فإذا الرد سيفك المسلول  
وإذا هم خلف الصحارى فلؤل

أي نهج من البلاغة لولا  
هو دنيا الإيمان تشرق حتى  
هو نفح القرآن في عالم القو

ه لما تمّ للبليغ الوصول  
ما لها في الزمان يوماً أفول  
ل وأفق من الجمال جميل

ضاق عنك الزمان حكماً وعلماً  
وسلوني من قبل أن تفقدوني

فإذا الصبر دربك الموصول  
يا لها غصة فأين السؤل

وخصوم ينازعونك دنياً  
وسوى الحق لست تبصر فيها

أنت -عنها- برّها مشغول  
وعن العدل لست فيها تميل

وجرعت الخذلان من قوم سؤء  
حسبها دنياً تطيب فكانت

كل شئلو منهم حقير ذليل  
بعض موت، والخاذل المخذول

## فنون وآداب

يا لِسِيفٍ يُصَنِّفُ النَّاسَ: لِلنَّاسِ  
كُنْتُ تَسْمَعُ إِلَى الشَّهَادَةِ حَتَّى  
وَعَلَى دَرِكَ الْأَثْمَةِ سَارُوا  
حَفَظُوا الدِّينَ أَنْ يُزَيَّفَ أَوْ تَجُ  
وَقَضُوا دُونَهُ تَبَاعاً إِلَى أَنْ

كَمْ قُرُونٍ مَرَّتْ وَلِلظَلَمِ فِيهَا  
فَاسْتَفَاضَ الْإِفْقَارُ وَالتَّجْهِيلُ  
ثُمَّ أَمْسَى الْمُسْتَعْمِرُونَ عَلَيْنَا  
وَصَلَبِيَّ حَقْدِهِمْ لَيْسَ يُزَوَّى  
وَأَرَادُوا بِالْأَدِينِ مَكْرًا فَأَبْقُوا  
سَطْحُورَةً وَحَجْمُورَةً، فَأَمْسَى

وَحَسِبْنَا أَنَّ الْمَسِيرَةَ مَاتَتْ  
وَإِذَا النُّورُ مِنْ سَنَاكَ تَجَلَّى  
ثَوْرَةً قَادَهَا حَفِيدُكَ لِلنَّصِ  
وَإِذَا الْبَغْيُ عَرِشُهُ مَسْثُلُ  
وَإِذَا الشَّرْقُ خِيَّةً وَانْكَسَارَ  
وَالْخَمِينِي يَفْقَدُ الرِّكْبَ وَاللَّ  
حَكْمَةَ فِي صَلَابَةٍ وَثَبَاتٍ  
وَفَنَاءٍ فِي اللَّهِ يُدْنِي إِلَيْهِ  
الْوَلِيَّ الْفَقِيهَ وَالشَّعْبَ لَبِي

فَاهِنًا الْيَوْمَ فَالْمَسِيرَةَ عَادَتْ

رِ فَصِيلٍ، وَلِلجَنَانِ فَصِيلٍ  
فَزَتْ، بَلْ عَاتَقَ الْخَلِيلَ الْخَلِيلُ  
وَعَلَيْهِمْ مِنَ الطَّفَاةِ كِبُولُ  
سَتَتْ مِنْهُ فِرْوَعُهُ وَالْأَصُولُ  
غَابَ مَهْدِيُّهُمْ لِيَتَقَضَى فُصُولُ

دَوْلَةً ظَلَمَهَا وَبِيَّةً وَبَسِيلُ  
وَاسْتَحَرَّ التَّفَجِيعُ وَالتَّقْتِيلُ  
وَمِنْ الْعَلَمِ نَائِبُهُمْ مَصْقُولُ  
لَوْ جَرَّتْ لِلدَّمَاءِ مِنْ سَيُولُ  
هَ شِعَارًا، وَعِزَمَهُ مَغْلُولُ  
لَيْسَ عَمَقَ فِيهِ وَلَيْسَ شَمُولُ

وَعَلَى الْحَقِّ قَدْ تَرَامَتْ سَدُولُ  
عَنْهُ أَفَقٌ مَقْطَرٌ مَطْلُولُ  
سَرَّ وَضَجَ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ  
وَإِذَا الْكَفَرُ سَيْفُهُ مَقْلُولُ  
وَإِذَا الْغَرَبُ صَعْقَةٌ وَذُھُولُ  
عَلَى الرِّكْبِ حَارِسٌ وَوَكِيلُ  
أَوْحَدِيٍّ وَمَوْقِفٌ لَا يَحُولُ  
كُلُّ أَمْرٍ كَأَنَّهُ الْمُسْتَحِيلُ  
لَكَ، وَطَعَمُ الشَّهَادَةِ الْمَعْسُولُ

مِثْلَمَا كَانَ خَطُّهَا الْمَأْمُولُ



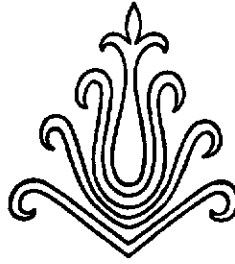
## فنون وآداب

وأضاءت إسرانُ خارطة الدنـ

يا وعاد الدين الأصيل الأصيل

أحكموا حولها الحصارَ فخابوا  
ثم شنوا حرباً تكون لها الدا  
وإذا ذئبهم عليهم يصولُ  
ورمت نَفْحَةً إلى أرض لبنا  
وإذا ثورة الحجارة والتكـ  
إنَّ وعد المستضعفين لآتٍ  
إنها راية بكف (عليّ)

أيُّ نجم عن أفقه معزول  
، فعادوا والداء فيهم دخيل  
وهي صخرٌ، فلتنطحى يا وعول  
ن، فغاصت في الوحل إسرائيل  
ببرٌ، والليل بعدها لا يطول  
ومتاع المستكبرين قليل  
والى صاحب الزمان تؤول



(١) ولي أمر المسلمين آية الله السيد علي الخامنئي دام ظله.

# الحبُّ الإلهي

## في أدعية أهل البيت عليهم السلام (١)

سماحة الشيخ محمد مهدي الأصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>١</sup>.

### العلاقة بالله:

تتكون العلاقة بالله تعالى في صورتها الصحيحة من مجموعة من العناصر المتناسقة والمتألّفة، هذه العناصر مجتمعة تكوّن الأسلوب الصحيح للعلاقة بالله تعالى. وترفض النصوص الإسلامية العلاقة بالله تعالى على أساس العنصر الواحد، كالخوف، أو الرجاء، أو الحب، أو الخشوع، وتعتبر العلاقة بالله التي تعتمد العنصر الواحد فاقدة لحالة التوازن والتناسق.

والعناصر التي تشكل العلاقة بالله تعالى مجموعة واسعة، ورد ذكرها بتفصيل في نصوص الآيات والروايات والأدعية مثل: الرجاء، والخوف، والتضرّع، والخشوع،

## دراسان

والتذلل، والوجل، والحب، والشوق، والأنس، والإنابة، والتبذل، والاستغفار، والاستعاذة، والاسترحام، والانقطاع، والتمجيد، والحمد، والرغبة، والرغبة، والطاعة، والعبودية، والذكر، والفقر، والاعتصام.

وقد ورد في الدعاء عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام:  
«اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حباً لك وخشية منك، وتصديقاً لك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك»<sup>١</sup>.

ومن هذه العناصر المتعددة يتألف طيف زاهٍ ومتناسق للعلاقة بالله تعالى، وكل عنصر من هذه العناصر يعتبر مفتاحاً لباب من أبواب رحمة الله ومعرفته.  
فالاسترحام مفتاح لرحمة الله تعالى، والاستغفار مفتاح للمغفرة.  
كما أن كل عنصر من هذه العناصر يعتبر بحد ذاته طريقاً للحركة والسلوك إلى الله. فالشوق والحب والأنس بالله طريق إلى الله، والخوف، والرغبة طريق آخر إلى الله تعالى، والخشوع طريق ثالث إلى الله، والرجاء والدعاء والتمني طريق آخر إلى الله. وعلى الإنسان أن يسلك ويتحرك إلى الله تعالى من مسالك وطرق مختلفة، ولا يقتصر على سلوك الطريق الواحد، فإن لكل سلوك نكهة وذوقاً وكمالاً وثمره في حركة الإنسان إلى الله لا توجد في السلوك الآخر.  
ويطرح الأسلام على هذا الأساس مبدأ تعددية عناصر العلاقة بالله تعالى. وهذا بحث واسع وباب واسع من العلم لا تريد أن ندخله الآن.

### حب الله تعالى:

وحب الله تعالى من أفضل هذه العناصر، وأقواها، وأبلغها في شدّ الإنسان بالله تعالى، وتحكيم علاقته به عز شأنه.  
ولا يوجد في ألوان العلاقة بالله لون أقوى وأبلغ من «الحب» في توثيق علاقة العبد بالله.

وقد ورد ذكر هذه المقارنة بين عناصر العلاقة بالله تعالى في مجموعة من النصوص

## دراسان

الإسلامية، نذكر بعضها:

روي أَنَّ الله تعالى أوحى إلى داود:

«ياداود ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وحبِّي للمشتاقين، وأنا خاصة للمحبِّين»<sup>١</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«الحبُّ أفضل من الخوف»<sup>٢</sup>.

وروى محمد بن يعقوب الكليني عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام:

«العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزَّوجلَّ خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة التجار، وقوم عبدوا الله عزَّوجلَّ حباً، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»<sup>٣</sup>.

وروى الكليني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه، وبأشرها بجسده، وتفرَّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم يسر»<sup>٤</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«نجوى العارفين تدور على ثلاثة أصول: الخوف، والرجاء، والحب. فالخوف فرع العلم، والرجاء فرع اليقين، والحب فرع المعرفة. فدلِّل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحب إيثار المحبوب على ماسواه. فإذا تحقَّق العلم في الصدر خاف، وإذا صحَّ الخوف هرب، وإذا هرب نجا وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكَّن من رؤية الفضل رجا، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب، وإذا وُقِّق الطلب وجد. وإذا تجلَّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ربح المحبة، وإذا هاج ربح المحبة استأنس ظلال المحبوب، وأثر المحبوب على ماسواه، وبأشْر أوامره. ومثال هذه الأصول الثلاثة كالحرَم والمسجد والكعبة، فمن دخل الحرَم أَمِن من الخلق، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في

(١) بحار الأنوار ٩٨: ٢٢٦.

(٢) بحار الأنوار ٩٨: ٢٢٦.

(٣) أصول الكافي ٢: ٨٤.

(٤) أصول الكافي ٢: ٨٣.

المعصية، ومن دخل الكعبة أمن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله»<sup>١</sup>.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يكنى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمي.... أوحى الله إليه: يا شعيب إن يكن هذا خوفاً من النار، فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك. فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي، فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هذا هكذا فيمن أجل هذا سأخدمك كليماً موسى بن عمران»<sup>٢</sup>.

وفي صحيفة إدريس عليه السلام:

«طوبى لقوم عبدوني حباً، واتخذوني إلهاً ورباً، سهروا الليل، ودأبوا النهار طلباً لوجهي من غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار، ولا جنة، بل للمحبة الصحيحة، والإرادة الصريحة والإنقطاع عن الكل إلي»<sup>٣</sup>.

وفي الدعاء عن الإمام الحسين عليه السلام:

«عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً»<sup>٤</sup>.

## الايان والحب:

وقد روي في النصوص الإسلامية: أن الإيانه حب.

فعن الإمام الباقر عليه السلام:

«الإيانه حب وبغض»<sup>٥</sup>.

وعن الفضيل بن يسار قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن الحب والبغض، أيمن الإيانه هو؟ فقال:

«وهل الإيانه إلا الحب والبغض»<sup>٦</sup>.

وعن الصادق عليه السلام:

(٢) بحار الأنوار ١٢: ٣٨٠.

(٤) المصدر السابق ٩٨: ٢٢٦.

(٦) أصول الكافي ٢: ١٢٥.

(١) مصباح الشريعة: ٢، ٣.

(٣) المصدر السابق ٩٥: ٤٦٧.

(٥) بحار الأنوار ٧٨: ١٧٥.

«هل الدين إلا الحب؟ إن الله عز وجل يقول ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>١</sup>.

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«الدين هو الحب والحب هو الدين»<sup>٢</sup>.

## لذّة الحب:

والعبادة إن كانت عن حبّ وشوق ولهفة فلا تفرقها لذّة وحلاوة.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وهو ممّن ذاق حلاوة حبّ الله وذكره:

«إلهي ما أطيب طعم حبّك وما أعذب شرب قُربك»<sup>٣</sup>.

وهي حلاوة ولذّة مستقرّة في قلوب أولياء الله، وليست لذّة عارضة تعرض حيناً، وترتفع حيناً. وإذا استقرّت لذّة حب الله في قلب العبد فذلك قلب عامر بحب الله، ولن يعذب الله قلب عبد عمّر بحبه، واستقرّت فيه لذّة حبه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إلهي وعزّتك وجلالك لقد أحببتك محبة استقرّت حلاوتها في قلبي، وما تنعقد

ضماثر موحّديك على أنّك تبغض مُحبيّك»<sup>٤</sup>.

وعن هذه الحالة المستقرّة والثابتة من الحبّ الإلهي يقول الإمام علي بن الحسين عليه

السلام: «فوعزتك ياسيدي لو انتهرتني ما برحت من بابك، ولا كففت عن تملّكك، لما

انتهى إلي من المعرفة بجودك وكرمك»<sup>٥</sup>.

وهو من أبلغ التعبير في عمق الحب واستقراره في القلب، فلا يزول ولا يتغيّر في قلب

العبد حتّى لو نهره مولاه، وأبعده من جنابه، وحاشاه أن يفعل ذلك بعيد استقرّ حبه في قلبه.

وإذا عرف الإنسان طعم حبّ الله ولذّة الأنس به فلا يؤثّر عليه شيئاً. يقول زين

العابدين وإمام المحبّين:

(٢) نور الثقلين ٥: ٢٨٥.

(٤) مناجاة أهل البيت: ٩٧-٩٨.

(١) بحار الأنوار ٦٩: ٢٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٩٨: ٢٦.

(٥) بحار الأنوار ٩٨: ٨٥.

«من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام عنك بدلاً، ومن ذا الذي أبس بقربك فابتغى عنك جَوْلاً»<sup>١</sup>.

وإنما يتوزع الناس على المسالك والمذاهب لأنهم حُرِموا لذة حب الله. وأما الذين عرفوا لذة حب الله فلا يبحثون بعد ذلك عن شيء آخر في حياتهم. يقول الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ماذا وجد من فقدك؟! وما الذي فقد من وجدك؟!<sup>٢</sup>.

ويستغفر علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام من كل لذة غير لذة حب الله، ومن كل شغل غير الاشتغال بذكر الله، ومن كل سرور غير قرب الله، لأن الله تعالى حرّم على عباده ذلك، ولكن لأن ذلك من انصراف القلب عن الله واشتغاله بغير الله، ولو لزم من قصير، ولا ينصرف قلب عرف لذة حب الله، عن الله. وكل شيء وكل جهد في حياة أولياء الله يأتي في امتداد حب الله، وذكر الله، وطاعة الله، وكل شيء عدا ذلك فهو انصراف عن الله، يستغفر الله منه. يقول عليه السلام: «وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك، ومن كل راحة بغير أنسك، ومن كل سرور بغير قربك، ومن كل شغل بغير طاعتك»<sup>٣</sup>.

### الحب يجبر عجز العمل:

والحب لا ينفصل عن العمل، فمن أحب كانت أماره حبه العمل والحركة والجهد. ولكن الحب يجبر عجز العمل، ويشفع لصاحبه كلما قصر عمله، وهو شفيع مُشَفِّع عند الله تعالى.

يقول علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعاء الأسحار الذي يرويه عنه أبو حمزة الثمالي وهو من جلائل الأدعية: «معرفتي يامولاي دليلي عليك، وحبّي لك شفعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلاتك، ومن شفعي إلى شفاعتك»<sup>٤</sup>.

ونعم الدليل والشفيع المعرفة والحب، فلا يضيع عبد دليله إلى الله «المعرفة»، ولا يقصر عبد عن الوصول والبلوغ إذا كان شفعه إلى الله «الحب».

(٢) بحار الأنوار ٩٨: ٢٢٦.

(٤) بحار الأنوار ٩٨: ٨٢.

(١) بحار الأنوار ٩٤: ١٤٨.

(٣) بحار الأنوار ٩٤: ١٥١.

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إلهي إني أعلم أنك تعلم أنني وإن لم تدُم الطاعة مني فعلاً جزماً، فقد دامت محبةً وعزماً».

وهو إشارة رقيقة من رقائق كلمات الإمام، فإن الطاعة قد تقصر بالإنسان، ولا يتمكن أن يثق بطاعته لله، ولكن ما لاسبيل إلى الشك فيه للمحبين هو اليقين والجزم بحبهم لله تعالى، وعزمهم على المضي في الحب والطاعة، وهذا مما لا يرتاب فيه عبد وجد حب الله في قلبه، فقد يقصر العبد في طاعة، وقد يرتكب ما يكرهه الله ولا يحبه من معصية، ولكن ما لا يمكن أن يكون - وهو يقصر في الطاعة ويرتكب المعصية - أن يكره الطاعة وحب المعصية.

فإن الجوارح قد تنزلق إلى المعاصي، ويستدرجها الشيطان والهوى إليها، وقد تقصر الجوارح في طاعة الله، ولكن قلوب الصالحين من عباد الله لا يدخلها غير حب الله وحب طاعته وكرهية معصيته.

وفي الدعاء: «إلهي أحب طاعتك وإن قصرت عنها، وأكره معصيتك وإن ركبتها، فتفضل عليّ بالجنة»<sup>١</sup>.

وهذه هي الفاصلة بين الجوارح والجوانح، فإن الجوارح قد تقصر عن الحقوق بالجوانح، وقد تخلص الجوانح وتخضع لسلطان حب الله بشكل كامل، وتقصر عنها الجوارح، إلا أن القلب إذا خلص وطاب فلا بد أن تنقاد له الجوارح وتطيعه. ولا بد أن تنفذ الجوارح ما يطلبه وتريده الجوانح، وتنعدم عند ذلك هذه الفاصلة بين الجوارح والجوانح بسبب إخلاص القلب.

### الحب يجير الانسان من العذاب:

وإذا كانت الذنوب تسقط الإنسان في عين الله، وتعرضه لعقاب الله وعذابه فإن «الحب» يجير الإنسان من عذاب الله وعقابه.

ففي المناجاة عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «إلهي إن ذنوبي قد أخافتني، ومحبتني لك قد أجارتني»<sup>٢</sup>.



## درجات الحبّ وأطواره:

وللحب في قلوب العباد درجات ومراحل.

فمن الحب حب ضحل ضئيل، لا يكاد يُحسّ به صاحبه.

ومن الحب ما يملأ قلب العبد، ولا يترك في قلبه فراغاً لشأن آخر ممّا يلهو به الناس ويشغلهم عن ذكر الله.

ومن الحبّ ما لا يرتوي معه العبد من ذكر الله ومناجاته والوقوف بين يديه، ولا يبدّد ظمأً فؤاده من الذكر، والدعاء، والصلاة، والعمل في سبيل الله، مهما طال وقوفه، وعمله، وصلاته بين يدي الله.

وفي الدعاء عن الامام الصادق عليه السلام: «سَيِّدِي أَنَا مِنْ حَبِّكَ جَائِعٌ لَا أَشْبِعُ، أَنَا مِنْ حَبِّكَ ظَمآنٌ لَا أُرْوِي، وَاشْوَاقُهُ إِلَى مَنْ يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ».

يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في المناجاة: «وَعَلَّتِي لَا يَبْرُدُهَا إِلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لَا يَطْفِئُهَا إِلَّا لِقَاؤُكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ لَا يَبْتُلِّهُ إِلَّا النَّظَرُ إِلَيْكَ»<sup>١</sup>.

ومن حب الله (الوله) و(الهيام)، ففي (زيارة أمين الله): «اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبَتِينَ إِلَيْكَ وَالْهَمَّةُ»<sup>٢</sup>.

وفي دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «إِلَهِي بِكَ هَامَتِ الْقُلُوبُ الْوَالِهَةُ... فَلَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلَّا بِذِكْرِكَ، وَلَا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا عِنْدَ رُؤْيَاكَ»<sup>٣</sup>.

وهذه خاصّة القلوب الوالهة والهائمة لا تسكن ولا تطمئن إلا بذكر الله.

ومن أروع الحب وأبلغه ما نجده في كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الدعاء الذي علّمه لكميل بن زياد النخعي رحمه الله والمعروف بدعاء كميل:

«فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي صَبْرْتُ عَلَى عَذَابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ وَهَبْنِي صَبْرْتُ عَلَى حَرِّ نَارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى كِرَامَتِكَ أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ؟!»<sup>٤</sup>.

وهو من أروع لفتات الحب وأصدقها. فهب أنّ العبد يصبر على عذاب نار مولاه،

(١) بحار الأنوار ٩٤: ١٤٩.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٣) بحار الأنوار ٩٤: ١٥١.

(٤) مفاتيح الجنان.

فكيف يصبر على هجره وفراقه وغضبه؟!

والمحب قد يتحمّل عقوبة مولاه، ولكن لا يتحمّل غضبه ومقته له، وقد يتحمّل النار وهي من أقسى العقوبات ولكن لا يتحمّل هجر مولاه وفراقه.

وكيف ترى يسكن العبد في نار جهنم وهو يرجو أن يعطف عليه مولاه وينقذه منها؟! وهذا (الحب) و(الرجاء) الذي لا يفارق قلب العبد - وهو يصلّي في نار جهنم بغضب من الله تعالى - من أروع صور هذا الدعاء الجليل.

فقد يحبّ العبد مولاه، وهو ينعم بنعمته وفضله، وهو بالتأكيد من الحب، ولكن الحب الذي لا يزيد عليه حب أن لا يفارق الحب والرجاء قلب العبد وهو يصلّي بنار عذاب مولاه.

يقول الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعاء الأسحار الذي علّمه لأبي حمزة الثمالي رحمه الله: «فوعزّتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملّكك لما ألهم قلبي من المعرفة بكرمك وسعة رحمتك. إني من يذهب العبد إلّا إلى مولاه؟! وإني من يلتجئ المخلوق إلّا إلى خالقه؟! إلهي لو قرنتني بالأصفاد، ومنعتني سيبك من بين الأشهاد، ودلت على فضائحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار، وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك، وما صرفت تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبك من قلبي»<sup>(١)</sup>.

وهذا هو أصدق الحب، والرجاء، والأمل، وأنقاء وأصفاء، لا يكاد يخرج من قلب العبد حتى لو قرنه مولاه بالأصفاد، ومنعه سيبه من بين الأشهاد، ودلّ على فضائحه عيون العباد.

ولنتابع استعراض هذه الصور الرائعة من الحب والرجاء التي يرسمها الامام علي عليه السلام في الدعاء الجليل «دعاء الكميل»: «فبعزّتك ياسيدي ومولاي أقسم صادقاً لئن تركتني ناطقاً لأضجرّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين، ولأصرخن إليك صراخ المستصرخين، ولأبكين عليك بكاء الفاقدين، ولأناديئك أين كنت يا ولي المؤمنين؛ يا غاية آمال العارفين، يا غياث المستغيثين، يا حبيب قلوب الصادقين،

(١) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

وياإله العالمين. أفتراك سبحانه ياإلهي وبحمدك تسمع فيها صوت عبد مسلم  
سجن فيها بمخالفته وذاق طعم عذابها بمعصيته، وحبس بين أطباقها بجرمه  
وجريته، وهو يضجّ إليك ضجيج مؤملٍ لرحمتك، ويناديك بلسان أهل توحيدك،  
ويتوسل إليك بربوبيتك يامولاي فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ماسلف من  
حكمك أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك أم كيف يحرقه لهيبها،  
وأنت تسمع صوته وترى مكانه. أم كيف يشتمل عليه زفيرها، وأنت تعلم ضعفه.  
أم كيف يتغلغل بين أطباقها، وأنت تعلم صدقه، أم كيف ترجره زبانيته، وهو  
يناديك ياربّه، أم كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتتركه فيها هيهات ماذلك الظن  
بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مشبه لما عاملت به الموحّدين من برك  
وإحسانك، فباليقين أقطع لولا ماحكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من  
إخلاء معانديك، لجعلت النار كلّها برداً وسلاماً، وما كان لأحدٍ فيها مقرأً ولا  
مقاماً<sup>١</sup>.

يقول أحدهم: أن خصلة البطولة والشجاعة خصلة أصيلة في علي عليه السلام،  
لا تفارقه حتى في الدعاء بين يدي رب العالمين. فها هو في الدعاء الذي علّمه لكميل  
يتصوّر أن النار قد احتوت العبد المذنب، وأحاطت به من كل جانب، فلا يسكت ولا  
يسكن ولا يستسلم للعذاب والعقوبة، كما هو مقتضى الحال فيمن أطبق عليه العذاب  
واحتوشه زبانية النار، وإنما يضج ويبكي ويصرخ ويهتف وينادي.

ألا تراه كيف يعبر عن هذه الحالة في دعاء الله؟

«فباليقين أقسم صادقاً لئن تركتني ناطقاً لاضجن إليك بين أهلها ضجيج  
الآملين، ولأصرخن إليك صراخ المستصرخين، ولأبكين عليك بكاء الفاقدين،  
ولأناديتك أين كنت ياولي المؤمنين».

قلت: لم تصب في تذوق كلام علي عليه السلام، ولو كان عليه السلام بهذا الصدد لم يقل  
في مقدمة هذا الخطاب «لو تركتني ناطقاً». أما أنا فأتصور الحالة النفسية لعلي عليه السلام  
في هذه الكلمات بين يدي الله تعالى حالة الطفل الصغير الذي لم يعرف في دنياه غير

عطف أمه، ورحمتها، وحبها ملجأً وملاذاً. فكلما داهمه أمر أو أضرب به شيء لجأ إلى أمه، واستغاث بها واستنجد بها، فإذا ارتكب مخالفة وتعرض لعقوبة من أمه، وأراد أن يلجأ إلى طرف يحميه من عقوبتها لم يجد ملاذاً وملجأً غيرها، فيحتمي بها ويستنجد بها ويستغيث ويلوذ بها، كما كان يفعل عندما يصيبه الأذى من غيرها.

وهذا هو حال علي عليه السلام في هذا الدعاء، إنه تعلّم بقلبه الكبير، وأفقّه الواسع الرحب أن يلجأ إلى الله، ويستغيث به، ويلوذ به، ولا يعرف غيره ملجأً ولا ملاذاً. فهو سبحانه وتعالى، ملجأه وملاذه الوحيد الذي لا يعرف غيره. فإذا تصوّر أن الله تعالى قد أحاطه بعذابه وعقوبته<sup>١</sup> فلا يتردد لحظة واحدة أن يلجأ إلى الله، ويلوذ به، ويستنجد به، ويستغيث به كما كان يفعل كل مرة.

أوليس هو سبحانه ملاذه وملجأه الوحيد؟ فلماذا يتردد هذه المرة أن يستنجد ويستغيث به؟!

يقول زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في تصوير هذا المعنى في المناجاة: «فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ إلهي هل يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه أم هل يجيره من سخطه أحد سواه؟»<sup>٢</sup>.

ويقول عليه السلام في الدعاء الذي علّمه لأبي حمزة الثمالي: «وأنا ياسيدي عائد بفضلك هارب منك إليك»<sup>٣</sup>.

ويقول علي بن الحسين عليه السلام في نفس الدعاء: «إلى من يذهب العبد إلا إلى مولاه وإلى من يذهب المخلوق إلا إلى خالقه»<sup>٤</sup>.

والهروب من الله إلى الله من رقائق المعاني والأفكار في علاقة العبد بالله، وهذه المشاعر التي يصورها علي عليه السلام في علاقة العبد بالله هي من أرقّ مشاعر (الحب) و(الرجاء)، وأصدقها في نفوس المحبين.

وعلي عليه السلام لا يذهب مذهب الشعراء في هذا الفقرة من الدعاء في الإستعانة بالخيال في إكمال رسم هذه اللوحة الرائعة من الدعاء، وإنما هو صادق كل الصدق في

(١) نحن نستعير هنا كلمات علي عليه السلام نفسه، ولولا أنه يقول ذلك لم نجزؤ أن نتحدث عن العلاقة بينه وبين الله تعالى بهذه الطريقة.

(٢) بحار الأنوار ٩٤: ١٤٢.

(٣) المصدر السابق ٩٨: ٨٨.

(٤) بحار الأنوار ٩٨: ٨٤.

التعبير عن إحساسه وشعوره هذا بين يدي الله.  
 ولذلك فهو يعقب هذه اللوحة من (استغاثة العبد بربه) بلوحة أخرى في نجدة الله لعبده.

فليس يمكن فيما نعرف من رحمة الله وفضله أن الله تعالى يخيب هذا الإحساس الصادق والصافي والتقي من العبد في الحب والرجاء، فيردّ حبه ويخيب رجاءه، يقول عليه السلام: «فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ماسلف من حلمك أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك أم كيف يحرقه لهيبها وأنت تسمع صوته وترى مكانه! أم كيف يشتمل عليه زفيرها وأنت تعلم ضعفه أم كيف يتغلغل بين أطباقها وأنت تعلم صدقه أم يكف تزجره زبانيته وهو يتناديك ياربه».

فهل يمكن أن تقوده الزبانية إلى النار وتزجره فيها، وهو يتنادي الله، ويهتف به، ويلوذ به بلسان أهل توحيده؟

إنّ ماسبق من حلمه وفضله في حياتنا ينفي ذلك نفياً قاطعاً مطلقاً. والإمام يستدلّ بحلم الله على حلمه وفضله على فضله: «وهو يرجو ماسلف من حلمك». والإمام عليه السلام قاطع في هذا الجانب من القضية «الخط النازل» في علاقة الله بعبده كما كان قاطعاً وصريحاً في الطرف الآخر من القضية (الخط الصاعد) في علاقة العبد بالله. فكما كان قاطعاً وصريحاً أنه حتى في النار لا يفارقه حبه ورجاؤه، ولن يستبدل بالله تعالى ملجأً وملاذاً. كذلك هو قاطع وصريح أن الله تعالى لا يخيب مثل هذا الحب الصادق والرجاء الصادق في قلب العبد.

تأملوا في هذا الجزم والقطع والصراحة في كلام علي عليه السلام: «هيهات ماذلك الظن بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مشبه لما عاملت به الموحدين من برك وإحسانك، فباليقين أقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك، وقضيت به من إخلاد معانديك، لجعلت النار كلّها برداً وسلاماً، وما كانت لأحدٍ فيها مقرأً ولا مقاماً»<sup>١</sup>.

وهذا الجزم والقطع في علاقة العبد الذي أحب مولاه «الصاعدة» وعلاقة المولى

بعده (النازلة) نجده في مواضع أخرى من كلمات علي عليه السلام. فهي هو يخاطب الله تعالى في مناجاته المشهورة: «إلهي وعزتك وجلالك لقد أحبيتك محبةً استقرت حلالاتها في قلبي، وماتت عند ضماير موحديك على أنك تبغض محبيك»<sup>١</sup>.

وفي مناجاة الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إلهي نفس أعزتها بتوحيديك كيف تذللها بمهانة هجرانك؟! وضمير انعقد على مودتك كيف تحرقه بحرارة نيرانك؟!»<sup>٢</sup>.

ويقول عليه السلام أيضاً في دعاء الأسحار من شهر رمضان الذي علمه لأبي حمزة الثمالي رحمه الله: «أفتراك يارب تخلف ظنوننا؟! أو تخبب آمالنا؟! كلاً يا كريم، فليس هذا ظننا بك، ولا هذا طمعنا فيك يارب إن لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً، إن لنا فيك رجاءً عظيماً...»<sup>٣</sup>.

### حالات الشوق والأنس في الحب:

للحب ظهوران: فقد يبرز الحب على صورة «الشوق» وقد يبرز الحب على صورة «الأنس»، وكلتاهما حالتان تعبران عن الحب، إلا أن حالة «الشوق» تنتاب المحب عندما يكون بعيداً عن محبه، وحالة «الأنس» تنتاب المحب عندما يكون بحضور حبيبه.

وهاتان الحالتان متواردتان على قلب العبد تجاه الله تعالى. فإن لله تعالى تجليين، يتجلّى للعبد عن بُعد تارة وعن قرب أخرى: «الذي بُعِدَ فلا يرى وقُرِبَ فشهد النجوى»<sup>٤</sup>.

وعندما يتجلّى للعبد عن بُعد تنتاب العبد حالة الشوق، وعندما يتجلّى للعبد عن قرب، ويحس العبد بحضور مولاه ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾<sup>٥</sup>، «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»<sup>٦</sup>، «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب»<sup>٧</sup> تنتاب العبد حالة «الأنس».

وفي دعاء الافتتاح عن الإمام الحجة المهدي عجل الله فرجه تصوير دقيق لهاتين الحالتين: «الحمد لله الذي لا يهتك حجابهِ ولا يفلق بابه»<sup>٨</sup>.

(١) مناجاة أهل البيت: ٦٨: ٦٩.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) بحار الأنوار ٩٤: ١٤٣.

(٦) مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح.

(٧) ق: ١٦.

(٨) مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح.

ولاشك أن الذي لا يهتك حجابهُ هو الذي لا يغلق بابهُ... ولكن شتان بين ذكر الله تعالى من خلال هذا التصور أو ذاك.

و«الحجاب» حجابان: حجاب ظلمة وحجاب نور، فقد تمنع الإنسان من الرؤية كثافة الظلمة، وكثافة الحجب الظلمانية، وهذا حجاب الظلمة.

وقد تمنع الإنسان من الرؤية شدة الوهج والنور، كما يعجز الإنسان عن رؤية الشمس ليس لحاجز أو مانع، وإنما لشدة وهج الشمس، وهذا هو حجاب النور.

وحجاب الظلمة في علاقة الإنسان بالله تعالى هو «حب الدنيا» و«مقارفة السيئات» و«مايرين على القلب».

وحجاب النور في علاقة الإنسان بالله تعالى شيء غير ذلك، وهو الحجاب الذي لا يهتك كما يقول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه في هذا الدعاء.

وهذا الحجاب هو الذي يهيج الشوق واللهفة في قلوب العباد. يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن هذه الحالة من الشوق واللهفة إلى الله في مناجاته:

«وَعَلَّتِي لَا يَبْرُدُهَا إِلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لَا يَطْفِئُهَا إِلَّا لِقَاؤُكَ وَشَوْقِي إِلَيْكَ لَا يَبْلُغُهُ إِلَّا

النَّظَرُ إِلَيَّ وَجْهَكَ، وَقَرَارِي لَا يَقَرُّ دُونَ دُنُوِّي مِنْكَ، وَلَهْفَتِي لَا يَرُدُّهَا إِلَّا رَوْحُكَ،

وَسَقَمِي لَا يَشْفِيهِ إِلَّا طَبِّكَ، وَغَمِّي لَا يَزِيلُهُ إِلَّا قُرْبُكَ، وَجُرْحِي لَا يَبْرِؤُهُ إِلَّا صَفْحُكَ،

وَزَيْنَ قَلْبِي لَا يَجْلُوهُ إِلَّا عَفْوُكَ... فَيَا مَنْتَهَى أَمَلِ الْآمِلِينَ، وَيَا غَايَةَ سُؤْلِ السَّائِلِينَ،

وَيَا أَقْصَى طَلِبَةِ الطَّالِبِينَ، وَيَا أَعْلَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ وَيَا وُلِيَّ الصَّالِحِينَ، وَيَا أَمَانَ

الْخَائِفِينَ، وَيَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَيَا ذَاخِرَ الْمَعْدُمِينَ، وَيَا كَافِرَ الْبَائِسِينَ»<sup>١</sup>.

وفي مقابل هذا التجلي نحو آخر من التجلي: تجلي الله لعباده دون أن يغلق له باب

بينه وبين عبادِهِ، يسمع نجواهم، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، يحول بين المرء

وقلبه، ولا يخفى عليه شيء مما يخطر على قلوب عبادِهِ، فيشعر العبد أنه بحضور مولاه،

يتهيب أن يخالفه ويعصيه، ويأنس بذكره، ويسكن إلى مناجاته ودعائه، ويطلب المناجاة،

والذكر والدعاء، والوقوف بين يديه.

في الحديث القدسي، يقول الله لبعض أنبيائه، وهو سبحانه يصف قيامهم له في

ظلمات الليل، وقد هدأ الناس واستسلموا للنوم: «ولو تراهم وهم يقومون لي في الدجى، وقد مثلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني، وقد جللت عن المشاهدة، ويكلموني، وقد عززت عن الحضور»<sup>١</sup>.

فلا يملّ العبد الوقوف بين يدي الله، ولا يشعر بمرور الوقت. أُرأيت إن كان الإنسان بمحضر حبيب من الأحباء الذين تهوئ إليهم نفوس الناس هل يملّ أو يشعر بمرور الوقت؟ فكيف لو كان الإنسان يشعر أنه بحضور الله؟ يسمعه، ويراه، ويسمع خطابه وكلامه، وهو معه؟ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾<sup>٢</sup>.

فيسكن ويطمئن إلى ذكر الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾<sup>٣</sup>.

يقول الامام المهدي الحجة عجل الله فرجه في دعائه المعروف بـ«الافتتاح»: «فصرت أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك»<sup>٤</sup>.

ولا شك أن هذه الحالة من الأنس بالله، والسكون إلى الله، والإحساس بالأمن، كنف الله حالة نابعة من الإحساس بحضور الله وقربه ومعيته، وهي من أفضل حالات العبد تجاه ربه، ولكنها ليست تمثل كل شيء في علاقة الإنسان بالله بل لابد أن تقترب بحالة (الشوق) حتى تكتمل وتتوازن، وتتناسق.

وهاتان الحالتان بارزتان في عبادة أولياء الله وعبادة الصالحين وعلاقتهم بالله، فقد يكون طابع الشوق واللهفة هو الغالب على عباداتهم وعلاقتهم بالله، وقد يكون طابع الأنس والسكون والإطمئنان هو الغالب على عباداتهم وذكرهم وعلاقتهم بالله، وقد يكون هذا وذاك، وهو أفضل الأحوال وأسلمها، وأقرب إلى حالة التوازن والتناسق في العلاقة بالله.

عن حمّاد بن حبيب العطّار الكوفي، قال: خرجنا حجاجاً فرحلنا من زباله ليلاً، فاستقبلتنا ريح سوداء مظلمة، فتقطّعت القافلة فتهت في تلك الصحاري والبراري فانتهيت إلى وادٍ قفر، فلما أن جنّ الليل أويت إلى شجرة عادية، فلما أن اختلط الظلام إذا أنا بشاب قد أقبل، عليه أظمار بيض، تفوح منه رائحة المسك، فقلت في نفسي: هذا وليّ

(١) لقاء الله: ١٠١.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح.



من أولياء الله متى ما أحسَّ بحركتي خشيت نفاره وأن أمنعه عن كثير مما يريد فعاله. فأخفيت نفسي ما استطعت. فدنا إلى الموضع فتبَّهًا للصلاة، ثم وثب قائماً وهو يقول: يا من أحاز كل شيء ملكوتاً، وقهر كل شيء جبروتاً، أزلج قلبي فرح الإقبال عليك، وألحقني بميدان المطيعين لك، قال: ثم دخل في الصلاة...

فلما أن تقشع الظلام وثب قائماً وهو يقول: يا من قصده الطالبون فأصابوه مرشداً، وأمه الخائفون فوجدوه متفضلاً، ولجأ إليه العابدون فوجدوه نوالاً، متى وجد راحة من نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بنيتته، إلهي قد تقشع الظلام ولم أقض من خدمتك وطراً، ولا من حاض مناجاتك مدرأ، صل على محمد وآله، وافعل بي أولى الأمرين بك يا أرحم الراحمين قال: فخفت أن يفوتني شخصه، وأن يخفى علي أثره فتعلقت به، فقلت له: بالذي أسقط عنك ملال التعب، ومنحك شدة شوق لذيق الرعب.... من أنت؟ فقال لي: أما إذا أقسمت فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>١</sup>.

وقال الأصمعي: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فاذا شاب ظريف الشمال عليه ذؤابتان، وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: «نامت العيون، وعلت النجوم وأنت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم أنشأ يقول:

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| يا من يجيب دعا المضطر في الظلم | يا كاشف الضر والبلوى مع السقم |
| قد نام وفدك حول البيت قاطبة    | وأنت وحدك يا قيوم لم تنم      |
| أدعوك رب دعاء قد أمرت به       | فارحم بكائي بحق البيت والحرم  |
| إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف    | فمن يجود على العاصين بالنعيم  |

قال: فاقتفيته فاذا هو زين العابدين عليه السلام<sup>٢</sup>.

وقال طاووس الفقيه: رأيته يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحة للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدِّي محمد صلَّى الله

عليه وآله في عرصات القيامة، ثمَّ بكى وقال: وعزَّتْك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وماعصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكُّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرِّض، ولكن سؤلت لي نفسي وأعانتني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ فوا سواتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفيين جُوزوا، وللمثقلين حطُّوا، أمع المخفيين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما أن لي أن أستحي من ربِّي؟ ثمَّ بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى      فأين رجائي ثمَّ أين محبتي  
أتيت بأعمال قباح زرية      ومافي الوري خلق جنني كجناتي  
ثمَّ بكى وقال: سبحانك تُعصى كأنك لا ترى، وتعلم كأنك لم تُعص تنوّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت ياسيدي الغني عنهم. ثمَّ خرَّ إلى الأرض ساجداً. قال: فدنوت منه وشلت برأسه ووضعت على ركبتي وبكيت حتَّى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال: من الذي أشغلني عن ذكر ربِّي؟ فقلت: أنا طاوس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن عليّ وأُمك فاطمة الزهراء، وجدُّك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم؟! قال: فالتفت إليّ وقال: هيهات هيهات يا طاوس دع عني حديث أبي وأمي وجدِّي خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدأ قرشياً أما سمعت قوله تعالى ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدمها من عمل صالح<sup>١</sup>.

ونصوص الادعية والمناجاة الواردة من أهل البيت عليهم السلام غنيّة بهذه الصور الحيّة والمتحركة والمعبرة عن «الانس» و«الشوق»، وبشكل خاص المناجاة الخمس عشرة التي يرويها العلامة المجلسي في البحار عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام حافلة بصور من «الانس» و«الشوق».

ونحن نجد في تراث أهل البيت عليهم السلام كنزاً غنياً من هذه الصور والمعاني، قلما نجده عند غيرهم.

وها نحن نذكر بعض هذه الصور قبل أن نفارق هذا البحث: إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً؟ إلهي فاجعلنا ممن اصطفتيه لقربك وولايتك وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقاءك، ورضيته بقضائك، ومنحته النظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعدته من هجرتك وقلاك، وبوأته مقعد الصديق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهلته لعبادتك، وهيمت قلبه لإرادتك، واجتبته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبت فيما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحى بريتك، واخترت له مناجاتك، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك.

ألهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة لخدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك. يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقه، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة ويامن قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين أسألك حبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحب إلي مما سواك، وأن تجعل حبي إليك قائداً إلى رضوانك وشوقي إليك ذائباً عن عصيانك، وامن بالنظر إليك علي، وانظر بعين الود والعطف إلي، ولا تصرف عني وجهك<sup>١</sup>.

وهذه فقرات من الدعاء زاخرة بمفاهيم الحب والشوق والأنس، ولست أريد التعليق، فلن أستطيع أن أزيد الفقرات من الدعاء جمالاً على جمالها وبياناً على بيانها، ولست ممن يحسن التعليق على آيات الدعاء والحب والأدب.

وأول ما يلفت النظر في هذه الفقرات النداء الذي ينادي به الإمام ربه سبحانه وتعالى: «يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين...». «يامن أنوار قدسه لأبصار

محبية رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة».

ومطالب الإمام في هذا الدعاء ثلاثة، وهي أعظم ثلاثة يطلبها العبد من ربه.

١. فهو يطلب من الله أولاً أن يصطفيه لنفسه، ويخلص قلبه لحبه، ويخلي وجهه لوجهه الكريم، ويرغبه فيما عنده، ويفرغ فؤاده لحبه، ويلهمه ذكره، ويقطع عنه كل مايقطعه عنه، ويصرف عنه كلّما يصرفه عنه.

وهذه البداية ضرورية للحركة التي يطلبها الإمام من الله تعالى، والتي يحدّد غايتها بالنظر إلى وجه الله، ومن دون هذه البداية، لايمكن أن يتحرك الإنسان هذه الحركة الصعبة والشاقة إلى قمة لقاء الله، والنظر إلى وجهه الكريم، وأنه لراحة لكل نبيّ وصديق.

ولئن كان النظر إلى وجه الله رزقاً يرزقه الله تعالى من يشاء ويصطفي من عباده، فلا بد أن يطلب العبد أن يرزقه الله تعالى هذا الرزق بمفاتيحه، فإن الله تعالى إذا رزق أحداً من عباده رزقاً رزقه من أبوابه ومفاتيحه، وسبّب له أسبابه.

والذين يطلبون من الله تعالى أن يرزقهم من غير أبوابه، وبغير مفاتيحه يدعون الله تعالى على خلاف سننه وقوانينه التي سنّها لعباده.

والأبواب التي منها يدخل الإنسان، وعنها ينطلق إلى قمة لقاء الله ومشاهدة وجهه الكريم هي:

أولاً: تفرغ القلب من كل رين وهمّ وحب وتعلّق بالدنيا، وهو مايسميه العلماء بـ(التخلية)، أي إخلاء القلب من كل هم وتعلّق لغير الله تعالى.

فيقول الإمام: «واجعلنا ممن أخلصته لودك ومحبتك وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، وقطعت عنه كلّ شيء يقطعه عنك».

وهذه هي النقطة الأولى في البداية، وهي نقطة سلبية.

والنقطة الثانية في البداية هي «التحلية» في مقابل «التخلية» كما يقول العلماء وهي نقطة إيجابية يلحظها الإمام في الطلبات التالية: «واجعلني ممن رضيته بقضائك، وحبوته برضاك، وخصصته بمعرفتك، وأهّلت لعبادتك، ورغبت فيما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيّرت من صالحي برّيتك، واخترتة لمناجاتك».

«واجعلنا ممن جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك،  
ودموعهم سائلة من خشيتك، وأفئدتهم منخلة من رهبتك».

وهذه البداية «بنقطتيها» هي مفتاح الحركة إلى الله، وهي المنطلق التي منها ينطلق  
الإنسان إلى غاية لقاء الله ومشاهدة جلال وجهه الكريم وجماله وهذا هو الطلب الأول.  
والطلب الثاني مترتب على الطلب الأول، وهي المرحلة الوسطى في هذه الحركة  
الصاعدة إلى الله، ومن دونه لا يمكن أن يتحرك الإنسان إلى الله، ويصل إلى جواره وقربه  
﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾<sup>١</sup>.

والمركب الذي يحمل الإنسان إلى هذه الغاية التي يتمناها كل نبي وولي وصديق  
وشهيد، هو «الحب» و«الانس بالله» و«الشوق إلى الله» ومن دون الحب، والشوق،  
والأنس لا يمكن أن يرقى الإنسان هذا المرتقى الرفيع إلى الله.

والحب والشوق والأنس رزق من عند الله، من دون شك، يزرقه الله تعالى من يجتبي  
ويصطفى من عباده. ولكن بعد مقدمات ذكرها الامام عليه السلام نجدها مبثوثة في فقرات  
هذه المناجاة.

ويلجّ الامام في هذا الطلب، ويتوسل إلى ذلك بمختلف الوسائل والتعابير. فهو ينادي  
الله تعالى بهذا النداء الرائع: «يامنى قلوب المشتاقين ويا غاية آمال المحبين».

ثم يطلب منه الحب، وحبّ من يحب، وحبّ كل عمل يوصله إلى قربه وجواره.  
ولنتأمل في كلمات الإمام مباشرة فإنّ التعليق يضيّع علينا فرصة النظر المباشر إلى  
أفاق هذا الحب التي يفتحها الإمام علينا في هذا الدعاء: «أسألك حبّك، وحبّ من يحبك،  
وحبّ كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحبّ إليّ مما سواك، وأن تجعل  
حبي إياك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذايداً عن عصيانك، وامنن بالنظر  
إليك عليّ، وانظر بعين الود والعطف إليّ، ولا تصرف عني وجهك».

ويقول: «واجعلنا ممن شوقته إلى لقائك، وأعدته من هجرتك وقلاك، وهيّمت قلبه  
لإرادتك».

ثم يقول عليه السلام: «اللهم اجعلنا ممن دأبهم الإرتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة

والأنين... قلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك».

وخلاصة المطالب في هذه الفقرة أربعة:

١- أن يعيذنا هجره وقلاه.

٢- أن يرزقنا حبه ومودته.

٣- أن يرزقنا الأنس به.

٤- أن يرزقنا الشوق إلى لقائه.

ويختصر الإمام «الأنس والشوق» في هذه الجملة الرائعة: «واجعلنا ممن دأبهم الإرتياح إليك والحنين».

فإن الإرتياح إلى الله غير الحنين إليه، وكلاهما يطلبه الإمام من الله. والإرتياح هو الأنس المنبعث من اللقاء، والحنين هو الشوق المنبعث من الحركة إلى اللقاء.

٣- والمرحلة الثالثة من هذه الرحلة العلوية إلى الله في هذا الدعاء الجليل هي غاية الغايات، وأشرف ما يطلبه النبيون والصدّيقون من الله. وهي طلب النظر إلى جلال وجهه وجماله البهي، وأنه غاية لا ينالها إلا صفوة الصفوة ممن يصطفاهم الله تعالى لقربه وجواره.

يقول الإمام عليه السلام: «واجعلنا ممن منحتة النظر إلى وجهك، وبوّأته مقعد الصدق في جوارك، واجتبيته لمشاهدتك... وامن بالنظر إليك علي».

وبالها من حاجة: أن ينظر الإنسان إلى وجه ربه، ويشاهد جلاله وجماله عن قرب، ويقعد عنده في مقعد صدق بجواره، ويسقيه ربه شرباً طهوراً.

صورة أخرى من صور الشوق والأنس في أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام:

«إلهي فاسلك بنا سبيل الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطرق للوفود عليك. قرب علينا البعيد، وسهّل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك بالليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب، وبلّغتهم الرغائب، وأنجحت لهم المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب، وملأت لهم ضمائرهم من حبك، ورويتهم من صافي شربك فبك إلى لذيت مناجاتك وصلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا. فيا من هو على المقبلين عليه مقبل، وبالعطف عليهم عالم».

مفضل وبالفانيلين عن ذكره رحيم رؤوف، وبجذبهم إلى بابه ودود عطوف...  
أسألك أن تجعلني من أوفرهم منك حظاً، وأعلامهم عندك منزلاً، وأجزلهم من وذك  
قسماً، وأفضلهم في معرفتك نصيباً. فقد انقطعت إليك همتي، وانصرفت نحوك  
رغبتي، فأنت لاغيرك مرادي، ولك لا لسواك سَهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني،  
ووصلك مني نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي،  
ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي  
مناجاتك روعي وراحتي، وعندك دواء علّتي، وشفاء غلّتي، وكشف كربتّي، فكن  
أنيسي في وحشتي ومُقيّل عثرتي، وغافر زلّتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي،  
ووليّ عصمتي، ومُغني فاقتي، ولا تقطعني عنك، ولا تبعدني منك، يانعمي  
وجنتي، ويادنياي وآخرتي»<sup>١</sup>.

وهذه قطعة جليّة من جلائل المناجاة، ورائعة من روائع أدب الدعاء، وغرّة من غرر  
كلمات أهل البيت عليهم السلام في الدعاء والتضرّع والحب. صادرة عن قلبٍ واله بحب  
الله، مشتاق إلى لقاء الله، وهي تستحق الكثير من التأمل والوقوف.  
ونقتصر على الإشارة السريعة إلى بعض الصور والأفكار للحب الإلهي التي تزخر بها  
هذه المناجاة.

في البدء يطلب «زين العابدين» عليه السلام من الله أن يأخذ بيده ويسلك به سبل  
الوصول إليه وهو خلاصة ما في هذا الدعاء، وأجلّ ما فيه من المطالب. فلا يطلب الإمام  
في هذا الدعاء من الله تعالى دنيا ولا آخرة، وأنه لطلب مشروع يحبه الله، ولكنه يطلب  
القرب، والوصول والجوار، في مقعد صدق عنده مع الأنبياء والشهداء والصديقين. يقول  
عليه السلام: «إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك». ولا يقول الإمام (سبيل الوصول إليك)  
بصيغة المفرد، وإنما يقول: «سبل الوصول» بصيغة الجمع، ذلك لأن «الصراط» إلى الله  
تعالى واحد لا يتعدد، ولم يذكر القرآن لله تعالى إلا صراطاً واحداً، يقول تعالى: ﴿إِهْدِنَا  
الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾<sup>٢</sup> ويقول:  
﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾<sup>٣</sup>. ويقول: ﴿ويهديهم إلى صراط

(٢) الفاتحة: ٧٦.

(١) بحار الأنوار ٩٤: ١٤٨.

(٣) البقرة: ٢١٣.

مستقيم<sup>١</sup>. ويقول: ﴿واجتنبناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم<sup>٢</sup>﴾.  
أما (السبيل) فقد ورد بصيغة الجمع في الحق والباطل في القرآن كثيراً.  
يقول تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ<sup>٣</sup>﴾. ويقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ  
فَتَفْزُقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ<sup>٤</sup>﴾.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا<sup>٥</sup>﴾.  
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ<sup>٦</sup>﴾.  
فقد جعل الله تعالى للناس إليه سُبُلًا كثيرة يسلكونها إليه وقد اشتهر على لسان  
العلماء: «أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق» وكل هذه الطرق والسبل تجري على  
صراط الله المستقيم، ولكن جعل الله تعالى لكل إنسان طريقاً يعرف به ربه، ويسلكه  
إليه.

فمن الناس من يسلك إليه سبيل العلم والعقل، ومنهم من يسلك إليه سبيل القلب  
والفؤاد، ومن الناس من يعرف الله بالتجارة والتعامل مع الله، وأنه من أفضل السبل أن  
يتعرف الإنسان على الله من خلال التعامل المباشر مع الله والأخذ والعطاء. قال تعالى:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>٧</sup>﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ  
النَّاسُ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ<sup>٨</sup>﴾.

ويطلب زين العابدين عليه السلام هنا من الله تعالى أن يسلك به سبيل الوصول إليه، لا  
سبيلًا واحدًا، فكلما سلك الإنسان إلى الله تعالى مسالك وسبيلًا أكثر كان وصوله إلى  
جوار الله وقربه أوكد وأقوى وأبلغ.

ثم يسأل الله تعالى بعد ذلك أن يلحقه بأهل البدار من عباده الصالحين الذين  
يسارعون إلى الله ويطورون ليلهم ونهارهم على طاعة الله وعبادته.

والطريق إلى الله صعب عسير، وعن هذا الطريق يعبر القرآن بـ«ذات الشوكة».  
وكثيرون أولئك الذين بدأوا السير على هذا الطريق بعزم وصدق، ثم تساقطوا أثناء

(٢) الأنعام: ٨٧

(٤) الأنعام: ١٥٣

(٦) العنكبوت: ٦٩

(٨) البقرة: ٢٠٧

(١) المائدة: ١٦

(٣) المائدة: ١٦

(٥) إبراهيم: ١٢

(٧) الصف: ١٠



### الطريق.

وزين العابدين عليه السلام يسأل الله أن يقرب عليه البعيد، ويسهل عليه اليسير، في هذه الرحلة الشاقة، وأن يلحقه بالصالحين الذين سبقوه «وهو إمام الصالحين» فإن رفقة الأولياء والصالحين على طريق ذات الشوكة، تشد على قلوب الجميع، وتزيد من عزمهم على مواصلة الطريق.

إن السير إلى الله صعب، فإذا كان جمع من الصالحين يسرون على هذا الطريق، يتماسكون، ويتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر... خف عليهم السير على طريق ذات الشوكة.

يقول علي بن الحسين زين العابدين في طبيعة هذه الرحلة الشاقة والطويلة، وفي طلب التقريب والتخفيف والإلتحاق بالصالحين على هذا الطريق: «وسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك: قرب علينا البعيد، وسهل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك بالليل والنهار يعبدون».

### واردات القلوب ورواحيها:

يوصف الإمام هؤلاء الصالحين الذين يسأل الله تعالى أن يلتحق بهم بهذا الوصف الجليل الذي يستحق الكثير من التفكير والتأمل: «الذين صفيت لهم المشارب، وبلغتهم الرغائب... وملأت لهم ضمائرهم من حبك، ورويتهم من صافي شربك». فما هو هذا الشرب الصافي الطهور الذي يسقيهم ربهم في الدنيا؟ وأي إناء هذا الإناء الذي يملأه الله من حبه؟

إن هذا الشراب الصافي هو شراب «الحب» و«اليقين» و«الإخلاص» و«المعرفة». والإناء هو «القلب».

وقد رزق الله تعالى الإنسان أوعية كثيرة للمعرفة واليقين والحب، ولكن «القلب» هو أعظم هذه الأواني جميعاً وأوعاها.

فإذا صفى الله تعالى لعبده شرب قلبه، وسقاه شرباً صافياً طهوراً، كان عمله وكلامه وعطاؤه أيضاً صافياً ونقياً مثل شربه.

فإنَّ بين واردات القلب وصادراته تشابهاً ومسانخة. فإذا كانت واردات القلب نقية صافية، من نمير نقي عذب، كانت صادرات القلب تشبهها، فيكون فعل العبد، وكلامه، ورأيه، وأخلاقه، وموقفه، وعطاؤه صافياً عذباً. وإذا كانت واردات القلب قذرة أو مشوبة بالقذارة مما يوحيه الشياطين إلى أوليائهم، كانت صادرات القلب لا محالة تشبهها من كذب ونفاق وشح وإعراض عن الله ورسوله.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ في القلب لَمَتَان: لَمَّةٌ من الملك، إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولَمَّةٌ من العدو: إيعاد بالشر وتكذيب للحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ «الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً»<sup>١</sup>. ولَمَّةُ الملك هي الواردات الربانية إلى القلب. ولَمَّةُ الشيطان هي الواردات الشيطانية إلى القلب.

أرأيت «النحل» إذا أخذ من رحيق الأزهار أعطى الناس عسلاً حلواً شهياً، فيه شفاء للناس، وإذا أخذ طعامه من موارد غير صافية وغير نقية كان عطاؤه كذلك، بطبيعة الحال. يقول تعالى عن خليله ونبيه إبراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنِي الدَّارَ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ»<sup>٢</sup>.

وإنَّ هذا الوصف الجليل الذي يصف الله تعالى به عطاء هؤلاء الأنبياء الكبار، وهو القوة والبصيرة: «الأيدي والأبصار» هو نتيجة هذا الشرب الخالص الذي آتاهم الله تعالى: «إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنِي الدَّارَ».

ولولا أن الله تعالى أخلصهم بهذه الخالصة من ذكرى الدار، لم تكن لهم قوة ولا بصيرة<sup>٣</sup>.

إذن لكي يصفو عمل الإنسان لأبد من أن يصفو شربه، والقلب يعطي ما يأخذ.

(١) تفسير الميزان ٢: ٤٠٤.

(٢) سورة ص: ٤٧-٤٥.

(٣) هناك علاقة تبادلية (جدلية) بين واردات القلب وصادراته، فإذا حسنت واردات القلب حسنت صادراته... والعكس أيضاً صحيح، فإن الإنسان إذا حسنت أفعاله أحسن الله إليه بخالصة ذكرى الدار، وإذا ساءت أفعاله حجب الله تعالى عنه صافي الشرب، وأوكل أمره إلى نفسه، يشرب من حيث يوحى إليه الشيطان والهوى، ومما يشرب الناس على مائدة الشيطان والهوى.

## أصل الاختيار:

وإذا وضحنا دور واردات القلب وما يصدر عنه، والتشابه والتسانخ بين هذا وذاك، فلا بد أن نقول: إن هذا الكلام لا ينفي بالضرورة أصل الاختيار الذي هو أساس لكثير من المفاهيم والأفكار القرآنية. وليس معنى ذلك أن القلب وعاء فارغ يتلقى ويعطي ما يلقي إليه من خير وشر، بل القلب وعاء واعٍ، يعي ما يلقي إليه، ويفرز الحق عن الباطل والخير عن الشر.

وهذا أصل آخر أصيل من أصول التفكير الإسلامي، وعلى هذا الأصل، «وعى القلب»، وذاك: «الاختيار» تتوقف مسائل وأصول وقضايا كثيرة في الإسلام. وقد ورد في النصوص الإسلامية تأكيد كثير على الدور الواعي للقلب في حياة الإنسان من قدرة على التشخيص ومن كفاءة عالية على فرز الحق عن الباطل.

روي أن داود عليه السلام، ناجى ربه فقال: إلهي لكل ملك خزنة، فأين خزانتي؟ فقال جلّ جلاله: لي خزنة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنة، وأزين من الملكوت، أرضها المعرفة، وسماؤها الإيمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرحمة، وشجرها الطاعة، وثمرها الحكمة، ولها أربعة أركان: التوكل والتفكر، والأنس، والذكر. ولها أربعة أبواب: (العلم والحكمة والصبر، والرضا... ألا وهي القلب)¹.

والنص - كما هو بين - يتحدث في السؤال والجواب بلغة الرمز، وهي لغة معروفة في النصوص الإسلامية.

وروي أن الله تعالى قال لموسى: ياموسى جرد قلبك لحبّي، فإني جعلت قلبك ميدان حبي، ويسطت في قلبك أرضاً من معرفتي، وبنيت في قلبك شمساً من شوقي، وأمضيت في قلبك قمرأ من محبتي، وجعلت في قلبك عيناً من التفكر وأدرت في قلبك ريحاً من توفيقى، وأمطرت في قلبك مطراً من تفضلي، وزرعت في قلبك زرعاً من صدقي، وأنبت في قلبك أشجاراً من طاعتي، ووضعت في قلبك جبلاً

من يقيني»<sup>(١)</sup>.

وهذا النص أيضاً يتحدث بلغة الرمز. وكلا النصين يشرحان الدور الواعي للقلب في فرز الحق عن الباطل والهدى من الضلال.

### عودة إلى المناجاة:

ثم ينادي عليه السلام الله تعالى بهذا النداء الرقيق: «فيا من هو على المقبلين مقبل، وبالعطف عليهم عائد مُفضل، وبالعافلين عن ذكره رحيم رؤوف، وبجذبهم إلى بابه ودود عطوف».

وهذا النداء يتضمّن نقطتين:-

أن الله تعالى يُقبل على من يقبل عليه ويعيذهم بفضله.

ويعطف على العافلين عنه، ويذهب عنهم الغفلة بالجذبات الربانية.

وبعد هذه البداية يطلب زين العابدين عليه السلام من الله تعالى، أن يجعله من أوفر أهل الصلاح حظاً من رحمته، وأرفعهم منزلةً، وأجزلهم قسماً، يقول عليه السلام: «أسألك أن تجعلني من أوفرهم منك حظاً، وأعلاهم عندك منزلاً، وأجزلهم من ذلك قسماً، وأفضلهم في معرفتك نصيباً».

وتشير هذه الفقرة من الدعاء هذا السؤال: لقد كان الإمام يتمنى أن يلحقه الله تعالى بهم قبل قليل، والآن يتمنى أن يجعله الله من أوفرهم حظاً وأعلاهم منزلة عنده. فكيف نضم هذا السؤال إلى جنب ذلك السؤال؟! وما الذي حدث في جو الدعاء وفي الجو النفسي للإمام حين الدعاء بحيث أدّى إلى هذه القفزة في الطلب والسؤال من طلب الحقوق بالصالحين إلى طلب التقدم عليهم وإمامتهم؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب شرح سرٍّ من أسرار الدعاء. فقد علّمنا الله تعالى أن لا نفتر في السؤال، ولا نبخل في الدعاء، إذا كان المولى كريماً. وما أقبح البخل في السؤال عندما يكون المسؤول كريماً. لاحد لخزائن رحمته، ولا تفاد لها، ولا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) في دعاء الافتتاح: «الحمد لله الفاشي في الخلف أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجلود يده،

وقد علّمنا الله تعالى فيما علّمنا من آداب «عباد الرحمن» وأخلاقهم أن نطلب من الله تعالى أن يجعلنا للمتقين إماماً ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾<sup>١</sup>.  
ونقرأ في الدعاء الوارد عن المعصومين عليهم السلام كثيراً هذه الفقرة الطموحة «وآثرني ولا تؤثر عليّ أحداً».

«بتبع»

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي جعلنا للمتقين إماماً

---

الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة المطاء إلّا جوداً وكرماً إنه هو العزيز الوهاب.  
(١) الفرقان: ٧٤.

## العلم والاخلاق

إعداد: السيد منذر الحكيم

### ١ - دور العلم في الحياة:

- ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾<sup>١</sup>.
- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله»<sup>٢</sup>.
- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم حياة الاسلام، وعماد الايمان»<sup>٣</sup>.
- وعن الامام علي عليه السلام: «إنَّ العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف»<sup>٤</sup>.
- وعنه عليه السلام: «العلم مصباح العقل»<sup>٥</sup>.
- وعنه أيضاً عليه السلام: «العلم قائد، والعمل سائق»<sup>٦</sup>.
- وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أطلبوا العلم فإنه السبب بينكم وبين الله عزوجل»<sup>٧</sup>.
- وعن الامام علي عليه السلام: «يامؤمن إن هذا العلم والأدب ثمن نفسك، فاجتهد في تعلّمهما. فما يزيد من علمك وأدبك، يزيد في ثمنك وقدرك. فإنَّ بالعلم تهتدي إلى ربك، وبالأدب تحسن خدمة ربك، وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه»<sup>٨</sup>.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٤٥١.

(٤) ميزان الحكمة ٦: ٤٥٢.

(٦) ميزان الحكمة ٦: ٤٤٨.

(٨) ميزان الحكمة ٦: ٤٥٥.

(١) المجادلة: ١١.

(٣) ميزان الحكمة ٦: ٤٥٢.

(٥) ميزان الحكمة ٦: ٤٤٨.

(٧) ميزان الحكمة ٦: ٤٦٣.

## من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

### ٢- أنفع العلوم وأهمها:-

﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب﴾<sup>١</sup>.  
عن الامام علي عليه السلام: «العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل علم أحسنه»<sup>٢</sup>.  
وعنه أيضاً: «خير العلوم ما أصلحك»<sup>٣</sup>.  
وعن الامام الباقر عليه السلام: «إعلم أنه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب»<sup>٤</sup>.  
وعن الامام موسى الكاظم عليه السلام: «وألزم العلم لك مادل لك على صلاح قلبك، وأظهر لك فساد»<sup>٥</sup>.  
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من ازداد علماً ولم يزد هدى، لم يزد من الله إلا بعداً»<sup>٦</sup> وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»<sup>٧</sup>.  
وعن الامام علي عليه السلام: «رأس العلم التمييز بين الأخلاق، وإظهار محمودها، وقمع مذمومها»<sup>٨</sup>.

### ٣- أهم ثمار العلم مكارم الأخلاق :-

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>٩</sup>.

عن الامام علي عليه السلام: «رأس العلم التواضع، ومن ثمراته: التقوى، واجتناب الهوى، ومجانبة الذنوب، ومودة الإخوان، والاستماع من العلماء والقبول منهم، ومن ثمراته: ترك الانتقام عند القدرة، واستقباح مقارفة الباطل، واستحسان متابعة الحق، وقول الصدق، والتجافي عن سرور في غفلة، ومن فعل ما يعقب ندامة.

العلم يزيد العاقل عقلاً، ويورث متعلمه صفات حمد، فيجعل الحليم أميراً، وذو المشورة وزيراً، ويقمع الحرص، ويخلق المكر، ويميت البخل، ويجعل مطلق الوحش مأسوراً، ويبعد

(١) آل عمران: ٧.

(٣) ميزان الحكمة ٦: ٤٤٩.

(٥) ميزان الحكمة ٦: ٥٢٩.

(٧) ميزان الحكمة ٦: ٥٢٩.

(٩) فاطر: ٢٨.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٥٢٨.

(٤) ميزان الحكمة ٦: ٥١٩.

(٦) ميزان الحكمة ٦: ٥٢٩.

(٨) ميزان الحكمة ٦: ٥٢٨.

## من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

السداد قريباً<sup>١</sup>.

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام: «الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الايمان، ومن حُرِمَ الخشية لا يكون عالماً وإن شَقَّ الشعر في متشابهات العلم، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾»<sup>٢</sup>.

وعنه عليه السلام: «إن أعلم الناس بالله أخوفهم لله، وأخوفهم له أعلمهم به، وأعلمهم به أزهدهم فيها. يعني الدنيا»<sup>٣</sup>.

سُئِلَ أمير المؤمنين علي عليه السلام عن العلم فقال: «أربع كلمات: أن تعبد الله بقدر حاجتك إليه، وأن تعصيه بقدر صبرك على النار، وأن تعمل لديك بقدر عمرك فيها، وأن تعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها»<sup>٤</sup>.

٤ - خذوا العلم من نبعه :-

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾<sup>٥</sup>.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم دين، الصلاة دين، فانظروا عَمَّنْ تأخذون هذا العلم»<sup>٦</sup>.

وعن الامام موسى الكاظم (عليه السلام): «لا علم إلا من عالمٍ رباني، ومعرفة العالم بالعقل»<sup>٧</sup>.

وعنه عليه السلام: «عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِي مَأْكُولِهِ، كَيْفَ لَا يَتَفَكَّرُ فِي مَعْقُولِهِ؟ فَيَجْتَنِبُ بَطْنَهُ مَا يُؤْذِيهِ، وَيُودِعُ صَدْرَهُ مَا يَرْدِيهِ»<sup>٨</sup>.

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾: علمه الذي يأخذه ممن يأخذه»<sup>٩</sup>.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهو حظه»<sup>١٠</sup>.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٥٠٠.

(٤) ميزان الحكمة ٦: ٥٠٠.

(٦) ميزان الحكمة ٦: ٤٨٤.

(٨) ميزان الحكمة ٦: ٤٨٥.

(١٠) ميزان الحكمة ٦: ٤٧٩.

(١) ميزان الحكمة ٦: ٤٤٩.

(٣) ميزان الحكمة ٦: ٥٠٠.

(٥) الانبياء: ٧.

(٧) ميزان الحكمة ٦: ٤٨٤.

(٩) ميزان الحكمة ٦: ٤٥٤.



## من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

وعن الامام علي عليه السلام: «إن العلم الذي هبط به آدم - وجميع ما فُضِّلَ به النبیون إلى محمد خاتم النبیین - في عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم»<sup>١</sup>.

وعنه عليه السلام: «لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وأذخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتهم من الحق نهجه، لنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام»<sup>٢</sup>.

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام: «أنه قال لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: شوقا وغزبا لن تجدنا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت»<sup>٣</sup>.

وعن الامام علي عليه السلام: «.. ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر، والعلم بمواضع الحق»<sup>٤</sup>.

### ٥ - نموذج من علم أهل البيت عليهم السلام:-

عن عنوان البصري - وكان شيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة قال:- كنت اختلف إلى مالك بن أنس سنين. فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه، وأحببت أن أخذ عنه كما أخذت عن مالك. فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب، ومع ذلك لي أورد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك واختلفت إليه كما كنت تختلف إليه.

فاغتممت من ذلك، وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو تفرّس في خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه.

فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وسلّمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة، وصلّيت فيها ركعتين وقلت: «أسألك يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر، وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم». ورجعت إلى داري مفتماً ولم اختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر.

فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة، حتى عيل صبري. فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرأ، وكان بعدما صلّيت العصر.

(١) ميزان الحكمة ٦: ٥٣٤.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٥٣٤.

(٣) ميزان الحكمة ٦: ٥٣٤.

(٤) ميزان الحكمة ٦: ٥٣٥.

## من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

فلما حضرت باب داره استأذنت عليه، فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟

قلت: السلام على الشريف.

فقال: هو قائم في مصلاه.

فجلست بحذاء بابه، فما لبثت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله.

فدخلت، وسلّمت عليه، فردّ السلام وقال: اجلس غفر الله لك.

فجلست، فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟

قلت: أبو عبد الله.

قال: ثبت الله كنيّتك، ووفّقك يا أبا عبد الله. ماسألتك؟

قلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً.

ثم رفع رأسه وقال: ما مسألتك؟

قلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليّ، ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى

أجابني في الشريف ماسألته.

فقال: يا أبا عبد الله، ليس العلم بالتعلّم، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك

وتعالى أن يهديه.

فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبوديّة، واطلب العلم باستعماله، واستفهم

الله يفهمك.

قلت: يا شريف. فقال: قل يا أبا عبد الله.

قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبوديّة؟

قال: ثلاثة أشياء:

أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله،

يضعونه حيث أمرهم الله به.

ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً. وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه.

فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكاً، هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن

ينفق فيه.

وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره هان عليه مصائب الدنيا.

وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه، لا يتفرّغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس.

## من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً، وعلواً، ولا يدع أيتامه باطلاً. فهذا أول درجات التقى. قال الله تبارك وتعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾<sup>١</sup>.

قلت: يا أبا عبد الله أوصني.

قال: أوصيك بتسعة أشياء، فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى. والله أسأل أن يوفقك لاستعماله. ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة - منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها. قال عنوان: ففرغت قلبي له.

فقال: أما اللواتي في الرياضة:

فإياك أن تأكل مالا تشتهي، فإنه يورث الحماسة والبله. ولا تأكل إلا عند الجوع. وإذا أكلت فكل حلالاً، وسم الله.

واذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، فإن كان ولا بد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

وأما اللواتي في الحلم:

فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرة، فقل إن قلت عشرة لم تسمع واحدة. ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول، فأسأل الله أن يغفر لك.

ومن وعدك بالخنى<sup>٢</sup> فعهده بالنصيحة والرّعاء.

وأما اللواتي في العلم:

فأسأل العلماء ماجهلت، وإياك أن تسألهم تفتناً وتجربة.

وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالإحتياط في جميع ماتجد إليه سبيلاً.

واهرب من الفتيا هرب من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً.

قم عني يا أبا عبد الله، فقد نصحت لك، ولا تفسد عليّ وردي فأني امرؤ ضنين بنفسي، والسلام عليّ من اتبع الهدى<sup>٣</sup>.

(١) القصص: ٨٣.

(٢) الخنى: الفحش في الكلام.

(٣) بحار الأنوار ١: ٢٢٦-٢٢٤، وميزان الحكمة ٦: ٤٩٠-٤٩٣.

# الاستشراق والاسلام

(٢)

## «نشأة الاستشراق»

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي

■ خلاصة القسم الأول المنشور في العدد السابق من هذه الدراسة:-

١- عرفنا أن موقف أهل الكتاب من الثقلين كما عرضها القرآن الكريم هو: كتمان الحق وتحريفه، نقض العهود والمواثيق، النفاق والتضليل، الحسد والتعصب، التعالي والاستهزاء، الحقد والعدوان.

٢- كما عرفنا أن الموقف الإلهي الذي أرشد القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له هو: دعوة أهل الكتاب للحق وترغيبه إليهم، التحاج إلى الحق، الرد على شبهاتهم، إنصاف طلاب الحق منهم، رفض ولايتهم، إحترام العهود والمواثيق معهم، الحذر من إغوائهم وتضليلهم، التهديد والوعيد للمعاندين منهم، لعن وقتال المحاربين منهم.

٣- وقلنا: إن الاستشراق والمستشرقين ظاهرة لاتنفصل عن سلوك وموقف أهل الكتاب الذي بيّنه القرآن الكريم من الاسلام والمسلمين، وإن تعاملنا معهم هو نفس تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي أرشد إليه القرآن الكريم.

٤- وإن الهوية الحقيقية للاستشراق كحركة قد استوعبت في كثير من مراحل وأدواره أغلب التطلعات الحضارية لأوروبا الصليبية وحركتها الاستعمارية في الشرق الاسلامي.

٥- ونضيف هنا أن فهرست دراستنا سوف لن يثبت على مفرداته وصيغته المدرجة في القسم الأول، بل ستتغير تبعاً لما يستجد من مفردات موضوعية خلال المسير العلمي للبحث.

## المقدمة:

يرى المتتبع الفاحص لما احتوته الكتب والدراسات التي تبحث في تاريخ نشوء الاستشراق، وبداياته التكوينية، والادوار التي مرّ بها، ومن خلال مقارنة بين مضامينها أنها غالباً ما تكشف عن وحدة الرأي في طبيعة النشوء وصبغته، من أنه نشأ وبدأ تبشيراً في روحه وأهدافه، إلا أنهم يختلفون في زمان نشأته وبدايته بالمعنى المصطلح.

فمنهم من قال: إنه نشأ في القرن التاسع الميلادي، كالدكتور سمير سلمان<sup>١</sup>. ومنهم من قال: إنه نشأ في القرن العاشر الميلادي، كبطرس البستاني<sup>٢</sup>، ونجيب العقيقي<sup>٣</sup>، ويوسف أسعد داغر<sup>٤</sup>. ومنهم من يعتقد بأنه نشأ في القرن الثاني عشر، من أمثال رودي بارت<sup>٥</sup>. أما شوقي أبو خليل استاذ الحضارة العربية الاسلامية والاستشراق في كلية الدعوة الاسلامية (فرع دمشق) فيقول: «إن بداية الاستشراق الفعلي كانت بعد فشل الحروب الصليبية. لقد غادر لويس التاسع في ٨ أيار (مايو) عام ١٢٥٠م، مدينة دمياط متجهاً إلى عكا، وكانت صيحته بعد هزيمته: لنبدأ حرب الكلمة فهي وحدها القادرة على تمكنا من هزيمة المسلمين»<sup>٦</sup>.

وبهذا يكون قد وافق ماذهب إليه محمد البهي: من أن الاستشراق قد نشأ في القرن الثالث عشر<sup>٧</sup>. في حين قد ذهب البعض إلى القول باقتران نشوء الاستشراق بالقرارات التي صدرت من قبل رؤوس السلطات الكنسية التي كانت بيدها مقاليد الامور في رسم وتحديد سياسة دول أوروبا في تلك العصور. فكان اتخاذ قرار تأسيس عدد من الكراسي لتدريس اللغة العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامنكا وبعض الجامعات الأوروبية الأخرى من قبل مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م فاتحة

(١) مجلة التوحيد - العدد ٣٢. «الجزور التكوينية للاستشراق في الاندلس»: ١٢٣.

(٢) أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث: ٣٤٠. (٣) المستشرقون: ١١٠.

(٤) مصادر الدراسات الأوروبية ٢: ٧٢٣.

(٥) الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية: ٩.

(٦) مجلة العالم - العدد ٢٤٨. «الاستشراق والاسلام»: ٣٤.

(٧) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٥٣٢.

لبداية الاستشراق<sup>١</sup>.

ولكل من أصحاب هذه الآراء التي سقناها مستند ودليل يعتمد عليه، إلا أن الأهم من كل ذلك هو اتفاق أغلب الكتاب عن الاستشراق من المسلمين وغيرهم على أن نشأته كانت تبشيرية في المحتوى والوسائل والاهداف.

وعليه لابد لنا من معرفة جذور هذه الصبغة لما لها من تأثير كبير في تشخيص مسار حركة الاستشراق، وتحديد الادوار والمراحل التي مرّ بها، وإرسائها على أسس موضوعية من واقع النشأة والضرورة وصولاً إلى الاهداف الحقيقية التي تصبو لها هذه الحركة.

## نشأة الاستشراق والاقتران بالتبشير:

نبدأ مسيرنا في البحث عن جذور الاستشراق من أول ظاهرة تبشيرية (بالمعنى المصطلح) والتي قرنت فيما بعد بالاستشراق متماشين مع مدعى بعض الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عنه، معتمدين على الأدلة التاريخية التي تثبت أن نشأته كانت في القرن التاسع الميلادي كما أسلفنا سابقاً. وأن وطنه الأم هو الاندلس بعد الفتح الاسلامي لها واستقرار المسلمين فيها عام ٧١١م. ولقد تزامنت هذه النشأة مع بداية تأجج الصراع بين النصارى الاوربيين والمسلمين الاندلسيين، والذي برز على شكل ظواهر كان أولها نشوء حركة الاستشهاد عام ٨٥٠م بقيادة بعض المسيحيين المتطرفين ورجال الدين آنذاك من أمثال القديس «أولوخيو» و «أولوجيوس» و«البروقرطبي» في عهد حكم الخليفة الاموي «عبد الرحمن الاوسط» الملقب بالثاني، الذي حكم بلاد الاندلس للفترة ما بين (٨٢٢ - ٨٥٢)م، بعد وفاة والده الحكم الأول ابن هشام الأول ابن «عبد الرحمن الداخل» مؤسس الدولة الاموية في الاندلس والذي حكمها للفترة ما بين (٧٥٦ - ٧٨٨)م<sup>٢</sup>.

لقد كانت هذه الحركة تحكي في حقيقتها حالة التعصب المستعمر في صدور المستعربين<sup>٣</sup> من الذين أثارهم مدى نفوذ الاسلام وقوة تأثير الثقافة الاسلامية واللغة

(٢) د. ابراهيم، حسن «تأريخ الاسلام» ٢: ٢٢٧.

(١) سعيد، أدوارد «الاستشراق»: ٦٦.

(٣) استعرب: صار دخيلاً بين العرب. (القاموس المنجد، باب عَرَب).

العربية في واقع الشعب الاسباني، فتحركوا لمواجهة هذا النفوذ والعمل على تفرغ محتواه من نفوس الاسبان عن طريق إذكاء حالة العداء الديني وتغذيتها بأشكال الإثارة الحادة ليتسنى لهم دق إسفين الخلاف، ومن ثم صب ذلك في محور تحريضي مباشر تجاه الخلافة الاسلامية. حتى أن بعض المغالين من الرهبان كان يصرّ على التعرض للاسلام، والطعن في النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والنيل من المقدسات الاسلامية للفرز بعقوبة الموت، معتقدين بأنهم يكسبون بذلك شرف الشهادة الذي حرموه نتيجة للتسامح الذي كان سمة من سمات حكامهم المسلمين في دار الخلافة بالاندلس.

وبالرغم من أن عدد هؤلاء المتعصبين لم يكن كبيراً، إلا أن الحكومة قد خشيت آنذاك «سوء عاقبة هذه الحوادث وأوجست خيفة من أن احتقارهم سلطانهم وعدم اكتراثهم للقوانين التي سنّوها ضدّ من يطعن في دينهم (الاعدام) قد يؤدي إلى استفحال روح الكراهية، وذبوع حركة العصيان بين الأهليين كافة»<sup>١</sup>. فعمدت إلى القضاء على حركة الاستشهاد، مستفيدة من اعتدال الكثير من المستعربين، وعدم تفاعلهم معها.

ولما كانت هذه الحركة عبارة عن إرهاب متشنج يحكي حالة الرفض المتعصب بطريقة انفعالية هيمنت على أفكار غلاة المتدينين والقساوسة الاسبان - كما عبر عنها «ريتشارد سودرن» ووصفها «بأنها حركة ضد رضا العامة بالحضارة العربية»<sup>٢</sup> - فقد خلقت أرضية لعمل فكري يهدف إلى معرفة وفهم العدو الاسلامي، ودراسة سرّ قوته وتميّزه، ورفع الابهام عن لغز تفوّقه وقدرته. أي بعبارة أخرى خلقت أرضية الاستشراق بروحه التبشيرية.

أما لماذا لم يتم هذا العمل الفكري في الفترة التي كانت حركة الاستشهاد في أوجها؟ فيقول «سودرن»: «إن كلاً من «أولوجيوس» و«ألبرو القرطبي» قاندي الحركة كانا يعتقدان أن السيطرة الاسلامية هي بداية المقدمة الضرورية لظهور المسيح الدجال المذكور في كتبهم المقدسة، وانسجم ذلك مع تأويلات خاطئة باقتراب يوم القيامة وعلائمه التي كانت سائدة بين أوساط المجتمع الأوروبي المسيحي آنذاك. إضافة إلى أنهم لم يكونوا مؤهلين للجهد الفكري المطلوب في معرفة وفهم العدو الاسلامي، كما وإنهما - القاندين - وأتباعهما لم

(١) أرنولد، توماس - الدعوة إلى الاسلام - الترجمة العربية: ١٦٥ و ١٦٦.

(٢) سودرن، ريتشارد - صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى - ٥٨.

يكونوا يريدون أن يعرفوا شيئاً<sup>١</sup> لتشبع قلوبهم بالبغض والكراهية والغضب على كل ما هو مخالف لأفكارهم ومعتقداتهم الخرافية السائدة، وتأويلاتهم المنحرفة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية بأحسن حالاً من هؤلاء، حيث لم تخرج عن دائرة هذا الجور العدائي. فقد كانت أحد العوامل الرئيسية لتأجيج الصراع وتغذية الشعور المعادي للمسلمين، وإذكاء نار الحقد في صدور رعاياهم ضدهم بكل ماتها لها من وسائل، وأوتيت من قوة لما أدركته من تأثير الاسلام وسرعة نفوذه وكثرة المقلبين عليه. حيث يصف أحد المؤرخين الغربيين هذه الظاهرة فيقول: «بأن تأثيرهم بالاسلام كان بمحض إرادتهم في أغلب الاحيان»<sup>٢</sup>. وأخذت الكنيسة الكاثوليكية تدرك تدريجياً ومن موقع دفاعي ضرورة إعطاء النصارى أسباباً وجيهةً ليحافظوا على إيمانهم التقليدي الخاص، ويتحصنوا داخله. إلا أن هذه المساعي لم تنجح، فسرعان ما تأججت العصيات واستفحل العداء الشديد.

وعلى هذا نرى أن بدايات الاستشراق لم تكن منفصلة عن منظومة التنصير والتبشير، ولا عن الدوافع الدينية المتطرفة التي كانت الاساس في نشأة الفهم الاستشراقي<sup>٣</sup>. فلا عجب إذن إذا رأينا الكثير من المستشرقين يجهدون في تصوير العالم الاسلامي في كتاباتهم على أنه بشع في عاداته، قبيح في أخلاقه، مليء بالبدع والانحرافات عن الدين السماوي الحق الذي جاء به المسيح النبي، ولا يتحرزون عن اختلاق ما يدعم دعوهم تلك، وكل ما من شأنه زرع روح التشكيك في الاسلام وزعزعة اليقين بين أوساط المسلمين.

### نشأة الاستشراق بين النهج العلمي والاستعداد التبشيري:-

إن البدايات التي سجلها الباحثون لنشأة الاستشراق لم تكن خارجة عن نطاق الصراع الذي تربع أبطاله على صدر الاندلس، وتركوا آثار حقدهم وتمصبهم شاخصة على مرّ

(١) سودرن، ريتشارد - صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى - ٥٩.

(٢) بروفنسال، ليفي «حضارة العرب في الاندلس» الترجمة العربية: ١٧، ١٦.

(٣) راجع د. سلمان، سمير «الجدور التكوينية للاستشراق في الاندلس» مجلة التوحيد - العدد ٣٢، ١١٦.



العصور، منزلة الضربة تلو الأخرى بالوجود الاسلامي في الاندلس.

فالحرب التي شنتها المسيحية على الاسلام حينذاك قد نحت منحنيين باتجاهين متوازيين يعضد أحدهما الآخر، ويؤديان إلى هدف واحد، ألا وهو القضاء على الخصم الذي غزاهم وهم غارقون في سبات عميق، الاول: كان يريد تحقيق هذا الهدف بحد السيف وإعلان الحرب المباشرة لاجتثاث جذور الوجود الاسلامي بشكل سريع ونهائي. والثاني: كان يرى أن دراسة العدو، واستثمار معارفه وعلومه، والاطلاع على مبادئه وأفكاره يشكل الطريق السليم لمواجهة هذا العدو من خلال امتلاك سرّ قوّته، ومعرفة سبل اجتثاثه من داخله.

إن الاختلاف الظاهري لهذين الاتجاهين المعادين للاسلام والذي أريد له أن يبرز بشكل مقصود كان يعبّء الآخرين ويبرز ردود فعل موسومة بالتصلّب والتعدّي تارة، وبالمرونة وطرق السبل السلمية بغطاء العلم والمعرفة تارة أخرى.

إن ما قام به أسقف طليطلة من اخضاع النصارى الاسبان له إثر تعرّض العلاقات والروابط بين الكرسي البابوي من جهة، والكنيسة من جهة أخرى للضعف والتردي أدّى إلى انفصال الاخيرة عن البابوية، مما حدّى بأسقف طليطلة إلى إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية<sup>١</sup>. وكما ذكر غابريلي في «تراث الاسلام»: «لقد استعربت المسيحية بسرعة لغوياً وثقافياً»<sup>٢</sup>. في الوقت الذي استمرت الكنيسة على تصلّبها وأبرزت تعصّباً بالغ التزمّت تجاه أي تقارب ومهادنة أو موقف صداقة تفرضه الطبيعة العلمية، أو ظروف التقارب الثقافي الذي قد يتخذه بعض طلاب الثقافة والمعرفة الاوربيين من الاسلام والثقافة الاسلامية.

ومن أمثلة ردود الفعل المتعصّبة التي أفرزتها طبيعة الخلافات هذه هو ما أعلنه البابا غريغور التاسع من أن فريدريك الثاني حاكم صقلية الذي أصبح امبراطوراً لألمانيا في عام ١٢٢٠م قد خرج على الكنيسة، حيث كان فريدريك هذا مستعرباً لغة وثقافة وعلومًا وعادات. وقد أهدى كتباً فلسفية تُرجمت عن العربية إلى جامعات بولونيا وباريس. وعندما أصبح امبراطوراً أسس جامعة في نابولي سنة ١٢٢٤م، وجعل منها أكاديمية لنقل

(١) زقروني، محمود حمدي «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري»: ٢٤.

(٢) غابريلي، فرانشيسكو «تراث الاسلام» - القسم الاول - الترجمة العربية: ١٣٤.

المعارف الاسلامية الى العالم الغربي<sup>١</sup>.

وعليه فإن نشأة التبشير في الاندلس بدأت بهدف القضاء على الاسلام، والتبشير للمسيحية بين صفوف المسلمين الكفرة - كما كانوا يسمونهم - الذين قدموا من بلاد العرب وفتحوا الاندلس، أو الذين دخلوا الاسلام حديثاً والذين يطلق عليهم «المولدين»<sup>٢</sup>، بعد أن ثبت لدى أغلب رجال الفكر النصارى وعلمائهم بأن الاسلام لا يمكن القضاء عليه بالعمل العسكري، فدون ذلك خرط القتاد. وإن أي مواجهة سوف لن تثمر شيئاً ومحكوم عليها بالفشل والخسران.

لذا فإن منظومة التبشير والتنصير قد تولدت في أتون الصراع المستعربين الاسلام والكنيسة على الارض الاندلسية، والتي شكلت منذ القرن التاسع عشر الميلادي الخلية الاولى في مشروع الاختراق الثقافي الاوربي للوجود الاسلامي تمهيداً للامتداد والسيطرة الاستعمارية وبنشاط منظم.

فالتبشير كمصطلح ونظرية يقوم على نشر المسيحية في جميع بقاع الارض التي تخلو منها وهو بمعنى آخر هجوم المسيحية على الديانات الاخرى بهدف اقتلاعها من عقول ونفوس معتققيها، والحلول محلها بكل وسيلة «سلمية» ممكنة، وتطرق في ذلك أبواباً شتى للوصول إلى أهدافها، منها: معرفة لغة الناس المقصودين بالتبشير، ودراسة عاداتهم وقيمهم ومعتقداتهم عن كثب، والتدخل «للمساعدة» في حل مشاكلهم الشخصية والاجتماعية والصحية<sup>٣</sup>. مستفيدين من حالة الجهل والامية السائدة في أوساطهم للتشكيك في عقائدهم كمقدمة لزقهم بالتعاليم النصرانية عن طريق مؤسسات التربية والتعليم، كالمدارس والمعاهد والجامعات وأمثالها.

وهكذا بدأ التبشير حركته الشاملة للقضاء على الوجود الاسلامي متخذاً صوراً وأشكالاً مختلفة. وكان الاستشراق أبرز صوره الفكرية. وهكذا كان العلم والبحث

(١) رودنسون، مكسيم «جاذبية الاسلام» الترجمة العربية: ٣٢ و ٣٣.

(٢) أطلقت هذه التسمية على أبناء الاندلس القدماء الذين انحدروا من آباء أسبان، وهؤلاء كانوا يمثلون طبقة اجتماعية واسعة من المجتمع الاندلسي، دخلوا الاسلام أثناء الفتح، وحسن إسلام الكثير منهم. وكان منهم من أصحاب التأليف والتصانيف والمكانة العلمية المرموقة. «عن مجلة نور الاسلام: ٢٨-٢٧/ (العصبيات وآثارها في سقوط الاندلس).

(٣) الطهطاوي، محمد عزت اسماعيل. «التبشير والاستشراق»: ٣٠١.

العلمي الذي يفترض فيه سمو الانسان بتحصيله المتواصل للكمالات قد استخدم كأداة من أدوات التخريب الحضاري لبلاد المسلمين، والاعتداء على تراثهم، والظعن بالباطل في دينهم. وكانت المآرب السياسية والتعصب للدين من السمات الاساسية للحركة الاستشراقية، ومن العناوين الخفية للوحدة والانسجام بين الاستشراق والتبشير.

### مبدأ الاستشراق اختراق ثقافي لدحر المسلمين في أوروبا:-

لقد كان الصراع التدميري الذي خاضته الكنيسة ومن ورائها المستعربون المتعصبون من النصاري ضد المسلمين في الاندلس والذي برز الاستشراق كصورة من صوره الفكرية فيما بعد قد اتخذ مسارين: الاول ديني، والثاني فكري وسياسي.

### أولاً: المسار الديني: يمكن تلخيص الكاشف عن المسار الأول بما يلي:

أ- سعى الكنيسة الدائب لاسترداد أسبانيا من المسلمين وإعادتها إلى سلطتها، وإن تكلّموا مساعيها في النجاح لا يعني هزيمتها. فحروب الاسبان «القدماء» كانت خاضعة للكرّ والفرّ، واستمرت بأشكال مختلفة، من حرب عصابات إلى مناوشات مشحونة بالعداء الديني، إلى تأجيج العصبية بصيغتها الدينية بين مختلف الطوائف والقبائل، حتى استنزفت قوى الدولة الأندلسية التي مالبت التفكك والتشردم أن طال كيانها الناشئ، في الوقت الذي لم تحسم فيه المواجهة بين الطرفين المتصارعين، واستمرت تتناوب بين انكفاء وتقديم. وبدأ بعام ٧٥٦ م راحت الهجمات الاسبانية تتوالى حتى «أخذت شكلاً تكتلياً وحرباً مقدسة صليبية أناخت بآخر المعازل الاسلامية»<sup>١</sup>.

وهكذا استمر الحال حتى سقوط غرناطة بأيدي الاسبان، ووصول الوجود الاسلامي في الاندلس إلى نهايته عام ١٤٩٢م بعد أن تواصل ثمانية قرون تقريباً.

ب- إن من جملة أسباب تفوق الاسبان الاوربيين في هذه الحرب هو أنهم «استعاروا

(١) زقزوق، محمود حمدي - «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢،

أسلوب المسلمين في الجهاد المقدس<sup>١</sup> فأفادت المسيحية الاسبانية من عقيدة خصمها، وخاضت غمار المواجهة بأحد أمضى أسلحة الخصم الاسلامي، وأنشأت «طوائف الفرسان الدينية في سانتياغو وكلاترافا وألكترا، وفي الطوائف التي ذاع صيتها في السجلات التاريخية لحروب الاسترداد»<sup>٢</sup>. علماً «بأن الأسلوب نفسه قد اعتمدته الحملات الصليبية أيضاً»<sup>٣</sup>.

ج - لقد ترك الصراع الذي خاضته الكنيسة ضد المسلمين في الاندلس آثاره على مسير الكاثوليكية الاسبانية، وجنت منه فوائد كبيرة، منها تحوّل هذا الصراع إلى عامل أساسي في بناء أسبانيا وتطوير تركيبها الداخلية الخاصة وموقعها العام، خصوصاً على مستوى الحس الديني المرهف الذي برز عند الاسبان أفراداً ومجتمعاً، من خلال مآثره العلوم والآداب الاسلامية من آثار في أعماق وأسس الحضارة الاسبانية منذ العصور الوسطى وإلى يومنا هذا.

ثانياً: المسار الفكري والسياسي: إن أبرز العوامل التي بلورت هذا المسار هي: أ- أن النصارى من غلاة رجال الكنيسة والمستعربين الاوربيين الخاضعين للحكم الاسلامي كانوا ينظرون إلى المسلمين على أنهم محتلون برابرة كفر. وبحرضهم على ذلك الشعور تعصّبهم الديني وجشعهم السياسي، وشهوة ملوكهم التائقين إلى استرداد ما فقدوه بالقوة عند الفتح الاسلامي.

ب - إن بعض الامراء الامويين لم يعملوا على إخضاع جميع المواقع المسيحية لحكمهم في شبه جزيرة إيبيريا، مما أعطى للاسبان فرصة سانحة في أن ينطلقوا لاثارة الحروب والفتن.

ج - السياسة غير الحكيمة التي مارسها أحياناً بعض الامراء الامويين ضد المستعربين، وضد غيرهم من طوائف المجتمع الاندلسي كالصقالبة<sup>٤</sup>،

(١) لومبير، إيلي - «تطور العمارة الاسلامية في أسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا» الترجمة العربية: ١٤٤.

(٢) بروفنسال، ليفي - «حضارة العرب في الاندلس» الترجمة العربية: ١٦ و ١٧.

(٣) فتواني، جورج شحاته - «تراث الاسلام» القسم الثاني، الترجمة العربية: ٢٦٠.

(٤) الصقالبة: هم عند مؤرخي العرب الشعوب السلافية القاطنة بين جبال أورال والبحر الادرياتيكي، وهم من أصول أوربية مختلفة، وينقسمون إلى قسمين: الاول منهم صقالبة الشمال (الروس والروس البيض والبولونيون)،

والبربر،<sup>١</sup> والمولدين، مما أدى إلى تنامي الشعور القومي والحساسية العرقية لدى المواطنين من قدامى الاسبان، وكذلك الذين استعربوا. فكانت مناطقهم مركزاً للمقاومة العسكرية النصرانية، مما سهل لهم لعب دور كبير لخوض حرب إيديولوجية سياسية.

د - بروز أجواء متوترة ساعدت على اعتماد القمع العنصري والقبلي من قبل الحكام كردة فعل على الاضطرابات والاجواء المشحونة بالقلق والتي كانت مدعومة أحياناً من النصارى والمستعربين المتعصبين.

هـ - بروز صراعات سياسية وقبلية بين المسلمين العرب أنفسهم، منها العصبية التي ثارت بين القيسيين واليمنيين، وأخذت العرقية القبلية تنبض في نفوس أصحابها. فتطاحنوا «وتذابحوا وذهبت ريحهم»<sup>٢</sup>. فانتهاز المتريصون بالحكم الاسلامي، والذين يضطادون في الماء العكر من نصارى الاسبان الفرصة للعصيان وإشعال فتيل الفتنة والاضطرابات والتهيج للمستقبل الذي يأملون فيه القضاء على الحكم الاسلامي في الاندلس. فتدافعوا وجمعوا قواهم، واستعدوا.

و - الدعم المباشر الذي قدمه بهذه الاتجاه النصارى الاوربيون من الفرنسيين وغيرهم وبقيادة شارلمان (٧٤٢ - ٨١٤)م المعروف بتصديده التاريخي للانتشار الاسلامي في

وصفالية الجنوب أو اليوغسلافون (الصرب والكرواتيون والسلوفاكيون والبغاريون). وقد جيء بهم إلى الاندلس أطفالاً صغاراً ذكوراً وإناثاً، فنشأوا نشأة عربية إسلامية في بلاط الملوك والحكام. كان منهم العبيد المجندون في الخدمة العسكرية، ومنهم القادة والكتّاب والادباء.

القاموس «المنجد في الاعلام» وكذلك مجلة نور الاسلام، العددان ٢٧: ٢ و ٢٨: ٣٤ من «العصبيات وآثارها في سقوط الاندلس».

(١) البربر: اسم يطلق على سكان أفريقيا الشمالية من برقة إلى المحيط، كانوا يتكلمون لهجات أعجمية قبل استعراهم، ولايزالون. ويرجع أصلهم إلى فئات عرقية مختلفة استقرت في البلاد قبل الميلاد، وعرفت بعض الازدهار مثل (مملكة نوميديا ومملكة موريثانيا). لم يكونوا مرتاحين تماماً إلى حكم روما ولا إلى الدين المسيحي دخل أكثرهم الاسلام مع عقبة بن نافع، ورافقوا الجيش العربي الاسلامي في فتوحاته إلى أسبانيا بقيادة أحدهم وهو طارق بن زياد، تبعوا الخوارج وأعلنوا العصيان على العباسيين. توزعوا ممالك وسلالات، فكان منهم الاغلبية والرسنميون والمرابطون والموحدون، ثم زالت دولتهم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي. وقد تحملوا القسم الاكظم من أعباء الفتح فقتل منهم في هذا السبيل الآلاف، وقد تأثروا كثيراً بالدين الاسلامي، وأبدوا تحمساً لنشره والدفاع عنه.

عن القاموس «المنجد في الاعلام» وكذلك مجلة نور الاسلام، العددان ٢٥: ١ و ٢٦: ٨ في «العصبيات وآثارها في سقوط الاندلس».

(٢) بالنسبة، أ. ج «تاريخ الفكر الاندلسي» الترجمة العربية: ١٧.

أوروبا، ثم بمباركة البابا «أوربانس الثاني» - الذي تسبب فيما بعد بتأجيج الحروب الصليبية - عبر النداء الشهير الذي أطلقه في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٠٩٥م، ودعا فيه نصارى أوروبا إلى الجهاد ضد الكفرة المسلمين، وحمل السلاح لغزو الشرق، وهو نفسه الذي أعد حملة مؤلفة في معظمها من «فرسان جنوب فرنسا» عام ١٠٨٩م لمساعدة نصارى الاسبان في مقاتلة المسلمين في الاندلس»<sup>١</sup>.

ز - الدور الذكي والمخادع الذي لعبه ألفونس الثالث (٨٦٦ - ٩١٠) م ملك أشتوريش وليون الاسباني في العمل الجاهد لاختراق المسلمين في الداخل ونشر الفرقة بينهم، حتى نجح في استمالة المستعربين الذين أسلموا حديثاً، مستغفراً فيهم كوا من المذهبية والطائفية مما حدا بهم إلى رفض الاسلام والتمرد على السلطة المركزية في قرطبة «ووعدهم بمنحهم الاستقلال إذا انقلبوا في اللحظة الحاسمة ووقفوا إلى جانبه في موعد الهجوم على ضواحي قرطبة ومناطقها الشمالية، وذلك من أجل أن يعيشوا أحراراً في أرضهم التي انتزعها المسلمون منهم بالعنف. وإن عدم نصرتهم الملك تعني استمرارهم كوسائل اقتصادية فقط، وكمصدر لاغناء خزينة الخلافة الاسلامية»<sup>٢</sup>.

وهكذا كانت عملية اختراق الوجود الاسلامي من قبل المستعربين في الاندلس قد تمت من زاويتين رئيسيتين:-

الاولى:- بشرية تشكل قوة عسكرية كبيرة العدد مدعومة بالقوة الاوربية قادرة على ترجيح الكفة من الناحية الاستراتيجية للمسيحية.

الثانية:- إيديولوجية حضارية، وهي مدار بحثنا هذا، وهي الأهم والتي يمكن أن يلعب من خلالها المستعربون دوراً كبيراً في تقويم أوروبا الرازحة تحت وطأة التخلف الحضاري، والخواء الثقافي، ورفدها بالمعارف والعلوم الحيوية لنهضتها المخطط لها. ثم إن دورهم هذا هو دين عليهم وردّ للجميل الذي قدمته أوروبا لهم بمساعدتها لضرب الحكم الاسلامي.

وقد بذلت الكنيسة ومؤسساتها كامل الجهد لاستيعاب كل هذه الاهداف في تخطيط شامل. وبرعاية ودعم السلطة السياسية وتشكيلاتها.

(١) لومبير، ايلي - «تطور العمارة الاسلامية في أسبانيا...» الترجمة العربية: ١٤٤.

(٢) بروفنسال، ليفي - «حضارة العرب في الاندلس» الترجمة العربية: ٧٩.

وهكذا كان، فقد ابتكرت الكنيسة حرباً جديدة ومواجهة غير مرتقبة سلاحها العلم والفكر واغتنام المفردات الحضارية للمسلمين، وتكييفها بالشكل الذي يسد نقصهم وثغراتهم الايديولوجية، ويمنحهم القدرة للتفوق في هذا الجانب الاساسي على العدو الاسلامي. فبعد أن كان النصارى الاسبان يتخبطون في ظلمات جهلهم إبان الفتح الاسلامي، ضعفاء لا يملكون أسباب القوة للرد والمواجهة، أدركوا الآن قانوناً أساسياً من قوانين مقارعة الخصم والذي يتمثل في معرفة الخصم وفهم حقيقته، وذلك عن طريق اكتشاف عوامل كماله ونقصه، وأسباب قوته وضعفه، ومواطن ذلك في وجوده، ومن الذي يكمن وراء تفوقه وهيمته. وخلال دورة زمنية لم تطل كثيراً استطاعوا وباتقان أن يصلوا إلى أهدافهم، ويستحوذوا على كافة مستلزمات المواجهة الشاملة للعدو المسلمين. وفي طليعة انجازاتهم هذه:

أ- ما قام به الرهبان مع بداية القرن التاسع من تعلّم اللغة العربية الفصحى، ومن ثم الاقبال على الترجمة عنها، وذلك «بناءً على تعليمات أساقفتهم»<sup>١</sup>. كما جاء على لسان المستشرق «فرانز روزنتال» بقوله: «وبتعلّم اللغة العربية باعتبارها لغة العلوم والفلسفة والفكر آنذاك. وبالإطلاع على القرآن وترجمته إلى اللاتينية بهدف وحيد وهو الوصول إلى فهم عميق للتفكير الديني الكلامي عند المسلمين، أملاً في أن يصبح الرهبان أقدر على التعرف على هذا التفكير، واستغلال ما كانوا يتصورون أنه مواطن الضعف فيه»<sup>٢</sup>.

ب - قيام القساوسة والرهبان الارببيون وكذلك الأسبان بحملة ضخمة لترجمة الفكر والثقافة الاسلامية وعطاءاتها الحضارية الانسانية، وبذلك تمكنوا من تأسيس أول شبكة

(١) إن أول ترجمة (مزعومة) للقرآن يرجع تاريخها إلى عام ١١٤٣م، عندما أنهى رجل إنجليزي وهو (روبرت الكتوني) بين ١٦ أيار و ٢١ كانون الأول من العام المذكور ترجمة لبعض معاني القرآن من العربية إلى اللاتينية، واستناداً إلى فهمه الشخصي. وكان هذا الرجل قد تنقل في بعض البلدان الآسيوية قبل انتقاله إلى برشلونة عام ١١٣٦م. وقد كانت ترجمته هذه بالإضافة إلى ترجمة كتب أخرى من العربية إلى اللاتينية قد نمت تحت إشراف ورعاية أحد الأساقفة وهو (بطرس الموقر) رئيس دير (كلوني) الفرنسي، وهو الدير الذي تخرج منه البابا «أوربانوس الثاني» مؤجج الحروب الصليبية. وكان الموقر هذا يرى في الاسلام خطراً فكرياً شديداً على المسيحية لا بد من التعرف عليه لتمكين مكافحته بغير الوسائل العسكرية. راجع مايلي:-

خدا بخش، صلاح الدين - «حضارة الاسلام» الترجمة العربية: ٤٢٤١. وكذلك سودرن، ريتشارد. «صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى»: ٨٠ - ٨٢. (٢) فوك، يوهان - «المستشرقون الالمان»: ١٥.

إيديولوجية للاستشراق الغربي، مستهدفين بذلك مقاومة الاسلام ومحاصرته سياسياً وفكرياً وعقائدياً بعيداً عن أي هدف علمي منزه<sup>١</sup>. واضعين نصب أعينهم إعادة المجد التليد، والبريق القديم الذي فقدته النصرانية هدفاً لهم. مخططين لحملات ضخمة للتصوير، وعبر منهجين متضادين ومتوازيين ظاهرياً: أحدهما «علمي» يستند إلى البحث والدراسة بقصد المعرفة والكشف، والآخر سياسي تطويقي يهدف إلى تدمير وتصفية الخصم بأي وسيلة ممكنة. وبذلك تتوظف كل الجهود العلمية والسياسية لتحقيق الهدف التصريحي.

ويشهد على ذلك قول «رودي بارت»: «كان موقف الغرب المسيحي في العصر الوسيط من الاسلام هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب. صحيح أن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الاولى في تعرفهم على الاسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق كبير، ولكن كل محاولة لتقويم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعاً ما كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير»<sup>٢</sup>.

ج - ودعماً لهذا المخطط فقد رافقت تلك الفترة استخدام أبشع وسائل الاضطهاد، وممارسة شتى أنواع التنكيل بالمسلمين، وارتكاب أفضع جرائم القهر الديني والسياسي بحقهم، ومحاربتهم نفسياً واقتصادياً، وصودرت نتاجاتهم العلمية والثقافية ونسبت إلى غيرهم من أعدائهم، وعملت الكنيسة على تأسيس محاكم التفتيش<sup>٣</sup> التي نكّلت بمن تبقى من المسلمين الاندلسيين بعد سقوط الاندلس وغرناطة في أواخر القرن

(١) سميلوفيتش، أحمد - «فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر»: ٤٩. وكذلك مقدمة مصطفى

محمود لكتاب سميلوفيتش: ٣. وكذلك خدابخش، صلاح الدين. في «حضارة الاسلام» الترجمة العربية: ٣٥.

(٢) كراتشكوفسكي، أفناطوس. «دراسات في تأريخ الأدب العربي» الترجمة العربية: ٧٥.

(٣) يعزى تأسيس محاكم التفتيش إلى البابا «غريغور السابع» عام ١٣٣٣م، عندما أمر بتشكيل لجنة من كل قرية أو بلدة برأسها قس وبعضوية شخصيتين بارزتين وذلك للتفتيش عن الهرطقة ومحاکمتهم (وقد أطلقت تسمية الهرطقة عند النصارى على أهل البدعة في الدين. والمقصود بهم هنا الذين ينتمون إلى الدين الاسلامي في بلاد النصارى). ثم مالبت أن تسلم المحاكم هذه جماعة الدومنيكان وغيرهم من الرهبان وجماعة الدومنيكان أو ما يطلق عليهم: الاخوة الواعظون: هم أعضاء الرهبانية التي أسسها القديس عبد الأحد لدحض البدع عام ١٣٠٦م، وكانوا أرباب التعليم الفلسفي واللاهوتي في القرون الوسطى. دخلوا البلاد الشرقية في القرن السابع عشر، أسسوا كليريكية الموصل عام ١٨٨٢م «وهي البيع التي يخدم فيها الشماسة والقساوسة والاساقفة» وكانت لهم فيها مطبعة عربية شهيرة، ولهم في القدس مدرسة الكتاب المقدس.

راجع، براندراند، جون في «تراث الاسلام» الترجمة العربية: ٧٠، وكذلك (القاموس «المنجد في الاعلام»).



الخامس عشر، وأعطيت صلاحيات استثنائية واسعة أيام فرديناند<sup>١</sup>، وإيزابيلا<sup>٢</sup>، وفيليب الثاني<sup>٣</sup>، وشمل القتل والاحراق والذبح جماعة من المسلمين الذين تنصروا ظاهراً، وأقاموا على عقيدتهم (الاسلامية) وظلوا يمارسونها في الخفاء. وامتدت صلاحيات هذه المؤسسة التنكيلية لتتال من مصادر الفكر الاسلامي، وإحراق الكتب، وإتلاف كل ما يؤدي في نظر الاساقفة إلى إلحاق الضرر بالكنيسة.

وبالرغم من ذلك فقد «بقي المسلمون الذين ظلوا في أسبانيا بعد استردادها (سقوط الاندلس) يحتفظون بكتبهم، بأذلين غاية جهدهم لاخفائها عن أعين مكاتب التفتيش. ولما اضطروا إلى مغادرة وطنهم خبأوا كتبهم في فجوات الجدران، أو دفنوها تحت الأرض في بيوتهم المتروكة. وقد عثر في القرن الاخير مصادفة على عدة مكتبات منها...<sup>٤</sup>. واستمرت محاكم التفتيش قائمة في أسبانيا حتى حلها نابليون بونابرت عام ١٧٩٢م.

## الاستعراب<sup>٥</sup> أولاً ثم الاستشراق:-

نشأت ظاهرة الاستعراب نتيجة الاحتكاك المباشر الذي حصل بين بعض الطوائف المسيحية التي كانت تقطن أسبانيا وبين المسلمين العرب فاتحي الاندلس، والذي أدى

(١) فرديناند: ملك أراغون وهو المعروف بالكاثوليكي، ملك قشتالة (١٤٧٤ - ١٥٠٤)م بعد زواجه وإرثه عرش قشتالة من إيزابيلا، أخذ غرناطة من العرب (المسلمين) عام ١٤٩٢م ووحد أسبانيا تحت سلطته ونظم إدارتها. وفي عهده اكتشف كريستوفر كولومبس أمريكا. عن (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(٢) إيزابيلا: (١٤٥١ - ١٥٠٤)م ملقبة بالكاثوليكية وهي ملكة قشتالة التي تزوجها فرديناند، فتوحدت بهذا الزواج الدولة الأسبانية، وأدى ذلك إلى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م. عن (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(٣) فيليب الثاني: (١٥٢٧ - ١٥٩٨)م. ابن كارل الخامس ملك أسبانيا وهولندا (١٥٥٦م). ثم ملك البرتغال عام ١٥٨٠م، ويعتبر عهده أوج السيطرة الأسبانية في أوروبا. عن (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(٤) فرانيسكو فسكي، أغناطيوس «دراسات في تاريخ الادب العربي» الترجمة العربية: ٧١ و ٧٢. ويذكر شكيب أرسلان في كتابه «الحلل السندسية في الاخبار والاناير الاندلسية» المجلد الاول: ٢٨٠ - ٣٨٣ الكثير من الاخبار عن صنوف الاضطهاد التي مورست في حق من كانت محاكم التفتيش تشك بأنه لا يزال على إسلامه من أهالي طليطلة، ومنها الاحراق بالنار ومصادرة الاملاك والتعزير... إلخ. وذلك بتهم مثل عدم أكل لحم الخنزير، والامتناع عن شرب الخمرة وغيرها...

(٥) مصطلح يطلق على الذين صاروا دخلاء بين العرب، ثم سرى استعماله لأولئك الذين دخلوا الاسلام بعد أن تعلموا اللغة العربية وتشبهوا بالمسلمين العرب خاصة في عاداتهم وتقاليدهم.

بدوره إلى تعميق عُرَى التمازج العرقي والتعايش الاجتماعي والاتصال الثقافي فيما بينهم. وقد أفرزت هذه الحالة ظهور طبقة اجتماعية واسعة من المجتمع الاندلسي اندمجت مع أوساط المسلمين، وتشبهت بهم في سيرتهم وسلوكهم اليومي، وقلدتهم في إقامة مناسباتهم وشعائرتهم الدينية، وحتى في دقائق وجزئيات أمورهم الحياتية فأقدم الكثير منهم على الاختتان وفق مراسم المسلمين، وامتنعوا عن معاورة الخمر وأكل لحم الخنزير وغيرها من الممارسات التي كانت مألوفة في المجتمع النصراني. وقد أطلق على هؤلاء «المستعربين» الذين كان جُلهم من أبناء الاندلس القدماء الذين انحدروا من آباء أسبان، ومن خلال البحث والاستقصاء عن أحوالهم أمكن تصنيفهم إلى صنفين:-

**الاول:** ويضم الذين دخلوا الاسلام أثناء الفتح (فتح الاندلس) وحسن إسلام الكثير منهم، فأقبلوا على دراسة الفكر الاسلامي، وتدرجوا في شتى العلوم. فكانوا أصحاب التأليف والتصنيف، وصارت لهم مكانة علمية مرموقة تميزوا بها عن سواهم، وظهر فيهم العلماء والادباء والقادة العسكريون، فحازوا إعجاب الحكام المسلمين وأصبح قسم منهم ذوي نفوذ واسع في الحكم «ولكنهم ظلوا مع ذلك لا يجدون أنفسهم إلا مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة»<sup>١</sup>.

أما الصنف الثاني فكان يضم أولئك الذين تشبهوا بالمسلمين ظاهرياً ولم يدخل الايمان في قلوبهم، وكان تأثرهم سطحياً على قاعدة التمثل بالفاتحين والتشبه بهم. كما يرى ابن خلدون ذلك «المغلوب يتشبه أبدأ بالغالب». وبالرغم من إقبالهم على تعلّم اللغة العربية ودراسة آثار المسلمين وأفكارهم، وكذلك إعجابهم بالمنجزات الحضارية لهم، وانبهارهم بالطرح الثقافي الاسلامي الجديد. إلا أن هذا لم يكن ليصرفهم عن عدائهم الشديد للرسالة الدينية والايديولوجية الاسلامية، ولا ليشيخهم عن رفضهم القومي للسلطة السياسية التي يخضعون لها. سيما وإن بعض الحكام آنذاك كانوا لأغراض سياسية يستخدمون أساليب من شأنها أن تثير روح العصبية بين طبقات المجتمع الاندلسي، كأن يقربون طائفة على حساب طائفة أخرى، مما يؤدي إلى نشوء العداء مع السلطة، وبالتالي محاولة الانشقاق أو التقليل من شأن الرسالة والفكر الذي ينتمي إليه

هؤلاء الحكام. فمثلاً عند اشتداد الروح العصبية بين القبائل العربية المتنافسة في عهد عبد الرحمن الداخل وبأسه من القضاء عليها وإزالتها، واتخاذها أسلوب المواجهة والمنافسة مع الحكم، لجأ إلى تكوين طبقة الاعوان والقادة ورباهم بنفسه واستعان بهم على إدارة دفة الامور، واطمأن إلى إخلاصهم، وهؤلاء هم (الصقالبة) الذين مالشوا حتى أخذ نفوذهم ينمو نتيجة لقربهم من الطبقة الحاكمة حتى صاروا شركاء للخليفة في الحكم. ثم صاروا يدبرون المؤمرات لإدارة الحكم بأنفسهم<sup>١</sup>.

وعلى أثر ذلك تولد الصراع بين العرب والمستعربين. ولم يكن هذا الصراع سياسياً أو عسكرياً فحسب، بل كان صراعاً يلتمس مبرراته من أطر دينية، وينعكس على طبيعة التفكير الديني، الامر الذي نشأ عنه نمطان من التفكير، نمط يتطرف في تمجيد العرب دينياً، وآخر يتطرف في الاتجاه المضاد. وليس إلى الشك سبيل في أن ابتعاد الحكم العربي في الاندلس عن الاسلام كان له الأثر الكبير في إعطاء الفرصة للمستعربين كي ينتفظوا ويترجموا رفضهم على شكل حرب اتخذت أبعاداً مختلفة، حتى أن بعضاً منهم كان له الدور الكبير في إضرام فتنة طليطلة ضد قرطبة في بداية عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن التي تمخضت عن المعارك التي خاضها ابن حفصون ضد الحكم العربي الاسلامي سنوات طوالاً بدأت من عام ٢٦٨ هـ وانتهت بوفاته عام ٣٠٦ هـ.

وكانت قوة العداء بين الطرفين إلى الحد الذي دفع عمر بن حفصون إلى الارتداد عن الاسلام والعودة إلى النصرانية لكي يستميل النصارى إليه ويعينه في قتاله ضد الحكم العربي، وذلك من خلال عملية أراد بها أن تكون انتقاماً من هذا الحكم.

وفي هذا الخضم المتلاطم من الفتن والصراعات والاضطرابات انتعشت الكنيسة، وبرزت الحوافز، وازدهرت الحركات الداعية إلى تقويض أركان الإمارة الاموية، واستنفرت القوى المضادة للاسلام، وارتفعت أصوات الغلاة من النصارى ويردود فعل متباينة كان منها اندلاع حركة الاستشهاد كما أسلفنا. وكذلك بروز دعاوى مواجهة الوجود الاسلامي بأساليب تتعدى حدود المصادمات العسكرية والمواجهات الدموية، تهدف إلى مقارعة المسلمين عن طريق الفهم العميق لايدبولوجيتهم، ومعرفة أسباب

(١) مجلة نور الاسلام. العددان ٢٧ و ٢٨ «العصبيات وآثارها في سقوط الاندلس»: ٣٤.

قوتهم ومنازلتهم بمناهجهم الفكرية وقواعدهم الحضارية.

وكان للمستعربين الدور الفعلي في الاختراق البشري والثقافي والسياسي للمجتمع الاندلسي، فوظف فعلهم هذا بقصد أو بدون قصد في بعض الاحيان في خضم المشروع المعادي للوجود الاسلامي.

وإذا كان الاستشراق علماً يختص بلغات الشرق، وبالانجازات الحضارية المعبر عنها بتلك اللغة، وبأديانهم وقيمهم وثقافتهم. وإذا كان قد فتح أمام الغرب والاوربيين بصورة عامة أبواب الفكر الاسلامي، وآفاق نظامه الدقيق بهدف فهم الاطروحة الاسلامية التي غزت العالم وغيّرت الكثير من الثقافات السائدة والنظم المنحرفة عن الفطرة الانسانية، وتداعت أمامها أغلب النظريات المهترئة، كان لابد من استطلاع دواعي هذه الاطروحة بل والمعيشة المباشرة والشاملة للوضع الجديد الذي طرأ على العالم أزاء التحولات الخطيرة التي حصلت بفعل الاسلام والمسلمين.

وعليه فلا بد للباحث المتتبع للوقائع التاريخية من الاعتقاد بأن بدء تكوّن الاستشراق قد حدث بعد انتهاء عمليات الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية، أي بعد سنة ٧١٥م وبدء استيطان العرب للمناطق المفتوحة. وإن ظاهرة الاستعراب الثقافي والاجتماعي والتشبه بالفاتحين في عاداتهم وممارساتهم لا يمكن فصلها عن تطور حركة الاستشراق وشروطها، والاوليات الاجتماعية لتكوينها.

بالاضافة إلى هذا فقد برز طرح آخر كان له الدور الكبير في بلورة الاستشراق، كان أبطاله وأدوات تنفيذه اليهود الذين وجدوا في المسلمين الفاتحين طريقاً للخلاص من الاضطهاد القوطي<sup>١</sup>، وظلم الكاثوليكية. فتعاونوا معهم وحالفوهم وتغلغلوا في قنواتهم الثقافية والاقتصادية، ولم يكن موقف اليهود هذا حباً بالاسلام وحرصاً على المسلمين، وانما كان استراتيجية جديدة تؤهلهم لتغيير مسار الأحداث لصالحهم، وهذا هو ديدنهم

(١) القوط: مجموعة شعوب منهم الشرقيون ومنهم الغربيون. والقوط الشرقيون: استقروا أولاً في وادي الدانوب الشرقي ثم غزوا إيطاليا وأسسوا فيها مملكة في أواخر القرن الخامس الميلادي قضى عليها بوسيتيناس عام ٥٥٢م. والقوط الغربيون: أقاموا غربي الدانوب في القرن الرابع الميلادي واعتنقوا المسيحية الأريوسية «وهي بدعة لدى النصارى تنسب إلى أريوس الكاهن الاسكندري. احتلوا روما عام ٤١٠م ثم جلوا عنها ليستقروا في جنوب غربي فرنسا. ثم أسبانيا حيث أسسوا مملكة ظلت قائمة حتى الفتح الاسلامي عام ٧١١م (القاموس «المنجد في الاعلام»).

أينما وجدوا. فبالرغم من القضاء المبكر عليهم أيام الدولة الاسلامية الاولى على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فانهم استطاعوا الظهور ثانية في أدوار مختلفة استهدفت هدم الاسلام من داخله. حتى أن بعضهم اعتنق الاسلام نفاقاً من أجل ذلك.

وعندما رأى اليهود أن موازين القوى في الاندلس اختلت لمصلحة المستعربين ونصارى الشمال وحلفائهم الارببيين، ومع بداية أفول نجم الدولة الاسلامية ظهروا بصورتهم الحقيقية وكشروا عن أنيابهم، وبدت نواياهم السيئة. فنقلوا ولاءهم إلى أسبانيا المسيحية، ونزحوا إلى المناطق الاسبانية المستردة من سيطرة الدولة الاسلامية. ملتحقين بمن سبقهم من إخوانهم الذين كانوا قد باشروا وباغراء وتشجيع من أعيان الكنيسة العمل في ترجمة التراث الثقافي الاسلامي وعلى نطاق واسع خدمة للمشروع الكاثوليكي الاوربي الذي نجح في مناعمة الهوية العنصرية الاسبانية بالمشاعر الدينية المتطرفة لمقاومة أعداء المسيحية. فكان اليهود أكفأ المساهمين وأنشطهم لما ملكوا من «مشاركة في التراث العربي الاسلامي استلهاماً واقتباساً ومحاكاةً ومنافسةً»<sup>١</sup>. إضافة إلى إتقانهم للغات عدة بحكم كثرة تنقلهم، وتبدل مواطنهم، وتوزعهم الديمغرافي، مما أهلهم للقيام بدور أساس في حركة الترجمة والنقل عن العربية إلى العبرية، وعنهما إلى اللاتينية.

ولعله من غير المبالغة القول: إن اليهود هم «المستشرقون» و«المستعربون» التاريخيون أينما حلوا. ومن هذا يمكن أن نفسر تغلغل الاسرائيليات ودخولها ضمن تراثنا الفكري الاسلامي. وأثرها في تفسير القرآن، وما خلفته من موروثات ثقافية دينية محرفة ساهمت في إبعاد المسلمين عن الفهم الصحيح للقرآن والسنة النبوية. وبهذا كان لهم الدور المؤثر في انحراف المجتمع الاسلامي في الاندلس عن مساره، وذلك من خلال ما ابتدعوه من فرق هدامة تنتهي بجذورها إلى لون من ألوان العمل الثقافي اليهودي.

إن الانتماءات القومية المختلفة التي كانت قد شكلت الهيكل العام للمجتمع الاسلامي في الاندلس، لم تكن سداً أمام حصول التداخل الاجتماعي والالتقاط الثقافي

(١) أسد، محمد - «الاسلام على مفترق الطرق». الترجمة العربية: ١٥٦.

بين تلك القوميات، وهذا التداخل والالتقاط أفرز حالة جديدة من أبرز سماتها تبلور أفكار وعقائد وإيديولوجيات مختلفة. وعلى هذا فقد أصبحت الاندلس ولأول مرة في التاريخ حالة حضارية فريدة من نوعها بين الشرق والغرب، حيث أن التناقضات الدينية والفكرية والسياسية جعلتها أرضاً خصبة لولادة ثقافة أوربية حديثة كانت نواتها الطرح الاسلامي الجديد الوافد من الشرق، لكنها رفضته كدين وعقيدة لها من خلال رفضها لمظهره المتمثل بالمسلمين. إلا أنها عملت على تمثل ثقافتهم وعلومهم للالتفاف عليهم والسعي إلى إجهاض الجهود الحضارية والفكرية والعلمية لهم.

في هذا المناخ المركب الذي تحالفت فيه قوى وامكانات الكنيسة الكاثوليكية والاسبان المهاجرين من الاندلس الاسلامية والمستعربين، وبتسهيل من الجهود الثقافية لليهود لاحقاً. وعلى أساس مشروع استرداد أسبانيا للنصرانية الاوربية نمت «قابلية الوجود» الاستشراقي بدأ بالاندلس، ثم تطورت بلبوس متنوع. إلا أن هذه القابلية اقتصرت في أولياتها على الاتصال والتعرف والاطلاع والتعايش الفاعل مع الفاتحين. وبشكل إقبالٍ مشوبٍ بالحذر على تعلم اللغة العربية وعلومها.

وعليه فمن المستبعد تصديق زعم البعض من أن «الاستشراق قد نشأ حقاً في منتصف القرن الثامن الميلادي في الاندلس»<sup>١</sup>. إذ إن المسلمين الذين لم يكن قد مضى على دخولهم «إيبيريا» أكثر من أربعين سنة، وهم في غالبيتهم من العسكر البربري، لم يكونوا بعد متهيئين لعرض أفكارهم وثقافتهم المدونة على أهل البلاد المفتوحة، لأن دورهم قد اتخذ منحىً عسكرياً في المرحلة الأولى من استقرارهم في الاندلس. أما دورهم كرواد ثقافة وحملة فكر فأغلب الظن أنه تأخر عن منتصف القرن الثامن نصف قرن على الأقل، لأن المرحلة تستدعي بالضرورة مدئاً زمنياً كافياً ليتسنى لهم إتمام عملية الاستيطان والاستقرار في عالمهم الجديد، قبل طرح أنفسهم على أنهم دعاة ثقافة وفكر وحضارة. وعليه فلا يمكننا الحديث عن حالة ثقافية مزدهرة وحقيقية في الاندلس إلا مع «بداية النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، وبتأثير مباشر من الحضارة العربية (الاسلامية) في المشرق والمعاصرة للعباسيين»<sup>٢</sup> في عهد الحكم الأول (٧٩٦ -

(١) سمابولفتش، أحمد - «فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر»: ٦٧.

(٢) فيرينية، جوان - «تراث الاسلام» القسم الثالث، الترجمة العربية: ١٦٩.

٨٢٢م، حفيد عبد الرحمن الداخل، وعهد عبد الرحمن الاوسط (٨٢٢ - ٨٥٢م) ابن الحكم الأول. فليس من الممكن - منطقياً - أن تنتقل إلى المستعربين وغيرهم من العناصر المكونة للمجتمع الاندلسي حالة ثقافية لم تكن متيسرة أصلاً للعرب والمسلمين الاندلسيين الآخرين أنفسهم. وهم لا يزالون منهمكين في تأسيس دولتهم وتحصينها والتأقلم مع خصوصيات الوطن الجديد.

ففي تلك الفترة التي أشرنا إليها بدأ البحث التاريخي يكشف وجود مدونات أسبانية محملة بتأثيرات عربية واضحة في مضمونها، مما يثبت بأن مؤلفيها قد أخذوا مادتهم التاريخية من مصادر عربية. ومن تلك المدونات «مخطوطات مختلفة وجدت في (أوبيط) وهي محفوظة في مكتبة الاسكوريال، وقد احتفظ بها القديس (أولوجيوس) القرطبي (توفي سنة ٨٥٩م) ونقلت إلى (أوبيط) عام ٨٨٤م»<sup>١</sup>.

إن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وغيرها من النشاطات الثقافية والعلمية كالاقباس والنقل والاستنباط والاستيحاء من قبل المستعربين والاوربيين وإن كانت لأغراض عقائدية كما أشرنا، إلا أنها لم تتحول إلى حالة ثقافية شاملة إلا في القرن التاسع الميلادي. وبعد أن خُبر النصر إلى اسبانيا عمق الثقافة الاسلامية وتعرفوا عليها. أي بعد مرور مائة سنة ونيف على انتهاء عمليات الفتح الاسلامي للاندلس.

وبعد اكتمال شروط التفاعل والتمازج بين شرائح المجتمع الاندلسي المختلفة. وبالتالي بروز مشروعات متقابلين كانا يمثلان طرفي الصراع: أحدهما يؤكد على استعادة مجد المسيحية بكل توجهاته الايديولوجية والسياسية والثقافية والعسكرية، والانتقام من المسلمين، والعمل على عودة أسبانيا إلى الحضيرة الاوربية المسيحية. والآخر كان يؤكد على إشاعة روح التغيير في البلاد والتشبث لتعميق الروح الاسلامية مستفيداً من عظيم تراثه، ومثانة فكره وثقافته، وأصالة حضارته القائمة على العدل والتوازن.

هكذا نشأ الاستشراف وانتقل مروراً بالاستعراب من طور القابلية إلى طور التحقق الفعلي كحالة ثقافية ليبدأ بالتكرس والتحول إلى مؤسسة وصرح وفق خطط وأهداف استراتيجية. وابتداءً من القرن العاشر الميلادي يوم غدت الاندلس مركزاً لانتقال الازدهار

الحضاري الاسلامي والانساني إلى قلب أوروبا. فكانت أسبانيا والاسبانيون الاكثر انفعالاً وتأثراً بالحضارة الاسلامية، لأن الاسلام عاش بين ظهرائهم ثمانية قرون وانتشر منهم إلى بقية المناطق الاوربية شمال إيبيرية. وبالرغم من أن أغلب النظريات الاستشراقية العامة وتطوراتها التاريخية قد وقعت خارج أسبانيا، إلا أن أغلب طروحات الاوربيين ومعلوماتهم وأخبارهم عن الاسلام والمسلمين كانت محاكاةً للظروف والتناقضات السياسية والاجتماعية والعقائدية التي عاشها المسلمون في الاندلس: وموسومة بالصبغة الاندلسية من حيث النشأة والتوجه والحركة.

### بروز نظريات الاستشراق الاستعماري:-

إن تجربة الاندلس وماتمخضت عنها من أحداث وتغيرات تركت آثارها على المجتمع الاوربي، قد أفرزت إحساساً لدى الاوربيين بالخطر الداهم الذي ينتظرهم، ومن ورائه الضعف والخواء الذي يكتنف ثقافتهم وأصولهم الفكرية. وبالتالي انهيار بنائهم الحضاري المتهافت، مما دعاهم - وبردود فعل شديدة - للتصدي بمختلف الوسائل وبشكل مدروس ومنظم للحيلولة دون اتساع دائرة التأثير باشاعات المد الاسلامي الذي غمر أسبانيا. وقد شجعهم على ذلك دافع ذو بعد ديني وهو أنهم «مسيحيون يجاهدون ضد أعداء المسيحية»<sup>١</sup>.

وعلى هذا كان الاستشراق أحد ردود الفعل، ولعله الأبرز في معادلة الصراع الحضاري وبأشكاله الدينية والسياسية والفكرية. سيما وإن الغرب والاوربيين بشكل خاص ينظرون آنذاك إلى كون المشرق الاسلامي «ملكاً للامبراطورية الرومانية»<sup>٢</sup> يجب استرداده من أيدي المسلمين وإرجاعه إلى حظيرة الامبراطورية الرومانية المتهترئة. فانعكس هذا التفكير على متبنياتهم الاستراتيجية للمواجهة كأحدى الثوابت التي يؤمنون بها، ويعملون على تحقيقها. وقد وُصف الاستشراق في هذا السبيل لخدمة نوايا استرداد العالم الاسلامي الذي ستيخذ فيما بعد أطراً وأشكالاً حديثة تنسجم وطبيعة مراحل الصراع. وليس من المستبعد أن تكون حركة الكشوف الجغرافية حول شواطئ

(١) وات، مونغمري- «فضل الاسلام على الحضارة الغربية» الترجمة العربية: ٦٨.

(٢) الجندي، أنور - «الاسلام وحركة التاريخ»: ٣٨٠.



العالم الاسلامي قد جاءت بهدف السيطرة على المنطقة خدمة للمصالح الاوربية الاستعمارية، ووفق هذه الرؤية يمكن تفسير أعمال «هنري الملاح» أو «ماركو بولو» أو «كريستوفر كولومبس» على أنها حلقة من حلقات المؤامرة التي حبكت لاستعمار المشرق الاسلامي. ومما يؤكد ظهور هذا التوجه بشكل واضح ما حصل «في أواسط القرن الثامن عشر عندما أخذت أوروبا تتحفز لاستعمار الشرق أخذ علماءها يبحثون في تأليف جمعيات لهذه الغاية فأنشأت منذ ذلك العهد في أوروبا وأمريكا عدة جمعيات للمستشرقين، وأقدمها عهداً الجمعية الآسيوية في باريس التي أسست سنة ١٨٢٢م بمعرفة شيخ المستشرقين من الفرنسيين «سلفستر دي ساس» ثم أنشأت معاهد للغات الشرقية في جميع الدول تابعة لوزارة المستعمرات أو لوزارة الخارجية المشرفة على الشؤون السياسية<sup>١</sup>. إلا أن الكثير من المحاولات لم تحقق غاياتها الاساسية «فقد أوقفتها القوة الاسلامية العثمانية النامية واستطاعت أن تقضي عليها»<sup>٢</sup>. ولكن هذا القضاء كان مؤقتاً حيث استأنفت من جديد ومع مطلع القرن التاسع عشر الخطط الاستعمارية الخبيثة لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه قبل قرون، أي منذ استرداد أسبانيا من أيدي المسلمين، وقد نجحت نجاحاً كبيراً في إقامة صرح الاستشراق، وتطوير حركته بما يخدم سعيها نحو بسط سلطتها على عموم الشرق والشرق الاسلامي منه خاصة. وسنأتي على تفصيل ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.



(١) مجلة رسالة الاسلام: ٣٦، السنة التاسعة. عبد الوهاب حمودة. من زلات المستشرقين.

(٢) الجندي، أنور - «الاسلام وحركة التاريخ»: ٣٨١.

# مستقبل المسلمين في أوروبا

إعداد: الشيخ فؤاد كاظم

الاستطلاع أسلوب تتجول من خلاله في عالم الواقع والافكار، يتم فيه تجميع موضوعي للمعلومات واستفهام عام للآراء في مسائل محدّدة، يهدف إلى إثارة اهتمام أبناء الإسلام ورجاله بما يجري حولهم من أحداث، وما يتداول في أوساطهم من أفكار وأدوار لتظهر حصيلة ذلك على صفحات هذه المجلة؛ إرساءً للصحة الاسلامية العالمية وسيراً بها على طريق ذات الشوكة.

لم يشهد المسلمون في شتى بقاع العالم توجهاً شرساً ومواجهةً دمويةً مثلما يشهدهونه اليوم على يد دول الاستكبار العالمي وعملائه الطغاة، بعد أن بدأت دماء الاسلام تنبض في عروقهم، وإرادة الرفض للطاغوت تتجلى في مواقفهم، سعيًا لإبراز الهوية المحمدية الأصيلة في حياتهم، وبناء الكيان السياسي الشامخ لشعوبهم على أسس التوحيد والعدل الإلهي، التي كان للثورة الإسلامية العملاقة في إيران دور البعث لها والمدد لحركتها. ولعل من أبرز تلك المواجهات الدموية مايجري اليوم على مسلمي يوغسلافيا المنقرضة في البوسنة والهرسك، ومايبيته الاستكبار القبيح في أمريكا وأوروبا الغربية لباقي المسلمين في القارة الأوروبية. ولأهمية هذا الموضوع رأيت هيئة تحرير المجلة أن يكون هو موضوع استطلاعها لهذا العدد، فعرضت استفهاماتها كالآتي، تاركةً للكتاب الكرام الاجتهاد في تفصيلاتها:



## استطلاع

أولاً: معلومات إحصائية:-

- ١- عدد المسلمين في كل دولة من الدول الأوربية - وفق آخر الإحصاءات الرسمية أو شبه الرسمية - مبوّبة كالاتي:  
أ- المسلمون من سكان أوروبا الأصليين.  
ب - المسلمون ممن اكتسب جنسية، من أيّ دولة أوربية.  
ج - المسلمون المهاجرون لكل دولة من الدول الأوربية.
- ٢- الأصول الإقليمية للمسلمين المهاجرين المشار إليهم في الفقرة «ب ، ج».
- ٣- عدد المساجد والمراكز والمؤسسات والجمعيات ... الخ الإسلامية في كل دولة من الدول الأوربية.

ثانياً: معلومات تاريخية:

- ١- عوامل انتشار الإسلام في أوروبا قديماً وحديثاً.
- ٢- كيف تعايش المسلمون الأوروبيون مع النصارى في دول أوروبا قديماً وحديثاً؟
- ٣- الثوابت التاريخية التي تحكي طريقة تعامل الحكومات الأوربية مع مسلمي دولها.
- ٤- آثار الثورة الإسلامية في إيران على المسلمين في أوروبا.

ثالثاً: نظرات عن الواقع والمستقبل:-

- ١- كيف تقيّم مايلي:  
أ- التوجهات المعاصرة للأوروبيين لاعتناق الإسلام؟  
ب - طبيعة العلاقة الحالية للشعوب الأوربية مع مسلمي أقطارهم؟  
ج - واقع المسلمين المهاجرين إلى أوروبا بين التأثير والتأثير في الوسط الأوربي؟  
د - الممارسة الإسلامية للمسلمين في أوروبا على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي.
- هـ - دور الجمهورية الإسلامية في إيران وأجهزة المرجعية والحركات الإسلامية في

## استطلاع

- ترشيد حركة المسلمين في أوروبا؟
- ٢- كيف تنظر أمريكا وأوروبا الغربية لإقامة دولة للمسلمين في أوروبا، خصوصاً بعد انحلال الاتحاد السوفياتي وانهيار المعسكر الشرقي؟
- ٣- بلحاظ أكثرية السكان المسلمين، كيف ترى: -
- أ- مستقبلهم في البوسنة والهرسك؟
- ب - مستقبلهم في ألبانيا؟
- ج - مستقبلهم في قبرص التركية؟
- ٤- مايجب أن يُفكر به ويعمل عليه مسلمو أوروبا لبناء كيانهم السياسي في دولهم؟

ضوابط تراعى في بيان الرؤية وتسطير المعلومات:-

- ١- يذكر دقيقاً مصدر المعلومات الإحصائية والتاريخية.
- ٢- إرفاق الوثائق والمستندات المتعلقة بالمعلومات المذكورة إن وجدت.
- ٣- الاختصار في المعلومات على حدها الأساسي دون الشروح والبيانات الثانوية.
- ٤- الكتابة بخط مقروء.

### \* تقدير للمشاركين :-

- ستقدم هيئة التحرير هدايا تقديرية لمن يشارك بأدق المعلومات وأفضل الرؤى كالآتي:
- أولاً: اشتراك مجاني في مجلة رسالة الثقلين لمدة سنة واحدة لكل مشارك برؤية مقبولة ومعلومات صحيحة.
- ثانياً: هدايا لأفضل خمسة مشاركين بالرؤى والمعلومات.



# المجتمع الإسلامي

من وجهة نظر الامام الخميني

(٢)

«التغيير الاجتماعي المنشود»

الاستاذ عبد اللطيف عبادة

«الجزائر»

الثورة الثقافية وبناء الأمة:



قبل أن نتحدث عن التغيير الاجتماعي ذاته، نشير إلى أن بواعث التغيير الجذري الشامل المتمثلة في ذلك النشيد الذي يشحن العزائم بالطاقات الجبارة المبدعة أمر حير الباحثين في حقل الحضارة. إذ كيف تكون الجموع البشرية في حالة عطالة شبه تامة فيأتي هذا النشيد فيحرك سواكنها ويقوّي إرادتها ويضاعف مجهوداتها؟ حتى أن عمّاراً بن ياسر «بطل الشغل - كما يقول (ابن نبي) - سمع هذا النشيد في غور روحه، عندما كان يحمل صخرتين بدل صخرة واحدة لبناء المسجد الأول للإسلام «بالمدينة»<sup>١</sup>. إن هذا النشيد هو الذي تفرّق له عيون العاجزين عن النوال، الذين يحبسهم العذر فيقول رب العزة في حقهم: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾<sup>٢</sup>.

ويؤكد (ابن نبي) أن «هذا النشيد الذي يقود الشعب، عندما تتعلق القضية بمصيره، إلى ميادين القتال أو إلى حظائر الشغل، لا ينبعث من العدم، أو من مجرد ارتجال أدبي أو موسيقي، ولا حتى من صرخة الألم التي يطلقها إنسان جريح. فهذا النشيد لا يمكن أن ينبعث إلا من روح الشعب ذاتها، من تقاليد، ومن تاريخه، ومن كل ما يجعل عمله أو

(١) مالك بن نبي. آفاق جزائرية. ترجمة الطبيب الشريف. مكتبة النهضة. الجزائر ١٩٦٤ م. صفحة ١٨٠ و ١٨١.

(٢) التوبة: الآية ٩٢.

نضاله مقدساً في ناظره»<sup>(١)</sup> ولا عجب أن يلتقي المفكران أيضاً في هذا الجمع بين النفحة الإلهية الغيبية التي تغمر المجاهدين في ساحات المعركة، والعمال في ميادين البناء والتشييد. غير أن الإمام يتميز بصبغته العرفانية المشرقة في أسلوبه وتعايره وكلماته.

فلنستمع إلى فقرة من وصيته في هذا الصدد: «هنيئاً لهم (الشعب المجاهد) ذلك النسيم الرائع وذلك التجلي المثير، وينبغي أن نعلم أن ومضة من ذلك التجلي مشهودة في المزارع المحرقة والمصانع المتعبة وفي المعامل ومراكز الصناعة والاختراع والابداع، وفي أكثرية أبناء الشعب (الموجودين) في الاسواق والشوارع والقرى، وفي كل القائمين بأمر من الأمور الاسلامية والتطوير والوصول إلى الاكتفاء الذاتي. ومادامت روح التعاون والالتزام هذه قائمة في المجتمع فإن الوطن العزيز سيكون مصوناً من الحوادث إن شاء الله تعالى. والحوزات العلمية والجامعات والشبان الأعزاء في مراكز العلم والتربية يتمتعون بحمد الله تعالى بهذه النفحة الإلهية الغيبية. وهذه المراكز تحت تصرفهم بشكل كامل، ويد المفسدين والمنحرفين لاتناله ياذن الله»<sup>(٢)</sup>.

يبقى أن التغير الجذري الشامل الذي كان ينشده الإمام يمس الجوانب التربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتشريعية والدفاعية. لأن التغير إما أن يكون شاملاً يمس كل جوانب الحياة في اتجاه إضفاء الصبغة الاسلامية أولاً يكون. والتلفيق لايسمح بالبناء الحضاري المتناغم المتماusk.

لذلك يندد الامام بذوي الفهم المنحرف الذين يوحون في أقوالهم وكتاباتهم أن الاسلام يؤيد الرأسمالية والملكية الخاصة دون حد أو حصر، وبذوي الفهم الموعج الذين يتمسكون ببعض الآيات وبعبارات من نهج البلاغة يوحون بها أن الاسلام يتفق والمدارس الفكرية المنحرفة كالماركسية. «بل الاسلام نظام متعادل يعترف بالملكية ويحترمها مع تحديد لسبل الحصول على الثورة وسبل إنفاقها. ولو طبق هذا النظام حق التطبيق لأدّى إلى دفع عجلة الاقتصاد السليم إلى الأمام، ولتحققت العدالة الاجتماعية

(١) مالك بن نبي. المصدر السابق. صفحة ١٨١.

(٢) الامام الخميني - صحيفة الثورة الاسلامية - ترجمة نص. الوصية: ٥٩.

التي يستلزمها أي نظام سليم»<sup>١</sup>.

### دور التربية والتعليم في تغيير المجتمع:

ولطالما استوقفت الإمام مسألة التربية والتعليم لأنها أساس التغيير. ويعلّق الإمام على التعليم آماله العريضة خصوصاً إذا فهم المعلمون أن التعليم مرادف للتربية، وأن العلم أحد كبريات العبادات. ولهذا قال عنه أبو حامد: «إنه عبادة القلب وصلاة السرّ وقرينة الباطن إلى الله تعالى»<sup>٢</sup>.

يضيف الإمام إلى ماتقدّم أن «البلاد إذا تحلّت بالعلم والأدب وأدركت جهة العلم والعمل فلن تستطيع أية قوة من الاستيلاء عليها... وكل المشاكل التي واجهناها خلال هذه الفترة من التاريخ كانت بسبب الاستفادة من جهل الناس... فإذا تمكّن شعبنا من الاستزادة بالعلم والتربية الإلهية الانسانية جنباً إلى جنب، فلا يمكن الاعتداء عليكم إذا تسلّحتم بهذين السلاحين، ولا يمكن إعادة الاستبداد. وإن لم يكن هذا العلم فإنهم سيوجهون الشعب إلى طريق آخر من أجل إعادة القضايا السابقة وإعادة الاستبداد والتبعيات التي كانت في الماضي»<sup>٣</sup>.

ويوضح أن التعليم كي يؤدّي إلى سعادة البشرية يجب «أن يكون موجّهاً. ففي الوقت الذي نعلّم فيه الناس القراءة والكتابة يجب أن نوجههم أيضاً لتكون قراءتهم لله وكتابتهم لله ولأجل الله ولأجل خدمة خلق الله ولخدمة الله والاسلام»<sup>٤</sup>.

عندما يكون العلم موجّهاً هذا التوجيه السليم تخفي الرشاشات، وسيقوم العلماء بأعمال تعجز عنها الرشاشات. وإن لم يكن في سبيل الله أدّى إلى تعاسة البشر، وأصبح ينتج متوجّات تدميرية<sup>٥</sup>. قال أمير شعراء الجزائر شاعر الوطنية والاصلاح الشيخ محمد العيد آل خليفة:

قنبلة في هـيروشيما      تركت كل مبانيها هشيما

(١) ن.م: ٥٤.

(٢) أبو حامد الغزالي. احياء علوم الدين. دار الفكر. بيروت ١٩٧٥ م. ج ١: ٨٢.

(٣) توجيهات الامام الخميني إلى المسلمين - ترجمة محمد جواد المهري - إصدار وزارة الارشاد الاسلامي - طهران - ط ١ - ١٤٠٣ هـ ق. (٤) ن.م: ١٩٥.

(٥) ن.م: ١٩٥.

ولد المعلم ملاكاً رحيماً فاستحال شيطاناً رجيماً وفحوى فكرة الإمام: أن العلم بحسب توجيهه إلى خدمة الخير أو الشر سلاح ذو حدين. يقول: «الجامعات بمقدورها أن تغمر العالم بالنور، إن قرنت التعليم بالخلق الانساني وبمسايرة الفطرة الانسانية. وإن انفصل العلم والتخصص عن الاخلاق والتهديب والوعي والالتزام فيؤدي إلى هذا الذي جره المفكرون المتخصصون والجامعيون غير ملتزمين حتى الآن من مصائب على هذا العالم»<sup>١</sup>. ولذلك قال أبو حامد قديماً: «ومن قصد الله تعالى بالعلم أي علم كان، نفعه، ورفع له لا محالة»<sup>٢</sup>.

### دور الانبياء في تربية المجتمعات:

التعليم كما يصرح بذلك الإمام مراراً وتكراراً: «عمل جليل يشبه عمل الأنبياء الذين جاءوا لتربية الانسان. ومسؤولية المعلم عظيمة جداً أيضاً كما أن مسؤولية الانبياء كانت عظيمة جداً. قال الحسن رضي الله عنه: «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم»<sup>٣</sup>. أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمة إلى حد الانسانية.

والمعلم أمين ولكن لا كسائر الأمناء، فإن الأمانة المستودعة عنده هي الانسان. وأما إذا خان الأمين الطالب المودع عنده، وكان الطالب قابلاً للتربية، فإن ذلك ربما يكون خيانة للشعب وخيانة للمجتمع وخيانة للاسلام. إن المخالفة في تربية الطالب إذا أنتجت فساداً وتخلقه بالاخلاق الشيطانية والاستكبارية، فإنه من الممكن أن يفسد البلاد والعباد ويشاركه في الاثم معلمه الذي أساء تأديبه كما يشاركه في أجر صلاحه لأنه أوجد الصفاء في قلبه<sup>٤</sup>. وإن التعليم الخالي من التربية الانسانية والخلقية يعود على الأفراد بالفساد والمجتمع بالوبال<sup>٥</sup>.

وبناءً على ما تقدم يسدي الإمام نصيحته الغالية إلى المعلمين فيقول: «أدبواهم (الطلاب) بالخلق الانساني والاسلامي، وذكروهم بالله تعالى، وحذروهم من هذا الفساد

(١) نقلاً عن صوت من أقصى المدينة لمحمد علي حسين - مؤسسة البعثة - طهران - ١٤٠٢ هـ. ق. صفحة ٢٣.

(٢) أبو حامد الفزالي. المصدر سابق: ٨٩

(٣) مختارات ٣، ٥٧ و ٥٨.

(٤) ن. م: ٥٩.

(٥) ن. م: ٥٩.



الواقع في المجتمعات المنحطة<sup>١</sup>. ويضيف في مكان آخر: «إنكم إذا تمكنتم من تربية الطلاب بحيث يكونون من أول الأمر متوجهين إلى الله تعالى وطالبيين مرضاته، وإذا لقمتموهم عبودية الله والارتباط معه - والحال أنهم يتأثرون بسرعة - وإذا ألقيتم في قلوبهم عبودية الله والتربية الالهية وقبلوا ذلك فقد اسديتم إلى المجتمع خدمة مهمة وستكون نتائج عملكم ثمينة جداً. وأما إذا كان الأمر - لا سامح الله - بخلاف ذلك فقد ختمت هذه الأمانة وهي ليست كسائر الخيانات فإنها خيانة بالانسان وخيانة بالاسلام وبالعبودية لله تعالى»<sup>٢</sup>.

بعد هذا كله يوجه الامام اهتماماته صوب المسألة الثقافية مع ما يعرفه من تعقيدات جمّة في مجتمع كان فريسة لأطماع الاستكبار والطواغيت، ودرية لسهام الصراع الفكري المسمومة.

فالمسألة الاساس في رأي الإمام - في تربية الأمة - توفير الثقافة الصحيحة. لذلك يجدر بأفراد المجتمع الصالحين أن يسعوا من أجل أن تكون الثقافة ثقافة إسلامية مستقلة، ومن أجل أن يمسك الشباب الذي يتربى في أحضانها بمقدّرات البلد. فإن حدث ذلك أصبح المسؤولون بأجمعهم في خدمة الشعب وأمناء على بيت المال. وهذا لا يتحقق إلا بقيادة الاسلام<sup>٣</sup>.

إضافة إلى ما تقدم يوصي الإمام المثقفين أن يقتدوا بالأنبياء الذين كانوا «أعظم البشر وأبسطهم. ففي الوقت الذي كانوا أكبر من الجميع، وكان الجميع ينظر إليهم نظرة إكبار وتعظيم، فإنهم كانوا في الوقت نفسه أبسطهم في طريقة المعيشة»<sup>٤</sup>.

وطبقاً لقول (ابن نبي): «الثقافة التي يتم تصورها في صيغة (بيداغوجية) هي كل هذا جميعاً: فهي تركيب متآلف للأخلاق، والجمال، والمنطق العملي والفن الصياغي»<sup>٥</sup>. نجد الإمام يلح على هذا المنطق العملي، على التوافق بين منطق الفكرة ومنطق العمل، على الفعلية، بل يراه سبباً في تصدير أسلوب الحياة الاسلامي بصورة تلقائية وسلمية، وتقبل الآخرين له طوعاً وعن قناعة. «نحن كلما نصيح ونعلن أننا مسلمون وأن جمهوريتنا

(١) توجيهات الامام الخميني إلى المسلمين: ٢١٤. (٢) ن.م: ٢١٦.

(٣) نقلاً عن صوت من أقصى المدينة السالف الذكر: ٢٣.

(٥) ابن نبي: آفاق جزائرية: ١٤٥.

(٤) مختارات ٣: ٤٩.

إسلامية ولكن حينما يرون أننا في العمل غير ذلك فلا يصدّقنا أحد. إنهم يستطيعون أن يقبلوا منا نحن الذين ننادي بالجمهورية الإسلامية عندما يرون أعمالنا إسلامية. وبذلك نستطيع أن نصدّر الجمهورية الإسلامية إلى سائر الأقطار. التصدير ليس بالحرب ولا بالقوة. التصدير يتحقق بإنماء الحقائق الإسلامية والأخلاق الإسلامية الانسانية هناك<sup>١</sup>. وإن إيجاد المجتمع الإسلامي وثقافته يمرّ حتماً عن طريق تطبيق الاسلام مهما ثبّط العزائم دعاة المرحلية، ومهما شكّك المتشككون من دعاة التقدم والتغريب. هل يمكن أن توجد ثورة إسلامية وثقافة إسلامية ومجتمع إسلامي بدون تطبيق الاسلام؟ لا يزعم هذا عاقل فضلاً عن مسلم. لذلك يقول الإمام: «اليوم هو يوم تطبيق الاسلام. إن الأقوال التي تنتقل اليوم، تناظر تلك الأقوال التي كانت تذكر بأنه لم يحن الوقت بعد، وعلينا أن نصبر. فإن لم نطبّق الاسلام وأحكام الاسلام في هذه الثورة، في هذه النهضة، فمتى سنطبقها إذن؟ نحن لو لم ننفذ قوانين الاسلام اليوم فمتى سننفذها؟ هؤلاء الذين يقولون: إن هذا غير ممكن، إذن فمتى يمكن؟ إذن قولوا: لا إسلام دائماً قولوا: نريد الثورة من دون إسلام»<sup>٢</sup>.

### الفقهاء وقيادة المجتمع الاسلامي:

ومن أجل هذا التطبيق، ومن أجل أسباب أخرى ترجع إلى الفكر السياسي الذي يتبناه الإمام، نجده يحل العلماء مركزاً مهماً وريادياً في الهمم الاجتماعية. وإننا نجد هذه المكانة الممتازة المنوطة بالعلماء في فكر (أبي حامد الغزالي) الذي يعرف السياسة بأنها: «إستصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة، وتبعاً لذلك يرى (أبو حامد): أن أشرف الصناعات بعد النبوة: إفادة العلم، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة، وهو المراد بالعلم»<sup>٣</sup> بناءً على قول الرسول من الله عليه وآله وسلم: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا»<sup>٤</sup>. وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد. وإذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلثة لا يسدها إلا

(١) التوجيهات: ٦٩.

(٢) مختارات ٣: ٥٠.

(٣) أبو حامد الغزالي. المصدر السابق: ٢٣.

(٤) بحار الانوار ٢: ٣٦.

خلف منه»<sup>١</sup>. وقال الحسن رضي الله عنه: «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء دم الشهداء»<sup>٢</sup>.

لذلك يقرّر الامام أن: «الفقهاء أمناء الرسل في قيادة الجيوش وإدارة المجتمع والدفاع عن الأمة والقضاء بين الناس»<sup>٣</sup>. ويوصي المسلمين بقوله: «لا تعارضوا علماء الدين فذلك خير لديناكم. هؤلاء الملتزمين من علماء الدين.. هؤلاء يعرفون حقوق الانسان أحسن مما نعرفه. هؤلاء هم الذين تتألم قلوبهم من أجل البشرية... هؤلاء هم جمعية حقوق الانسان... إن هذه الطبقة هي التي تستطيع أن تنقذ الشعب. والشعب يحبهم. إنها المساجد التي أقامت النهضة، في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده إلى زمن بعيد كان المسجد مركزاً للاجتماعات السياسية ومركزاً لإعداد الجيش. فالمحارب يعني مكان الحرب، مكان القتال، قتال ضد الشيطان، وقاتل ضد الطاغوت... حافظوا على هذه المساجد حتى تجني النهضة ثمارها»<sup>٤</sup>.

إن نخبة المجتمع وطلبعته هم العلماء، ومركز إشعاعه هو المسجد الذي يجمعهم في الجماعات والجموع كما يجمعهم الحرمان في الحج.

### دور الجامعات في التغيير الاجتماعي:

إذا احتل العلماء هذه المكانة المرموقة فما محل المثقفين من الإعراب؟ ما الذي عملته الجامعة وأساتذتها طيلة السنوات الخمسين الأخيرة من الحكم الجائر في إيران سوى أنهم أوقعوا البلاد في قبضة القوى الكبرى؟ إنها لمأساة حقاً أن تقع سبل العلم بيد أفراد بعيدين عن الالتزام وعن التفكير بأمور بلدهم. إنها لمأساة أن تكون سبل العلم في قبضة من ليس فيه خلق إسلامي ولا التزام<sup>٥</sup>.

ويؤكد الإمام: أن المثقفين الذين تخرجوا من الجامعات واحتلوا المناصب في أجهزة الدولة هم الذين جرّوا البلاد إلى شرك الشرق والغرب وجعلوها تابعة لهما. لذلك يطالب

(٢) كنز العمال ١٥: ٢٨٧.

(٤) توجيهاً: ٧١ و ٧٢.

(١) بحار الأنوار ٢: ١٧.

(٣) الحكومة الاسلامية: ٦٩.

(٥) نقلاً عن صوت من أقصى المدينة السالف الذكر: ٢٢ و ٢٣.

الإمام بإصلاح التعليم والجامعة حتى تصبح الجامعة في خدمة الأمة<sup>١</sup>.

### دور وسائل الإعلام في التغيير الاجتماعي:

وليست الجامعة وحدها بحاجة إلى إصلاح، «فالإذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما والمسرح من الأدوات الفعالة في إفساد الشعوب وتخديرها خاصة جيل الشباب»<sup>٢</sup>.

كل هذه الأجهزة تهدف إلى:

- ١- معاداة الاسلام، وعلماء الدين المخلصين، وتقوم بالدعاية للشرق والغرب.
- ٢- الدعاية للبضائع الكمالية الغربية، وحمل الناس على التقليد في جميع شؤون الحياة لما يجري في الغرب.
- ٣- نشر الأفلام التلفزيونية الغربية والشرقية التي تبعد الشبان عن المسار الصحيح للحياة وتدفعهم إلى الجهل بذاتهم وبشخصيتهم، أو إلى التشاؤم وسوء الظن بكل شيء أصيل.
- ٤- نشر المجلات بمقالاتها وصورها المخلة بالآداب العامة، والصحف بمقالاتها المعادية لهويتنا الاسلامية.
- إن الحرية بشكلها الغربي المؤدي إلى إفساد الشبان أو إلى محاربة الاسلام والخروج على الآداب العامة مدانة شرعاً وعقلاً، وكل ما ينتج عنها من آداب وفنون حرام يجب أن يحارب<sup>٣</sup>.
- إن هذا الفن وهذا الإعلام كلاهما فاسد، متأثر بالغرب، ولا يدافع عنه إلا دعاية التغريب والتقليد الأعمى للغرب. يتوجه الإمام إلى هؤلاء فيقول: «راجعوا أنفسكم، لاتجعلوا صبغة الغرب تستولي على كل مالدیکم»<sup>٤</sup>.
- إن هؤلاء المثقفين هم ضحايا الصراع الفكري والاشاعات والأكاذيب التي تبثها الأبواق الاعلامية الاستكبارية وريببتها المحلية<sup>٥</sup>.

(٢) الوصية ٧: ٤٥.

(٤) توجيهات ٢: ٦٨.

(١) ن. م: ٢٤، ٢٢.

(٣) ن. م: ٤٦.

(٥) الوصية: ١٨.

## دور العمل والعمال في تقدم البلد:

إن اهتمامه بالعمل الفكري، بالثقافة والمثقفين لم يُنْسِه أبداً الاهتمام بالعمل المادي وتوجيهه.

«إن توجيه العمل هو تأليف كل الجهود لتغيير وضع الانسان وخلق بيئته الجديدة». كما جاء في «شروط النهضة» لابن نبي. ولذا يرى الإمام: أن على عواقب العمال مسؤوليات أضخم من كل المسؤوليات. إذ يتقدم البلد على أيديهم، ومسؤولية انحطاطه أيضاً تقع عليهم. ولا يتجه البلد نحو الانحطاط إلا نتيجة لانعدام العمل أو قلته وانعدام حب العمل. ولذلك يتوجه بنداؤه إلى عمال المصانع وإلى الفلاحين لإدارة عجلة التنمية، إدراكاً منه لكون العمال أساس المجتمع الانساني، وأن إدارة شؤون الدول بأيديهم. وإدراكاً منه أيضاً للمنزلة التي خصّ الاسلام بها العمال والحقوق التي ضمنها لهم.<sup>٢</sup>

## دور المرأة المسلمة في إحباط المؤامرات الاستعمارية:

ويبدي الإمام إعجابه بالمرأة المسلمة في إيران التي أحبطت كل الخطط الشيطانية الأجنبية والعميلة، وحافظت على كرامتها من أتباع الضلال والتأثر بالمؤامرات المشؤومة للغرب وعملائه، ومن الوقوع في مصيدة تحايل عشاق الغرب. وينوّه بشجاعتها في الدفاع عن الوطن الاسلامي وعن القرآن الكريم، ويعملها في جبهات القتال وخلفها وباستعدادها للتضحية. كما ينوّه بإرسال النساء لفلذات أكبادهن إلى جبهة القتال واعتزازهن باستشهادهم المبارك. ويحيي النساء اللاتي يعملن على تربية الأطفال وتعليم الأميين وتدريس العلوم الانسانية وتعلم الثقافة الغنية للقرآن وتمريض المعوقين والمرضى. كما يندّد بالفاجرات اللواتي وقعن فريسة للشيطان وأتباعه.<sup>٣</sup>

(١) مالك بن نبي. شروط النهضة. ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دار الفكر. بيروت. ط ٣.

(٢) توجيهات: ٣٧-٣٦.

(٣) ن. م: ٢٧٣-٢٧٥.

## قدرة الشعب على الابداع والتغيير:

الأمر الذي شغل الإمام كثيراً وحق له أن ينشغل به هو الابداع الصناعي الذي بقي رديحاً طويلاً من الزمن حكراً على الشرق والغرب، كما لو كان المسلم عاجزاً بفطرته عن الابداع في مجال الصناعات خالياً من المواهب والاختراعات. والواقع أن الأمر بخلاف ذلك تماماً: «إننا بشر ولدينا القدرة على التفكير، ونحن أيضاً نملك القدرة على التصنيع. وهذه القدرة موجودة بالفطرة في جميع أفراد البشر... لاحظتم أننا قمنا خلال هاتين السنتين بكثير من الصناعات التي كان الأجانب يقومون بها. فثقوا بأنه بوسعنا أن نكوّن بلدأً صناعياً ولدينا إمكانية الابداع. فهذه الثقة التي سلبوها منا... إذا آمن الفلاحون بقدرتهم على التقدم في الزراعة، حتى تتمكن من التصدير وعدم التبعية للغير، بل الغير يحتاج إلينا، فإننا نتمكن من ذلك»<sup>١</sup>

لا يتم الإلتصار إلا بالعمل، بالابداع، بتأمين الاكتفاء الذاتي في حدود الموارد الطبيعية للبلاد وبالاكتفاء على القوة الإلهية. يقول الإمام: «إذا أراد شعبنا الشريف أن ينتصر، في هذه الصورة عليه أن يشمر عن ساعده ويبادر إلى العمل، من داخل الجامعات إلى الأسواق والمعامل والمزارع والحقول إلى حد الاكتفاء الذاتي وإلى الوقوف على قدميه. وعلى شعبنا المسلم أن يستند إلى قوته الإلهية»<sup>٢</sup>.

ومن أجل ذلك لا يخشى الإمام العزلة، لأن عواقبها قد تكون حميدة إذا دفعت الشعب إلى الاعتماد على نفسه وإلى قطع دابر التبعية وسلوك طريق الابداع وتأمين احتياجاته بنفسه في جميع المجالات<sup>٣</sup>.

## السياسة الخارجية للمجتمع المسلم:

إنطلاقاً من وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لولديه: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»، وقوله تعالى: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>٤</sup>. يستنبط الإمام فلسفة قيمة يمكن تخليصها في ثلاث نقاط:

(١) مختارات ٣: ١٣٠-١٣١.

(٢) ن. م. ج ٢: ٥٣.

(٣) تروحيات: ١٧٧.

(٤) البقرة: ٢٧٩.

١- عدم الاعتداء على الآخرين وعدم ظلمهم لأنّ الاسلام لا يحبّ العدوان ولا المعتدين.

٢- لا نرضخ للظالم بل نضحي بأنفسنا للخلاص منه.

٣- نحن مكلفون بإنقاذ المحرومين المظلومين، نحن مأمورون بإعانة المظلومين ومناوأة الظالمين.

يقول الإمام: نحن نريد بقيادة نبيّ الاسلام تطبيق هاتين الكلمتين ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾: أن لا نكون ظالمين ولا مظلومين، طوال التاريخ كنا مظلومين من جميع الجهات ونريد اليوم أن لا نكون مظلومين، ولا نريد الاعتداء على أي بلد... ولكن يجب علينا الرد على اعتداءات الآخرين»<sup>١</sup>.

ويقول في مكان آخر: «فواجب العلماء وجميع المسلمين أن يضعوا حداً لهذا الظلم، وأن يسعوا من أجل سعادة الملايين من الناس، في تحطيم الحكومات الجائرة وإزالتها، بتأسيس حكومة إسلامية عاملة مخلصه»<sup>٢</sup>.

ومن أجل تحقيق هذه الفلسفة العظيمة يقدم لنا الإمام تصوّراً رائعاً للعدالة الاجتماعية. يقول: «يجب أن يحسّ المستضعفون بالراحة، يجب تقويتهم. فالمستكبر لابد أن يصبح مستضعفاً والمستضعف لابد أن يصبح قوياً. وعلى الجميع أن يعيشوا إخوة في هذا البلد. لا يوجد في الاسلام تمييز بين الأغنياء والفقراء، ولا بين البيض والسود، ولا بين السنة والشيعة، ولا بين العرب والعجم... لقد جعل القرآن الكريم العدالة والتقوى ميزاناً، فالامتياز لمن يملك التقوى... لا يوجد اضطهاد في الاسلام... والحكومات لا تستطيع الاجحاف في حق الشعب. الدولة في ظل الحكومة الاسلامية خادمة للشعب ويجب عليها أن تكون في خدمة الشعب»<sup>٣</sup>.

(١) توجيهات: ٢٢٢.

(٢) الحكومة الاسلامية: ٣٧.

(٣) توجيهات: ١٨-٢٠.

## يوم عاشوراء .. في اللغة والتاريخ والحديث

الشيخ محمد هادي اليوسفي

وردنا سؤال من الجزائر حول الأساس الذي بنى عليه بعض المسلمين اعتقادهم بصيام عاشوراء «يوم مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الكرام» والإحتفال به كأحد أعياد المسلمين؟ في الوقت الذي يحزن فيه شطر عظيم من المسلمين، لا سيّما من أتباع أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء العالم، وقيمون شعائر كبرى تخليداً لذكرى هذه الثورة المأساوية التي أراق فيها طغاة بني أمية دماء العترة الطاهرة لنبي الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أرض كربلاء المقدسة.. فما هو الحق في ذلك؟ «التحرير»

عاشوراء، على وزن فاعولاء، مختومة بالألف الممدودة، وتصحّ بالألف المقصورة بلا همزة: عاشورئ<sup>١</sup> فهي صفة مؤنثة لليلة العاشرة من الشهر القمري العربي، وغلبت على الليلة العاشرة من أول الشهور القمرية العربية: محرم الحرام، ولذلك لا يوصف بها اليوم فلا يقال: اليوم العاشوراء، وإنما يقال: يوم عاشوراء بنحو الإضافة، بحذف الليلة، والتقدير: يوم ليلة عاشوراء، والموصوف - الليلة - محذوف.

ولا ريب في استعمال الكلمة واشتهارها في ليلة العاشر من محرم الحرام ذكرى



## سؤال وجواب

شهادة الإمام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام. وقد نصّ اللغويون على أنها «اسم اسلامي»<sup>١</sup> «لم يُعرف في الجاهلية»<sup>٢</sup>.

\* \* \*

وعليه فكيف نفَسّر ما جاء في الخبر:

١- عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فَرَضَ رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه<sup>٣</sup>.

٢- عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان، كان رمضان الفريضة. وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه<sup>٤</sup>.

وكأنها علّلت صومهم فيه في خبر آخر:

٣- عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوماً تُسْتَر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه<sup>٥</sup>.

فكيف التوفيق بين هذا وبين ما مرّ من نصوص اللغويين على أن اسم عاشوراء اسم اسلامي لم يُعرف في الجاهلية؟ وإذا كانوا يصومونه لأنه كان يوماً تُسْتَر فيه الكعبة، فلماذا أُضيف إلى وصف الليلة «عاشوراء» كما مرّ؟ ولم تكن الكعبة تُسْتَر في الليل طبعاً قطعاً. أم هل وصفوا اليوم المذكّر بصفة التأنيث؟ فالعجب من العرب كيف غاب عنهم هذا؟!.

والجاهلية هي عهد ما قبل الإسلام، فإذا كان النبي يصوم يوم عاشوراء في الجاهلية فلماذا تركه بعد الإسلام؟ فلو كان تركه لمخالفة المشركين فلماذا رجع إليه بعد الهجرة؟ هذا ما روي عن عائشة وتلك هي التساؤلات التي تفرض نفسها بلا جواب شافٍ كافٍ.

(٢) الجمهورية في لغة العرب ٤: ٢١٢.

(٤) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٢٤٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، الباب ٤٧.

\*\*\*

### وجاء في مجموعة ثانية:

- ١- عن ابن عباس قال: قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: أنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه.<sup>١</sup>
  - ٢- عنه قال: أن النبي لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً (يعني يوم عاشوراء) فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شاكراً لله. فقال: أنا أولى بموسى منهم. فصامه وأمر بصيامه.<sup>٢</sup>
  - ٣- عنه قال: لما قدم النبي المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فُسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له. فقال رسول الله: ونحن أولى بموسى منكم. فأمر بصومه.<sup>٣</sup>
  - ٤- عنه قال: قدم النبي المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا.<sup>٤</sup>
  - ٥- عنه قال: لما قدم رسول الله المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي: نحن أولى بموسى منهم.<sup>٥</sup>
  - ٦- عن أبي موسى الأشعري قال: دخل النبي المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه.<sup>٦</sup>
  - ٧- عنه قال: كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً، فقال النبي: فصوموه أنتم.<sup>٧</sup>
- هذا ما روي عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري من قبل المسلمين، وليس فيه أن اليهود كانوا يسمّونه عاشوراء، فلعلّه كان صوم اليهود إذ ذاك موافقاً لليوم العاشر من المحرم. فما واقع الحال عند اليهود قديماً واليوم؟

\*\*\*

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠. (٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: ٦٠. (٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢. (٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس. (٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس. (٦) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢. (٧) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.

## سؤال وجواب

جاء في دوائر المعارف البريطانية بالإنجليزية والفرنسية والألمانية: أن احتفال اليهود بنجاة موسى وبني إسرائيل يمتد سبعة أيام لا يوماً واحداً فقط.

أما صوم اليهود: فهو في اليوم العاشر، ولكنه ليس العاشر من المحرم، بل من شهرهم الأول: تشري، ويسمونه يوم «كيبور» أي يوم «الكفارة» وهو اليوم الذي تلقى فيه الإسرائيليون اللوح الثاني من ألواح الشريعة العشرة، ولم يكن ذلك يوم نجاتهم من فرعون، بل بعد نجاتهم من فرعون، وميقات موسى عليه السلام وابتلائهم بعبادة العجل إلهاً لهم، ورجوع موسى من الميقات إليهم، وإعلان اشتراط قبول توبتهم بقتل بعضهم لبعض، وبحصولهم على العفو من رفقاؤهم. ولذلك فقد خُصص اليوم قبل «كيبور» بتبادل العفو فيما بينهم، وخُصص يوم «كيبور» للصيام والصلاة والتأمل كأقدس أيام اليهود.

والتقويم اليهودي المستعمل اليوم عندهم شهوره قمرية، ولذلك فعدد أيام السنة في السنوات العادية ٣٥٥ أو ٣٥٤ أو ٣٥٣. ولكنهم جعلوا سنواتهم شمسية بشهور قمرية، ولذلك فلهم سنوات كبيسة، ففي كل سنة كبيسة يضاف شهر بعد آذار الشهر السادس باسم آذار الثاني فيكون الشهر السابع، ويكون نيسان السابع الشهر الثامن، وعليه تكون أيام السنة الكبيسة ٣٨٥ أو ٣٨٤ أو ٣٨٣ يوماً<sup>١</sup>.

\* \* \*

هذا هو التقويم اليهودي المستعمل لديهم قديماً واليوم ولم يُنقل عنهم أي تقويم غيره. وتلك احتفالاتهم بنجاتهم من الفراعنة تمتد أسبوعاً لا يوماً واحداً فقط. وليس لهم فيه يوم صوم. ولهم يوم صوم هو يوم عيد «كيبورهم» العاشر من شهرهم الأول تشري، ولكنه يوم كفارتهم وقبول توبتهم وليس يوم نجاتهم من الفراعنة. ولا ننكر وقوع توافق بين تقويمين في زمان ما، ولكنه قد يقع في سنة واحدة فقط بعد عشرات بل مئات السنين، وعلى فرض وقوع توافق بين يوم «كيبور» العاشر من شهر تشري، وبين يوم عاشوراء العاشر من شهر محرم الحرام بعد تسعة أشهر من قدوم النبي إلى المدينة، فلماذا لم يذكر يوم «كيبور» وإنما أطلق عليه يوم عاشور؟ وما وجه إطلاق استحباب صوم يوم عاشور العربي الإسلامي عوضاً عن عيد «كيبور» العبري اليهودي، مع القول بأولوية

(١) دوائر المعارف البريطانية الانجليزية والفرنسية والألمانية.

## سؤال وجواب

النبي والمسلمين من اليهود بموسى عليه السلام، مع أن نجاته وإياهم لم تكن لا في عيد «كيبور» ولا في يوم عاشوراء؟!

\*\*\*

وبلاحظ بخصوص خبري أبي موسى الأشعري:  
أنه في الأول يقول: «وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي: نحن أحق بصومه. فأمر بصومه» بلا ذكر لوجه تعظيمهم ليوم عاشوراء وصومه، ولا ذكر لوجه أحقية المسلمين بصومه.

وفي الثاني يقول: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً. قال النبي: فصوموه أتم» بلا ذكر لوجه كون يوم عاشوراء، عيداً عندهم، ولا ذكر لوجه أمره صلى الله عليه وآله وسلم بصومه، وكأنه يقابل بين الأمرين: بين صوم المسلمين فيه وعده اليهود عيداً، دون الأولوية.

وبلاحظ في الخبرين أمران آخران أيضاً:  
الأول: قال في الأول: «وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء» وقال في الثاني: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً» فعلق وصف العيد وتعظيم اليهود على يوم عاشوراء، ولا وجه لذلك وقد مرّ نصّ اللغويين على أنه اسم إسلامي لم يُعرف في الجاهلية أي قبل الإسلام، وعليه فكيف عرف اليهود عاشوراء قبل الإسلام؟!

الثاني: أنه قال في الثاني: «قال النبي: فصوموه أتم» وقال في الأول: «فقال النبي: نحن أحق بصومه. فأمر بصومه» وجوباً أم استحباباً؟ وظاهر الأمر الوجوب كما قالوا: وعليه فيخلوا الخبر عن ذكر مدى هذا الأمر إلى متى كان أو يكون؟ وكذلك تخلو منه أخبار ابن عباس.

وذكرت المدى أخبار عائشة: «فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه».

وقد ذكروا بلا خلاف أن فرض الله صيام شهر رمضان كان بنزول القرآن به لمنتصف السنة الثانية للهجرة، أي أنه لم يكن بين هجرته وبين نزول القرآن بفرض رمضان غير عاشوراء واحد، وإذا كان قد أمر بصيامه مواساة لموسى عليه السلام شكراً لنجاته على قول يهود المدينة له بعد هجرته جواباً عن سؤاله عن صومهم يوم عاشوراء، إذن فعاشوراء

## سؤال وجواب

الأولى قد مضت ولم تأت الثانية ليصوموا يومها حتى نزل القرآن بفرض رمضان، فما معنى «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يُفرض رمضان»؟ وكذلك ما عن عائشة أيضاً قالت: كان عاشوراء يصام قبل رمضان، فلما نزل رمضان من شاء صام ومن شاء أفطر<sup>١</sup>.  
وعنها قالت: كان رسول الله أمر بصيام عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر<sup>٢</sup> وكأنه أمر بالصيام فقط ولم يصومه.

\* \* \*

وهناك خبر آخر عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على منبر يوم عاشوراء عام حج<sup>٣</sup> يقول: يا أهل المدينة، أين علماءكم؟ سمعت رسول الله يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر<sup>٤</sup>.

فهذا يتضمن تنكراً لصيام قريش في الجاهلية، ولصيام اليهود كذلك، وينص من أول يوم على الندب والاستحباب دون الوجوب. ولكن يلاحظ عليه أمران:

الأول: أنه يتضمن اعترافاً بعدم علم علماء أهل المدينة بالحديث عن رسول الله! الثاني: أفكان هذا قبل الهجرة؟ أم بعدها؟ أم بعد فتح مكة؟ فمتى سمعه معاوية؟ وإذا كان لليهود تقويم عبري يخصهم يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ العربي القمري، وإذا لم يكن يوم عاشوراء يوم نجاة موسى عليه السلام وبني إسرائيل من فرعون، فلا يصح ما جاء في بعض كتب الحديث مما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أخبار في عاشوراء تتضمن أنه يوم نجاة موسى وبني إسرائيل من الفراعنة فهو يوم عيد الخلاص، وإلى جانبه ذكريات أخرى منها: أنه يوم خلق الأرض والجنة وآدم عليه السلام فهو عيد الخلق، وهو يوم نجاة نوح من الغرق، ونجاة إبراهيم من الحرق..

هذا، وقد روى الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، بسنده عن نصر بن مزاحم المنقري (م ٢١٢ هـ) عن عمر بن سعد، عن أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرسان، عن جبلة المكية قالت: سمعت ميثم التمار يقول: «والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر مضيئ منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة. (٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.

## سؤال وجواب

ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم بذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

قالت جبلة: فقلت: ياميشم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن علي عليه السلام يوم بركة؟!<sup>(١)</sup>

فبكى ميشم، ثم قال: سيزعمون - بحديث يضعونه - أنه: اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام. وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي. وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل. وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول<sup>(٢)</sup>.

ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود. وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت. وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة. ثم قال ميشم: يا جبلة، إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أن سيدك الحسين قد قتل<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

ثم إن أخبار ابن عباس وأبي موسى الأشعري دلت على: أن رسول الله سأل اليهود عن صومهم ذلك اليوم ثم قال: أنا - أو - نحن أحق - أو - أولي منكم - أو - منهم، فصامه وأمر بصيامه. وليس فيها أنه أفاد من وحي الله أو من علمه الإلهي، أي أنه اعتمد على ما قاله اليهود هنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة﴾<sup>(٤)</sup> فهذا سؤالان: أولاً: هل يجوز الفقهاء أن تتأسى برسول الله - على زعم هذه الأخبار - فنعتمد على نقول أهل الكتاب اليهود والنصارى والمجوس عن أنبيائهم؟! ثانياً: إن نصوص هذه الأخبار تعلل صوم الرسول وأمره بصوم ذلك اليوم بأننا أحق أو

(١) وهذا يتفق مع ظاهر أخبار ابن عباس وأبي موسى الأشعري في أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة - وقدمها في ربيع الأول بلا خلاف - رأى اليهود بصومون اليوم ويقولون إنه يوم نجاه موسى وبني إسرائيل من فرعون والغرق. لا يوم عاشوراء. (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١٠ ط بيروت.

(٣) الأحزاب: ٢١.

## سؤال وجواب

أولئ من اليهود بموسى عليه السلام، فهو حكمٌ منصوص العلة كما يقول الفقهاء، وقياس الحكم المنصوص على علته يجوزُه حتى من لا يجوزُ سائر أقسام القياس.. فهل يجوزُ لنا أن نأخذ بقياس هذه العلة المنصوصة هنا فنقول: كل ما كان في الشرائع السابقة فنحن أحقُّ أو أولئ به، فنفعله؟! وإلا، فما وجه الفرق؟

\*\*\*

نعم، في سبيل إطفاء شعلة عاشوراء، ودفن قضية كربلاء، لجأوا إلى اختلاق أخبار جعلوها أحاديث ونسبوها إلى جدِّ الحسين عليهم السلام، ولكنَّ عدم التنسيق في وسائل الإعلام لهؤلاء الحكَّام جعلها متخالفة متضاربة كما تبين أعلاه.

أجل، أتوا بهذه الأخبار العظيمة والكثيرة العدد بُغية دفن قضية كربلاء، قضية ما أعظمها وأعظم خطرها على الإسلام: ولكن فشلوا، وبقيت قضية كربلاء على ما هي عليه، استحلال دم الحسين بن علي عليهما السلام.

وقد أصاب الشريف الرضي رضي الله عنه في وصف هذا الأمر إذ قال:

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| كانت مآتم بالعراق تعدّها  | أموية بالشام من أعيادها   |
| جعلت رسول الله من خصمائها | فلبس ما أذخرت ليوم معادها |
| نسل النبي على صعب مطيها   | ودم النبي على رؤوس صيادها |

بل قال غير المعترف بإمامة الحسين عليه السلام، أبو العلاء المعري:

|                            |                        |
|----------------------------|------------------------|
| وعلى الأفق من دماء الشهيد  | ين علي ونجله شاهدان    |
| فهما في أواخر الليل فجرا   | ن وفي أولياته شفقان    |
| ثبتا في قميصه ليجيئا الحشر | مستعدياً إلى الرحمان   |
| بابن مستعرض الصفوف ببدر    | ومبيد الأحزاب من غطفان |



(١) ديوان الشريف الرضي، حرف الدال، والدر النضيد، كذلك أيضاً.

## «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقَّصَهُ عَلَيْكَ»

هود: ١٠٠

نافذة نطل منها على ما يصلنا بطرق مختلفة من أخبار  
وتقارير عن أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت في أنحاء  
العالم.  
«التحرير»

بلادنا المظلومين نرفع لسماحتكم هذا  
الدعاء العاجل بعد أن تلقينا نبأ مفاده أن  
اثنين من شبابنا الجامعيين اللذين  
اعتقلهما السلطات السعودية وهما  
«الملا تركي أحمد التركي ٣٤ عاماً»  
و«عبد الخالق الجنبى ٢٦ عاماً، وهو  
معوق» معرضان لتلقيق تهمة فذرة  
ضدهما تؤدي إلى قتلها ألا وهي (سبُّ  
الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما  
فعلته «الحكومة السعودية» من قبل مع  
الشاب المظلوم الشهيد «صادق عبد  
الكريم مال الله» رحمه الله.

وكان سبب اعتقالهما أنهما ناقشا  
استاذاً جامعياً في جامعة «الملك عبد  
العزیز» بمدينة جدة حول كتاب «الثقافة  
الاسلامية» المقرر تدريسه في السنة

«الجمهورية الاسلامية في

ایران»:



المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام:  
□ رفع طلبة بلاد الحرمين الشريفين  
الدارسون في الحوزة العلمية بقم  
المقدسة نداءً إلى الأمين العام للمجمع  
العالمي لأهل البيت عليهم السلام سماحة  
الشيخ محمد علي التسخيري هذا نصه :-

بسم الله الرحمن الرحيم  
الأمين العام للمجمع العالمي لأهل  
البيت عليهم السلام (دام ظله).  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،  
وبعد ...

فاننا الطلبة الموقعين أدناه من بلاد  
الحرمين الشريفين الدارسين في الحوزة  
العلمية بقم المقدسة، وبالنيابة عن شيعة



## من أنباء القرى

الرابعة لكلية الآداب والذي تناول الشيعة ومعتقداتهم بالكثير والخروج عن الاسلام.

ومن هذا المنطق ندعو سماحتكم لما لكم من موقع إسلامي معنوي رفيع يؤهلكم لإبراز هذه الصرخة المكبوتة إلى العالم، الأمر الذي من شأنه ردع السلطات السعودية وإيقافها عند حذرها وإفهامها أن الشيعة في بلاد الحرمين الشريفين هناك من يقف إلى جانبهم دفاعاً عن عقيدة الحق ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

نرفع إليكم ذلك وكلنا أمل ورجاء أن تلبوا نداء مظلوميتنا وتستجيبوا لصرختنا بالضغط على الحكومة السعودية بما ترونه مناسباً.

كما ونشير إلى أن أربعة من العلماء الفضلاء لا يزالون معتقلين منذ ما يقرب من خمس سنين قد يتعرضون لنفس المصير.

وختاماً نسأل الله لكم مديد العمر والصحة والسلامة لإعلاء كلمة الاسلام. الموقعون

\*\*\*

وقد بعث سماحة الأمين العام للمجمع برسالة جوابية جاء فيها:  
الاخوة الأعزة من طلبة العلوم الدينية الحجازيين.  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.  
وبعد:

فقد وصلنا خطابكم بشأن إقدام السلطات السعودية على اعتقال الطالبين الجامعيين الملا تركي أحمد التركي وعبد الخالق الجنبلي بعد إلصاق تهمة ملفقة بحقهما.

والمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ يستنكر بشدة هذه الاعمال العدوانية... ليؤكد لحضراتكم بأنه سوف يقوم بكل ما من شأنه الوقوف بوجه هذه الاعمال الشنيعة دفاعاً عن الحقيقة ووقوفاً إلى جانب المظلومين من أتباع أهل البيت عليهم السلام في بلاد الحرمين الشريفين.

والله تعالى نسأل أن ينقذ إخواننا من كل سوء إنه السميع المجيب.

محمد على التسخيري

الامين العام للمجمع العالمي

لأهل البيت عليهم السلام

\*\*\*

وقد أصدر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بياناً حول الأعمال الأخيرة التي اقترفتها السلطات في بلاد الحرمين الشريفين ضد أتباع أهل البيت هناك وهذا نصه:

يدين المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام عملية اعدام أحد الشباب السعوديين وسجن شخصين آخرين من قبل النظام السعودي وذلك بتهمة الولاء لمذهب أهل البيت عليهم السلام.  
إن المجمع العالمي لأهل البيت

## من أنباء القرى

الاحزاب السياسية.

أما أتباع أهل البيت عليهم السلام فهم يلتقون حول محور العلماء لحل مشاكلهم الدينية والاجتماعية التي يواجهونها. ولذلك تمارس بعض الحكومات في المنطقة ضغوطاً عليهم وبالأخص الشباب منهم، كمنعهم من الدخول في الجامعات والمراكز الحساسة بالرغم من الكفاءات والامتيازات العالية التي يتمتعون بها.

وقد أسست في الآونة الأخيرة حوزات علمية لأتباع أهل البيت عليهم السلام في بعض المناطق. إضافة إلى مجموعة كبيرة من طلاب الحوزات يواصلون دراستهم في قم والتجف الأشرف.

وفي نهاية حديثه أعرب عن أمله في أن تمتد الحريات السياسية إلى كافة دول المنطقة ليمارس المسلمون دورهم الريادي في الأمة.

...

لبنان:

□ أفادت صحيفة الديار أن اللبنانيين القاطنين في باريس تسلموا رسائل ألصقت عليها طوابع بريدية تحمل عنوان «الجمهورية الإسلامية اللبنانية». وقد نشرت الجريدة صوراً لتلك الطوابع وهي تحمل مشاهد من السفارة الأمريكية المفجرة في بيروت عام ١٩٧٣م، وصوراً للامام الخميني الراحل

يعترض على هذه الممارسات من قبل السلطات السعودية ويعتبرها مدعاة لإثارة الخلافات بين المسلمين واشعال نار الفتنة بينهم وتؤدي إلى إراقة دماء المسلمين والاستهانة بحقوق البشر.

إن هذا المجمع يطالب جميع الجمعيات الانسانية والمراكز الاسلامية والخيرية في شتى أنحاء العالم أن يستنكروا ويدنوا هذه الأعمال اللاإنسانية الأخيرة التي قامت بها السلطات السعودية.

...

□ حديث لأحد علماء الخليج المجاهدين:

قال أحد العلماء المجاهدين الخليجيين في لقائه مع المسؤولين في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام: إن رغبة الشباب الخليجي في الاسلام أمر محسوس، ولذا قام المستعمرون بمحاولات تحريفية في هذا المجال منها ترويج المخدرات والفساد الاخلاقي وأمثال ذلك كما تسعى الوهابية إلى تعميق الخلاف بين المذاهب الاسلامية، لكنهم لم يحرزوا أي تقدم في هذا المضمار.

وقال: على أثر الضغوط الموجهة من قبل المنظمات العالمية شهدت الاجواء السياسية في المنطقة انفتاحاً ملموساً، وقد استغلّت الوهابية وعلمائها الفرصة فبادروا إلى تأسيس

## من أنباء القري

قدس سره. في الزاوية العليا من هذه الطوابع، وكتبت في أسفل الطوابع هذه العبارة : «انهدام وكر التجسس الامريكي».

وأما مضمون الرسائل فإنها تنبيء عن كتابة أولية لدستور جمهورية لبنان الاسلامية. وقد طلب كاتبوا الرسائل أن تؤسس ميليشيات إسلامية لغرض الدفاع عن الجمهورية الآتية وقيمها الخلقية.

\*\*\*

□ أفادت وكالة أنباء الشرق الأوسط أن الغرب قرر إنهاء المقاومة الاسلامية في جنوب لبنان التي تنشط تحت عنوان «حزب الله» ضد الهجمات الوحشية للكيان الصهيوني.

ونسبت هذه الوكالة اللندنية إلى مصادر غربية في بيروت قولها : إن الغرب يحاول إغلاق النافذة الاسلامية في جنوب لبنان نظراً لتردي الأوضاع في المنطقة وخطورتها على المصالح الغربية، مدعية أنها تجاوزت حدود الأزمة الاقليمية. وأضافت القول : إن الغرب يهدف إلى تحجيم أي دور يمكن أن تلعبه القوى الاسلامية في المنطقة، وتأثيراتها على موازنة القوى في لبنان من خلال إغلاق هذه النافذة الاسلامية المطلّة على إسرائيل.

وقد أثار النشاط الاسلامي وتصاعد حركة المقاومة الاسلامية على الساحة

اللبنانية اهتمام الدوائر الاستعمارية الغربية منذ زمن طويل، إلا أن هناك عوامل طارئة دفعت الغرب إلى الاسراع في اتخاذ قرار الإنهاء للنشاط الاسلامي ودوره المؤثر في معارضة مسيرة السلام في الشرق الاوسط.

وأضافت : إن من تلك العوامل تحوّل «حزب الله» إلى مرتكز للحركات الاصولية (كما تسميه الدوائر الاستعمارية وعملاؤها).

وقالت : إن سيطرة «حزب الله» الكاملة على جنوب لبنان أخلّت بالتوازن في القوى في المنطقة الأمر الذي يزيد من حدة الأزمة وخاصة بعد تعزيز العلاقات والتعاون بين حزب الله وحركة حماس.

وأضافت : إن أمريكا تسعى أولاً إلى تشجيع الحكومة اللبنانية على إرسال جيشها إلى الجنوب ونزع الاسلحة من مختلف تنظيمات المقاومة الاسلامية بما فيها حزب الله تحقيقاً لهدفها. ذلك أن هذه الاسلحة لا تستخدم إلا ضد الصهاينة وعملائهم، وتحاول ثانياً اقناع السوريين بقطع علاقتهم مع حزب الله والحيلولة دون وصول السلاح إليه بأي شكل من الاشكال.

\*\*\*

□ تحدث تري أندرسون آخر رهينة من الرهائن الامريكيين في لبنان عن ذكرياته في الأسر الذي استمر مدة ٢٤٥٥ يوماً

## من أنباء القرى

وقال : إن بعض المكلفين بحراسته كانوا يتعاملون معه بعطف وحنان ويطلبون منه أن يعلمهم اللغة الانجليزية، كما إنهم أهدوا له ساعة يدوية يوم إطلاق سراحه وياقات من الورد لعائلته.

وأكد أنه لم يتمكن من التعرف على الشخصيات الحقيقية لمحتجزيه، وأنه يجب تفهم معاناتهم «أتباع أهل البيت»، وإن كان التعرف عليهم لا يعني بالضرورة تأييد أعمالهم، وأضاف : أنه يحس بتغير معنوي كبير في شخصيته بعد الأسر عنها قبل احتجازه كرهينة. ويرجو أنه قد تحول إلى إنسان آخر أفضل في حياته.

\*\*\*

□ أقدم عدد من ضباط الدائرة الثانية (الاستخبارات العسكرية) في الجيش اللبناني مؤخراً وبالتعاون مع مدير القناة السابعة في التلفزيون اللبناني الحكومي على جمع كل الأفلام والصور المتعلقة باحتفالات وتجمعات حزب الله والتي تتضمن صور عناصر وقادة ومسؤولي هذا الحزب ومن ثم نقلها إلى مراكز الدائرة المذكورة.

جدير بالذكر أن أعداء الاسلام الألداء لن ينسوا الضربات الموجعة التي تلقوها من حزب الله خلال الاعوام الماضية، لذا فانهم يتحنون الفرص من خلال تطبيق مشروع الطائف وخلق أجواء سياسية جديدة للانتقام من

المسلمين وأتباع أهل البيت في لبنان وخصوصاً حزب الله. إن المراحل القادمة ستكون حيوية وحساسة جداً، وإن تغافل المسلمون عن هذه التحركات سيجعلهم عرضة لضربات الأعداء وثأر الحاقدين.

\*\*\*

□ تقوم الاحزاب اللبنانية والتيارات المعارضة بإعادة تقويم مواقفها، وقال أحد الزعماء المعارضين في أعقاب اجتماع لهم : إنهم مستعدون لفتح أبواب الحوار على مصراعيها لانقاذ الوطن وتصحيح الاخطاء وإعادة التوازن والاستقرار السياسي إلى البلد.

وتقول المصادر السياسية : إن المعارضين وخاصة القيادة المارونية لم تفهم التغيرات السياسية العالمية والاقليمية والواقع الجديد بشكل دقيق. وإن نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة وردود الفعل الدولية إزاءها تؤكد مصداقية هذه النظرة.

\*\*\*

مصر :

□ قال المفتي المصري سيد محمد الطنطاوي في مقابلة صحفية مع جريدة الحياة : إن المسلمين سنة وشيعة مؤمنون بالله ونبیه، وإن اختلاف الآراء لا يقلل من درجة إيمان الأشخاص شريطة أن يتعهد الطرفان بتجليل صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

## من أنباء القرى

ويجب التحرز عن التفكير الذي يسود عامة الناس وجهلهم ألا وهو اتهام كل فرقة الفرقة الثانية بالزندقة والالحاد. والواقع أننا نحب علياً وأولاده، وكذلك صحابة النبي. فنحن نقدر موقف كل واحد منهم بقدر إثاره وجهاده في سبيل نصرته الاسلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وهم جميعاً نصرنا الرسول، وإن كانت نصرتهم تتفاوت من حيث المرتبة كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد» وقاتلوا وكلاً وعدّ الله الحسنى».

وأضاف : نحن نكرم أهل البيت تكريماً خاصاً لاتسابهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن حبهم على حسب رأينا هو حب للنبي، ولذا نلاحظ إن للمساجد المنسوبة إليهم مكانتها الخاصة عند المصريين، كمسجد الامام الحسين عليه السلام ومقام السيّدة زينب ومقام السيّدة نفيسة. كما أن المذهب الشيعي يدرّس في الأزهر كسائر المذاهب الاسلامية.

وقال المفتي : إن اسم الشيعة يطلق على المسلمين الذين يحبون علياً لا غير، والحال إن هذه الكلمة هي بمعنى المحبين والاتباع، ولا تأتي بمعنى

الالتفاف حول مبدأ معين.

وأردف قائلاً : كيف يمكن للمسلم أن لا يحب صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعظمهم؟ ونحن نقول

دوماً : الحمد لله الذي أنعم علينا بالاسلام، وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وإن ما حدث في صدر الاسلام هو خير شاهد على ضرورة الاجتماع في الامور والتحذر من الاختلاف.

وإذا كانت الوحدة الاسلامية والمصالح المشتركة للمسلمين هي الاساس في تصرفات الاصحاب، فلماذا لا نكون نحن كذلك؟

\*\*\*

تركيا :

⊞ أطروحة تركية حول آذربيجان وأرمينيا :

تحدثت صحيفة الحرية التركية عن أطروحة تتضمن تحويل منطقة «زاتك زور» - وهي المنطقة الحدودية بين نخجوان وآذربيجان، وتحدها من الجنوب إيران وأرمينيا - إلى آذربيجان، بينما تحصل أرمينيا على منطقة «لاجين» من قره باغ.

وأضافت الصحيفة : إن هذه الاطروحة حظيت بقبول وموافقة وزير

## من أنباء القرى

الانفصال.

ومن الجدير بالذكر أن غلجيت من المناطق الحساسة في كشمير، حيث يسكنها قرابة المائة ألف نسمة يشكل المسلمون نسبة ٩٠٪ منهم.

وقد أعلنت هذه المنطقة محرمة على أثر السياسة العنصرية التي تطبقها الحكومة المركزية في هذه المنطقة. ويعتبر البوذيتون من الد أعداء المسلمين، وقد اتصلوا أخيراً بالحزب المتطرف للهنود (B.J.P) وبدأوا في محاربة منظمة تحرير كشمير، مطالبين الحكومة المركزية بفصل المناطق المذكورة عن كشمير لتصبح تحت إدارتهم وسيطرتهم المباشرة.

\*\*\*

بنغلادش:

⊞ جولة في تأريخ حركة التزكية البنغالية:

وهي حركة ثقافية دينية سائرة على نهج ولاية الفقيه، وقد أسست عام ١٩٨٩ م، وكان تأسيسها حصيلة نشاطات وجهود مكثفة بذلها طلبة العلوم الدينية البنغاليون من أتباع أهل البيت طوال عدة أعوام، وتتمحور أهداف هذه الحركة حول تطبيق الاسلام المحمدي الاصيل في بنغلادش.

وللتعرف الكامل على هذه الحركة نستعرض المراحل الأربعة من تأريخها خلال الاعوام الستة عشر الماضية.

الخارجية الامريكية والأمين العام لحلف شمال الاطلسي (الناتو) لأن ذلك يمنع من توسع الصحوة الاسلامية في هذه المناطق.

\*\*\*

الباكستان:

⊞ ألقى القبض في الباكستان على اثنين من المتهمين بقتل صادق كنجي المستشار الثقافي الايراني في لاهور مع سبعة أشخاص كانوا مختفين في أحد البيوت، وقد حوضر البيت وألقي القبض عليهم جميعاً. وكان في حوزتهم مقادير من الأسلحة، وقوائم تحتوي على أسماء تسعة عشر شخصاً من أتباع أهل البيت كانوا مستهدين من قبل هذه المجموعة.

وقد حضر في المحكمة اثنان ممن أدرجت أسماؤهم في القائمة كشهود في قضية مقتل صادق كنجي.

\*\*\*

كشمير:

⊞ تحاول الحكومة الهندية وبمساعدة البوذيين الساكنين في كشمير فصل مناطق «لاداك» و«غلجيت» و«جمو» عن كشمير، وذلك تحت عنوان المناطق الجبلية الخاصة. حتى تمنع التحاق أهالي هذه المناطق بمنظمة تحرير كشمير.

وإن الجيش الهندي بصدد تسليح وتدريب البوذيين للقيام بعملية

## من أنباء القرئ

يطلق عليه اسم «مظلة أشير»، وتوحدت نشاطات الجانبين. وقد تمكن أعضاء المؤسسة من ضم الكثير من الشباب والمثقفين إلى الحزب، وذلك من خلال إجراء الاتصالات الفردية والجماعية. ثم اتسعت نشاطاتهم تدريجاً لتتخطى العاصمة دكا إلى باقي أنحاء البلاد.

وقد حققت مؤسسة خادم الاسلام بعد اتساع نشاطاتها اقتحامها للساحة السياسية لتؤكد للجميع مبدأ عدم انفصال الدين عن السياسة، ولتبيّن للناس أن الحكومة الاسلامية هي أحد أهم الأهداف الدينية.

لقد كان انتصار الثورة الاسلامية في إيران عام ١٩٧٩ م بارقة أمل ومنعطفاً لمرحلة جديدة يمرّون بها، حيث أعلنوا ترحيهم وتأييدهم للثورة الاسلامية وقائدها الامام الخميني الراحل قدس سره.

ثالثاً : وقد أدّت النشاطات السريّة والتحركات داخل التنظيم وتأثيراتها على كبار أعضاء الحزب إلى حدوث انشقاق داخل الحزب لم يشهد له مثيلاً في تأريخه، ثم أعلن انقسام التنظيم رسمياً. وبعد مصادقة أعضاء التنظيم تمّ تغيير اسمه إلى حزب الله في بنغلادش. وقد قام أعضاء حزب الله بنشاطات لا يبطال مفعول الدعايات السامة التي كان يبثها أعداء الثورة الاسلامية. وتمكّنوا

أولاً : مؤسسة خادم الاسلام : تم تأسيس هذه المؤسسة في مدينة دكا العاصمة عام ١٩٧٦ م، وتنامت نشاطات أعضائها في المجتمع وخاصة بين الشباب، حيث بدأت خطوتها الاولى التي حظيت بتأييد الأهالي وترحيبهم بتأسيس مكتبة إسلامية في مسجد المنطقة وذلك بالتعاون مع الجهات الخيريّة.

وكانت المؤسسة ترعى البرامج الثقافية الاسلامية والاحتفالات وبرامج الوعظ والارشاد في الاعياد والمناسبات الاسلامية المختلفة التي يُلقي فيها العلماء والمفكرون والمثقفون خطبهم وكلماتهم.

وقد أتاحت التغييرات السياسية التي طرأت على الساحة في بنغلادش عام ١٩٧٧ م إثر الانقلاب العسكري الذي أطاح بالنظام الدكتاتوري لحكومة مجيب الرحمن عام ١٩٧٥ م بعض الحرية للنشاطات الاسلامية مما أدّى إلى بروز حزب الجماعة الاسلامية المحضور منذ استقلال البلاد عن باكستان ودخوله المعترك السياسي بعد فترة من العمل السريّ.

ثانياً : ونظراً لكون الجماعة الاسلامية هي الحزب الاسلامي الوحيد على الساحة البنغالية فقد قررت مؤسسة خادم الاسلام الانضمام إلى تنظيم الطلبة التابع للحزب والذي كان

## من أنباء القري

من إقامة علاقات وثيقة مع علماء الدين البنغاليين البارزين وذوي النفوذ الواسع في بنغلادش وقد أدى نفوذ بعضهم إلى تقريب الآراء بين المذاهب الإسلامية في بنغلادش والقضاء على الخلافات القائمة بينهم.

رابعا : ومن خلال إدراك العناصر القيادية لحزب الله ضرورة تطوير الحركة الإسلامية في بنغلادش تم حلّ الحزب بعد أن تأكد ضرورة وجود زعامة واعية وصالحة من علماء الدين، ولهذا قرروا التوجه إلى الحوزات العلمية والدراسة فيها. وبحلول عام ١٩٨٩ م كانت الأرضية ممهّدة بشكل كامل لقيام حركة التزكية.

وقد نهجت هذه الحركة منهج الحكمة والموعظة الحسنة في الأقوال والأفعال والتصرفات للحيلولة دون حدوث الحزازات وإثارة النعرات الطائفية. وقد تمكنت وفق هذا النهج القويم من الاستمرار في دورها دون التعرض إلى الانتكاسات والانعكاسات السلبية، وتمكنت خلال ثلاثة أعوام من طرح نفسها على مستوى البلاد كأهم حركة إسلامية أصيلة تلتزم نهج ولاية الفقيه.

وقد قامت هذه الحركة بتأسيس مراكز ثقافية ومكتبات ومدّ جسور العلاقات الوثيقة مع أساتذة وخريجي وطلبة الجامعات والمثقفين والصحفيين

وعلماء الدين ومشايخ الطرق ومن ثم التأثير على توجهاتهم.

وكان لهذه الحركة دور ملحوظ في مجال النشر، حيث قامت بإحدى مؤسسات النشر التابعة لها وبفترة زمنية قياسية بطبع وإصدار الكثير من الكتب القيّمة باللغة البنغالية. كما ترعى الحركة شؤون الاطفال والفتيان من خلال مؤسسة تابعة لها مخصصة لرعاية الاطفال والفتيان على المستوى الوطني. وقد قام طلبة العلوم الدينية البنغاليون بوضع برامج عديدة لتطوير الحركة الإسلامية الصاعدة في بنغلادش منها :

- ١- اختيار قسم من الطلبة المرموقين لمواصلة دراستهم الدينية خارج البلاد لسد النقص الحاصل في علماء الدين.
- ٢- تأسيس حوزة علمية لأتباع أهل البيت، ومؤسسة لإدارة شؤونهم ورعاية مصالحهم.
- ٣- ترجمة وطبع الكتب العلمية الإسلامية باللغة البنغالية ونشرها لسد الفراغ العلمي والثقافي.
- ٤- تأمين الكتب الدراسية والمناهج التربوية للمدارس الدينية في البلاد.

\*\*\*

آذربيجان :

□ الإسلام والمسيحية في الصراع الأرمني-الأذربيجاني.  
تعتقد صحيفة التايمز البريطانية أن



## من أنباء القرى

وتضيف الصحيفة القول : إن من المحتمل أن تنجرف البلدان الاسلامية والنصرانية في المنطقة وكذلك البلدان التي تضم الأقليات الأرمنية إلى هذا الصراع. وكمثال على ذلك أشارت الصحيفة إلى استبدال رئيس جمهورية أذربيجان ووصول القوميين المتطرفين إلى السلطة، وإلى اتساع نفوذ المسلمين في طاجكستان وبقية المناطق التي يسكنها المسلمون في روسيا.

ويدو أن الصحافة الانجليزية تحاول من خلال طرح مثل هذه القضايا إعداد الرأي العام الانجليزي للمواقف البريطانية الاوربية المشتركة المقبلة.

\*\*\*

أرمينيا :

⊠ كتبت صحيفة الأنديندنت تقول : لقد أشار العقيد غريغور غريغوريان الذي احتل المرتفعات الحدودية في نخجوان وتركيا إلى أن المناطق الحدودية التركية الايرانية النخجوانية وسلسلة جبال أرارات هي أرض أرمينية سواء من الناحية القانونية أو التاريخية، ومعرباً عن أسفه لانفصال هذه المناطق عن إيروان.

وتضيف هذه الصحيفة القول: إن الأرمن يعتبرون أنفسهم المحور المسيحي في العالم الاسلامي، ولا بد من تكوين كيان مستقل لهم على غرار الكيان الصهيوني في اسرائيل.

الصدمات العسكرية بين أرمينيا وأذربيجان والتي يثيرها الأرمن قد تؤدي إلى نشوب حرب دينية بين المسلمين والمسيحيين لا تقتصر آثارها على البلدان المجاورة فقط بل إنها قد تمتد إلى بقية الدول في المنطقة.

وأشارت الصحيفة اللندنية في مقالها الافتتاحي المفصل الذي ضمته خارطة لمنطقة القفقاز والمناطق المجاورة إلى اتساع التعدّيات الدينية بين الأرمن والأذريين، معتبرة ذلك تطوراً خطيراً في النزاع الحدودي بين الجانيين.

وتدعي الصحيفة إن كنيسة مدينة «شوشا» قد حوّلت إلى مستودع للسلاح قبل سقوطها بيد الأرمن. فيما أصبح مسجدها الآن خاضعاً لاحتلال وتصرف المقاتلين الأرمن الذين أمطروه بوابل من نيران أسلحتهم مما أدى إلى تضرر منائره.

وكانت شبكة تلفزيون أل «بي، بي، سي» قد أشارت في معرض تقريرها عن سقوط مدينتي «شوشا» و«لاجين» بيد القوات الأرمينية إلى استفحال العداء الديني بين الجانيين. وعرضت في تقريرها المصور جانباً من مقابلة تلفزيونية مع جندي أرميني يحمل بيده قلادة مزينة بصورة للإمام علي عليه السلام أعلن بأنه حصل عليها بعد أن حرّز رأس جندي آذري.

## من أنباء القرى

زامبيا:

▣ تبدو النتائج الجيدة لنشاط المركز الاسلامي في زامبيا واضحة بعد مضي سنتين على تأسيسه. فالمركز يطلب من الشباب الملتحقين بصفوف أتباع أهل البيت أن يعتمدوا أسلوب الحكمة في عملهم، وذلك بسبب الدعايات المسمومة التي تثار ضد الاسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقد قام المركز بخطوات عملية ناجحة في سبيل الدعوة إلى الاسلام وبيان معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وكان حصيلة هذه الجهود المثمرة أن أسلم بعض النصارى والتحقوا بأتباع أهل البيت، وهم من أصحاب الاختصاص والاطلاع بالمذاهب الاسلامية الاخرى كما أن للبعض منهم شهادات عالية من جامعات مختلفة.

\*\*\*

بلغاريا:

▣ يشكل أتباع أهل البيت جزءاً من المجتمع الاسلامي في بلغاريا، والتقارير مختلفة في تقدير عددهم ونسبته إلى المجموع الكلي لسكان بلغاريا.

فقد جاء في أحد التقارير أن عدد أتباع أهل البيت في بلغاريا يقرب من خمسين ألف نسمة. بينما يقدر تقرير آخر عدد المسلمين في بلغاريا بميلوني مسلم منهم مائة وثلاثون ألف شخص

\*\*\*

طاجكستان:

▣ لقد أدّى انفصال طاجكستان وابتعادها عن باقي البلاد الاسلامية وطغيان الحكم الماركسي عليها مدة سبعين عاماً إلى جعل المسلمين بما فيهم أتباع أهل البيت في ذلك البلد في وضع خاص، وقد تغيرت الكثير من آدابهم الاجتماعية وتقاليدهم الحياتية المتعلقة بهم.

وإن أغلب أتباع أهل البيت في طاجكستان يسكنون «بدخشان». وهي منطقة جبلية وعرة تسببت في زيادة عزلتهم عن العالم الاسلامي والمراكز الاسلامية، والذين يسكنون مدينة «دوشنبه» هم غالباً من أهالي بدخشان. وعلى الرغم من المساحة الكبيرة التي تشغلها بدخشان حيث تشكل ٤٦٪ من مجموع الأراضي الطاجكستانية إلا أنه لا يسكنها إلا نسبة قليلة من مجموع السكان، حيث يقدر عددهم بمائتي ألف نسمة. بينما يسكن حوالي مائة ألف نسمة منهم في دوشنبه وسائر المدن الطاجكستانية.

والعلاقة بين الطوائف الاسلامية علاقة وطيدة حيث أنهم يتفقون في الكثير من الممارسات والشعائر والعادات والآداب الاجتماعية.

\*\*\*

## من أنباء القرئ

من أتباع أهل البيت. وعلى هذا الأساس فلا يمكن حصر الرقم التقريبي للواقع. ومما يزيد في عدم إمكانية حصر العدد التقريبي لهم هو عدم تركّزهم في منطقة محددة. علماً أن منطقة «بابلونا» الواقعة شرقي البلاد هي المركز الرئيسي لأتباع أهل البيت. ونظراً لسيطرة النظام الشيوعي السابق على هذه البلاد فإن أئمة الجماعة في المناطق التي يقطنها أتباع أهل البيت كانوا ملزمين بالتبعية للمفتي الأعظم لمسلمي بلغاريا، ولا زالت هذه الطريقة مستمرة إلى يومنا هذا.

يقول أحد أئمة الجماعة البلغاريين: إن معاملة أتباع أهل البيت في بلغاريا هي الأسوأ من بين المعاملات أيام الحكومة الشيوعية. ولو أمكن الإحصاء الدقيق لتبيّن أن التعذيب والسجن والنفي والقتل كان يطالهم أكثر من غيرهم.

كما أن العامل الأساسي في تأخيرهم الثقافي والعلمي هو المواجهة الشديدة التي كانوا يعانونها من قبل الحكومة. وقد هدم مسجدهم من قبل النظام الشيوعي قبل خمسة وأربعين عاماً. كما أن جلاوزة النظام عمدوا إلى إغلاق المساجد، ومحو الآثار والكتب الإسلامية، وأسسوا مراكز مختلفة لإفساد الشباب المسلم كالسينمات والنوادي والملاهي. ولم تستثن في هذا

المجال حتى المناطق النائية. ويعاني أتباع أهل البيت من تردّي الأوضاع الاقتصادية مما جعلهم يحترفون الزراعة من أجل توفير المستوى الأدنى لمعيشتهم.

وقد انتجت التغيرات السياسية في بلغاريا الحرية السياسية النسبية للشعب البلغاري. وبالإمكان أن تستغل هذه الفرصة في مجال التبليغ الديني ورفع المستوى العلمي والثقافي الإسلامي لدى المسلمين البلغاريين وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

\*\*\*

### الارجنتيين:

@ يشكل اللبنانيون والسوريون غالبية المسلمين في الأرجنتين، وكانت حرفةهم الأصلية هي التجارة. ثم توجهوا إلى الأعمال الاجتماعية والسياسية.

إن ازدهار أوضاع المسلمين في الأرجنتين يرجع إلى العقد الخامس من القرن الحالي أيام حكومة برون الذي كان من المتحيزين للقومية العربية والمبغضين للصهيونية والامبريالية.

إن المواطنين الأكيدة تجاه الإسلام التي يحملها مليون ونصف المليون مسلم في الأرجنتين تقتضي القيام بدراسة موسّعة في مجال التبليغ الديني سيّما في أوساط المستضعفين منهم. أما عن تجمعات أتباع أهل البيت

## من أنباء القرى

فهي كالآتي.

١- الجمعية الاسلامية في «فلورس» :

يبلغ عدد أعضاء هذه الجمعية قرابة ٧٠٠ شخص لبنانيو الأصل، إلا أنها تفتقر إلى دعم ثقافي ومادي ومعنوي. وقد قام أحد أعضائها البارزين بتأسيس دار لنشر الكتب الاسلامية، وكان لها التأثير الفاعل على الجو الثقافي هناك. كما قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الاسبانية بحيث تعد ترجمته أصح وأمتن الترجمات الموجودة للقرآن في أمريكا الجنوبية باللغة الاسبانية بشكل عام. وله عشرات من الرسائل والكتب الاسلامية التي ألّفها حول الاسلام والحضارة الاسبانية وحضارة المسلمين في الاندلس. ويعدّ من الخطباء الاسلاميين الكبار.

٢- الجمعية الإسلامية العربية الاجنبية :

كانت هذه الجمعية تحمل اسم جمعية الشباب العربي الارجنتيني، وكانت هي المركز الوحيد الذي يرعى الشباب العرب من مسلمين ومسيحيين. وكانوا يمارسون فيه النشاطات المتعارفة في المجتمع الغربي، إلا أنها تحجّمت بفعل النشاط الاسلامي وتأثيره على الأوساط الاجتماعية للمسلمين هناك.

وللجمعية مدرسة ابتدائية تابعة لها تدرس فيها المناهج الرسمية للمدارس الارجنتينية إلى جانب الدروس الاسلامية، كما يتبع لهذه الجمعية مركز خاص لنشاط الشباب.

٣- جمعية الخدمات المتبادلة :

وتقوم بانجاز الخدمات العامة للمسلمين كمراكز المساعدات، وتجهيز ودفن الموتى من المسلمين، وإحداث صالة للتجمعات. وقد تأسست بتاريخ ١٩٨٨ م، ولا تحصل هذه الجمعية على معونات مالية إلا بشكل محدود.

٤- مركز الخدمات الاسلامية :

ويقوم هذا المركز بنشاطات اقتصادية تتعلق بأوضاع المسلمين هناك وطريقة تعاملهم مع الاسواق المحلية. ويعتقد أتباع أهل البيت في مدينة لابلاتا التابعة للعاصمة بوينس آيرس والواقعة على بعد ٥٧ كم عنها مؤتمرات في جامعة المدينة طوال العام الدراسي لمتابعة ومناقشة التطورات الهامة على الصعيد الاسلامي والعالمي.

كما يوجد عدد من المسلمين في مدينة قرطبة التي تبعد مسافة ٧١١ كم عن العاصمة، وهي مدينة قديمة بناها الاسبان وأسموها باسم أحد المدن الاندلسية، وفيها جامعة يبلغ عمرها قرناً واحداً وتعتبر من الجامعات الراقية في الارجنتين ومن ضمن المسلمين هناك مجموعة من أتباع مدرسة أهل البيت. كما وإن لهم وجوداً آخر في مدينة سان ميشل توكومان التي تبعد عن العاصمة مسافة ١٣١١ كم، ولهم مسجد هناك.

\*\*\*

## من أنباء القري

### سريلانكا:

□ يحاول الوهابيون التدخل في الجامعات والمؤسسات التعليمية السريلانكية من خلال تأليف الكتب والمناهج التعليمية والدراسية بهدف تحريف التأريخ الاسلامي وبالخصوص ما يتعلق منه بأهل البيت ومدرستهم المحمدية الأصيلة.

\*\*\*

### فلسطين:

□ أبدى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية «ياسر عرفات» تحسسه الشديد من المساعدات التي تقدّمها الجمهورية الاسلامية الايرانية للمنظمات الثورية الفلسطينية وخصوصاً الاسلامية منها، كحركة المقاومة الاسلامية الفلسطينية (حماس).

جاء ذلك في مجلة فلسطين الثورة الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية في عددها المرقم ٩٠٩، وأضافت: أن الهدف من هذه المساعدات المالية (لما تسميه المجلة بمنظمات التيار الاصولي) هو إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية. وأن هذا الأمر ليس جديداً ولا مستغرباً، فهو الاسلوب نفسه المعتمد في سياسة الجمهورية الاسلامية الايرانية إزاء أكثر من دولة عربية وغير عربية في منطقها وأساسها وهو منطق تصدير الثورة.

هذا في الوقت الذي أبرز فيه «ياسر عرفات» استعداده للاجتماع برئيس وزراء الكيان الصهيوني الغاصب «رايين»، حيث أعلن النائب العربي الاسرائيلي عبد الوهاب الدراوشة أن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد للقاء رئيس الوزراء الاسرائيلي إسحق رايين «فوراً وفي أي مكان».

وأضاف الدراوشة في حديثه لاذاعة الكيان الصهيوني الغاصب من العاصمة التونسية حيث التقى «عرفات» أن الأخير «مقتنع تماماً أن لقاءً على مستوى القمة مع رايين من شأنه أن يعطي دفعا لعملية السلام»، وأن «عرفات حريص على أن يعرف الاسرائيليون أن الفلسطينيين وعلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية يطمحون إلى السلام».

والمثير في الأمر «والمعبر عن ذل الساعين للاستسلام أمام الكيان الصهيوني» إن لقاء الدراوشة بعرفات وإدلائه بهذه التصريحات دفع النائبة عن كتل ليكود «ليمور ليفنانت» إلى توجيه انتقاد شديد للهجة إلى هذا النائب. وأبلغت إذاعة الكيان الصهيوني أنها ستلاحق الدراوشة قضائياً لرفع الحصانة عنه ومحاكمته بناءً على قانون إسرائيلي عام ١٩٨٦ م يحظر على أي مواطن إسرائيلي لقاء ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية.

## العراق

□ لقد كانت الانتفاضة الشعبانية المباركة للشعب العراقي في آذار عام ١٩٩١ م نقطة تحوّل في مسيرة المعارضة الاسلامية العراقية حيث أبرزتها على ساحة الأحداث العراقية والدولية، ونحت بها منحى جديداً من حيث أهميتها ودورها في التأثير الفاعل على الصعيد السياسي.

وقد كان لبروز قوى المعارضة الاسلامية ونشاطها الواسع المدى البعيد والمؤثر الذي دفع الدوائر الاجنبية إلى تنشيط مهمتها في العمل على احتواء هذه الحالة المستجدة ضماناً لمستقبل مصالحها التي تحرص على عدم التفريط بها، وذلك من خلال لعب الدور الحساس في إرساء قواعد النظام المقبل الذي تريد فرض سلطته على العراق.

كما كثفت المعارضة العراقية تحركها على الصعيدين الاقليمي والدولي من أجل تحقيق المزيد من المكاسب التي تصب في صالح قضيتها، وتحقق لها تقدماً على طريق التحرر والخلاص من النظام الطاغوتي المهيمن على مقدرات الشعب العراقي.

وتم خلال الفترة الماضية عقد عدّة مؤتمرات للمعارضة العراقية وفي أماكن مختلفة كان آخرها وأهمها مؤتمر أربيل

الذي عقد على أرض العراق وفي شماله بعد فترة من التحضير والتهيئة الاعلامية اللازمة.

وعقدت دورته الثانية في صلاح الدين يوم الثلاثاء المصادف ٢٧/١٠/١٩٩٢م ولمدة خمسة أيام متوالية حضرها كافة أطراف المعارضة بفئاتها الاسلامية والعلمانية العربية منها والكردية باستثناء حزب البعث العربي الاشتراكي فرع سوريا ونوقشت خلالها جميع القضايا الجوهرية المشتركة للمرحلة الراهنة. وحصلت بعض الضغوط التي تعرّضت لها فصائل المعارضة الاسلامية في القضايا الحساسة التي تُعنى بمستقبل العراق من قبل العلمانيين.

وانبثقت عن المؤتمر لجان أساسية هي:-

- ١- اللجنة السياسية.
- ٢- لجنة الانتفاضة (العسكرية والميدانية).

- ٣- اللجنة الاعلامية.
- ٤- اللجنة الدستورية.
- ٥- لجنة حقوق الانسان.

ويمكن إجمال أهم المواضيع التي عالجها المؤتمر بما يلي:-

- ١- الفدرالية المطروحة من قبل أبرز الحركات الكردية والتي تنعكس آثارها على العراق بأكمله. وقد توصل المؤتمر بعد نقاش طويل إلى حل

## من أنباء القرى

التالية:-

١- التنسيق مع دول الجوار، والعمل على التفاهم على المستوى الاقليمي، والاتفاق على إرسال مندوبين عن المؤتمر للمشاركة في المؤتمر الذي سيعقد بين الجمهورية الاسلامية الايرانية وسوريا والسعودية وتركيا بصفتها الدول الاقليمية المؤثرة على مستقبل العراق وبالعكس.

٢- الاتفاق على إرسال وفد إلى الامم المتحدة يطالب بتوسيع رقعة المنطقة الآمنة في الشمال والجنوب، وانسحاب القوات البرية العراقية من الجنوب لتصبح المنطقة آمنة جواً وبراً كما هو شأن المنطقة الشمالية.

٣- إنشاء صندوق لاغاثة الشعب العراقي مدعوم من قبل الامم المتحدة، بالإضافة إلى مناشدة دول الجوار لفتح حدودها أمام بعثات الاغاثة للاستفادة من هذه المناطق، وطلب العون منها لتقديم المساعدات للشعب العراقي.

هذا مع العلم أن بعض كبار المسؤولين الغربيين قد حضروا المؤتمر وتابعوا جلساته، ومنهم وكيل وزير الخارجية البريطانية. والذي كان سابقاً سفيراً بلده في البحرين.

وبعد إعلان النتائج أبرزت المعارضة الاسلامية موقفها المتحفظ والرافض لبعضها، وكان أبرزها ماصرح به ناطق باسم المجلس الاعلى للثورة الاسلامية

وسط منوط بسقوط صدام وإرادة الشعب العراقي من خلال التصويت الذي سيكون هو الفيصل. على أن تحترم إرادة الشعب الكردي وضمان دوره في النظام السياسي القادم. وتجدر الإشارة إلى تحفظ الاسلاميين على النظام الفدرالي، ولكنهم أقروه من حيث المبدأ لأنه لايتعارض مع نظام الولايات في الحكم الاسلامي.

٢- هوية النظام البديل في العراق، حيث اهتمت اللجنة الدستورية بهذا الموضوع. وكانت أطروحة الاسلاميين أن يكون النظام المستقبلي للعراق مبنياً على أساس أن الدين الاسلامي هو الدين الرسمي للدولة وهو مصدر التشريع الدستوري. ولقي هذا المشروع رفضاً من الاطراف العلمانية التي وافقت على فقرته الاولى فقط أي أن «الاسلام هو الدين الرسمي للدولة».

٣- اللجنة الرئاسية التي تبناها المؤتمر بعد جدل طويل دون انتخاب وتصويت، وكانت أسماء أعضائها متوقعة قبل أكثر من شهر، وتضم في عضويتها كلاً من:

١- السيد محمد بحر العلوم ممثلاً للشيعية.

٢- السيد حسن النقيب ممثلاً للسنة.

٣- السيد مسعود البرزاني ممثلاً للأكراد.

وقد أقرت في المؤتمر النقاط

## من أنباء القرى

في العراق جاء فيه:

إن المجلس قد دأب على توحيد جهد المعارضة من خلال مسعاه الجاد وطرحه للرؤى والمشاريع الموصلة إلى الهدف. كما أعلن أن اللجنة الثلاثية المنبثقة عن مؤتمر أربيل تريد التقسيم القومي للعراق الذي يعتبر تضييعاً لحقوق سائر الاقليات القومية الاخرى.

وضمن اعتراضه على كيفية تقسيم الحصص المقترحة ونسبتها في اللجنة الرئاسية صرح قائلاً: إذا كان المراد من تعيين اللجنة الثلاثية تأمين جميع حقوق العراقيين فهو مرفوض لأن حصة الشيعة في العراق لا تتفق والحجم الطبيعي لعدد هم الذي تتجاوز نسبته ٦٥٪، وإن ذلك ليس من الانصاف في شيء.

وأكد الناطق إن هدف المجلس من الاشتراك في المؤتمر المذكور هو الحفاظ على وحدة المعارضة العراقية وضرورة إدراك ورسم الخطط الكفيلة باسقاط نظام صدام.

\*\*\*

### البوسنة والهرسك:-

إن قضية البوسنة والهرسك تمثل في حقيقتها امتداداً للحروب الصليبية التي كانت تشنها الكنيسة وأتباعها ضد المسلمين. وإن المذابح التي يتعرض لها مسلمو البوسنة والهرسك على أيدي الصرب إنما هي حلقة من حلقات المجازر الدموية التي راح ضحيتها مئات

الآلاف من المسلمين على امتداد تاريخ هذه الحروب.

ففي تعليق لأحد الاذاعات الاوربية أشارت إلى هذا الجانب بقولها إن بلغراد عاصمة الصرب تطوعت «لحماية كل أوروبا من الغزو الاسلامي الوشيك». وقد قتل حتى الآن قرابة ١٠٠٠٠٠ مسلم منهم ١٠٠٠٠ طفل بريء. ولم ينبر المدافعون عن حقوق الانسان للحيلولة دون حدوث هذه المجازر الفضيعة ناهيك عن استنكارها وشجبها.

كما يُبرز ذلك الموقف العدائي لأمريكا، وزيارة الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى بلغراد في العام الماضي، وإعلان وزير خارجيته جيمس بيكر «أنه يرفض أي تدخل في الشؤون الداخلية ليوغسلافيا، وأن ما يحدث أو سيحدث هو خيار أبنائها».

وعلىنا أن نعترف أن يوغسلافيا تختلف بشكل عام عن بقية دول أوروبا الشرقية من حيث سلطة الحزب الشيوعي فيها والحريات والعلاقة مع دول أوروبا الغربية وأمريكا التي تتسم بكونها أكثر انفتاحاً.

وفي ظل ظروف القتل والارهاب والاعتقالات والتجوير والتشريد يعلن وزير خارجية بريطانيا الأسبق عن التوصل إلى السيطرة على السلاح الثقيل الذي لم يلتزم به سوى الجيش البوسني، أما الصربيون فلم يلتزموا بهذا القرار ولم



## من أنباء القرى

ينفذوا منه شيئاً.

وقد أعلن حارث سيلاجيتش وزير خارجية البوسنة أن حوالي خمسين ألف شخص قد قتلوا خلال الأربعة شهور الأولى من الحرب. كما تقوم القوات الصربية بحملة اعتقالات واسعة في صفوف المسلمين حتى إن عدد المعتقلين كان يصل إلى عشرة آلاف في اليوم الواحد. وقد بلغ عدد الذين طردوا من الأرض التي ولدوا عليها وعاش عليها آباؤهم وأجدادهم إلى حوالي نصف سكان البوسنة.

ومن الملفت للنظر إن الصربيين في البوسنة يشكلون أقلية، وإن نسبتهم لا تتجاوز ٣٠٪ من مجموع السكان، بينما يسيطرون على ثلاثة أرباع مساحة البوسنة.

ويعاني البوسنيون من شحة المواد الغذائية والوقود سيما وإن فصل الشتاء قد أقبل عليهم.

ويتضح الموقف العدائي الأمريكي والغربي بصورة أكثر من خلال منع المساعدات التي تقدمها الدول الإسلامية إلى الشعب البوسني، والسيطرة على الطائرات التي كانت تحمل إليهم مثل هذه المساعدات، كما حصل في إعلان السيطرة على الطائرة الإيرانية وطائرتين من الباكستان والسودان من قبل الكرواتيين كانت محملة بالامدادات لآبناء البوسنة والهرسك المظلومين. وكذلك الاعتقالات المتكررة لمسؤولي الاغاثة الايرانيين.

## تقويم عام للعدد الأول من مجلة رسالة الثقلين

من هذا الباب تفتتح المجلة مع كل عدد من أعدادها على أصحاب العلم والرأي والاهتمامات الفكرية والآفاق الإسلامية من قرائها الكرام، وتعرض فيه تقويمهم لنتائجها.

ونستهل مفتخرين هذه القراءة بما أبداه ولي أمر المسلمين المقدسي سماحة آية الله السيد علي الخامنئي (دام ظلّه) من تقويمات وإرشادات وقعت في الصميم من مهمات رسالة الثقلين عندما تشرفت هيئة تحرير المجلة بصحبة سماحة الأمين العام للمجمع بلقاء سماحته، وتقديم فهرست المنهج الذي سيخرج به العدد القادم والتطوير الذي سيطرأ عليه. وقد استقبل سماحته ذلك بترحاب وأبدى إعجابه بحسن التبويب وتنوّعه، ودقة اختيار الدراسات والعناوين الموضوعية للمجلة مؤكداً ضرورة المحافظة على هذا المستوى الجيد لأنها تحمل شعار أهل البيت عليهم السلام وتحكي مدرستهم الأصيلة، داعياً المولى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، محققاً لأهدافه السامية، مشرياً لما انتهجه الأوائل من علماء الاسلام العظام والدعاة إلى الله، واعداداً هيئة التحرير باستمرار متابعتها للمجلة وإرشادهم بالقول السديد.

وفي ما يلي ننشر ما وردنا من الاستاذ عبد السلام فرج الله من تقويم إجمالي للعدد الماضي يبحث في الشكل والمضمون شاكرين له هذا الاهتمام خدمة لرسالة الثقلين.

«التحرير»

في زحمة التباري الفكري والحضاري التي يزخر بها عصرنا الحاضر وعالمنا المعاصر، وما يصدر عنها من تناجات تحاول استقطاب المدّ الثقافي، وحصره في إطار توجهاتها ومبنياتها الأيديولوجية والعقائدية سالكة أحد السبيلين إما

## قراءة في العدد الماضي

شاكراً وإمناً توفراً<sup>١</sup> وصولاً إلى الأهداف المعلنة لها أو المستترة وراء الأهواء والمطامع، تصدر هذه المجلة فريدة في بابها، متميزة في إهابها رائحة في جلبابها، لتضع النقاط على الحروف وتزرع الدواء في مكان الداء، مبحرة بقرائنها في بحر هادي من الأفكار والمطارحات لعلها ترسو بهم على شاطئ الحق الأمين، وساحل الحقيقة الوضاء الذي حجبتة عن الكثير من البصائر ركامات من مخلفات الماضي وإفرازات الحاضر، وسترته عن أوعية القلوب ستائر الحقد وحواجز الاضغان.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار أن التقويم المائل أمامنا ينحصر في إطار العدد الأول من المجلة فقط، وأنها بدأت بامكانات محدودة وقدرات ضئيلة لا تتناسب وحجم الطموح الذي يحمله القائمون عليها، بل ولا تتناسب مع المستوى الذي خرجت به في عددها هذا لأدركنا مقدار الجهد الحميد الذي أفرغه العاملون فيها ومن ورائهم قلوب المشرفين المخلصين وتوجيهات الفقيه الولي صاحب المبادرة الكريمة والأب الحقيقي لهذه الولادة المباركة.

ويبدو أن القائمين على هذه المجلة والعاملين على إخراجها قد بذلوا من الجهد ما لا يحصره إلا الله سبحانه من أجل أن ترى النور وتصافحها القلوب العطشى قبل العيون اللهفي، وليداً سعيداً مسعداً يسر الناظرين ويملاً أفئدة المتطلعين.

والمجلة في ولادتها هذه تطرح ولادة عصر جديد من الانفتاح على مدرسة إسلامية أصيلة منبثقة عن مدرسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بل هي الامتداد الطبيعي لهذه المدرسة الإلهية، تستقي من علوم النبي ومعارفه، وتسقي طلابها ومريديها رحيق الحق من صافي عيونه ومنابعه، وتزيح الزبد والهشيم الطافي فوق لجته.

وهي المدرسة التي أرسى دعائمها أئمة أهل البيت كابراً عن كابر ووصياً بعد وصي حفاظاً على أصالة الإسلام، وحرصاً على دوره الريادي في الحياة الانسانية، والتي لولاها ولولا هم لزاغ الحق عن مواضعه وانظمست معالمه وانمحت آثاره.

والمجلة رغم كونها جامعة قائمة بذاتها لا تخلو من بعض الهتات ونقاط الضعف سواء على مستوى الشكلية الفنية أو في أبوابها ومواضيعها. ونحن من خلال تقويمنا للعدد نحاول أن نستعرض هذه النقاط بشيء من الإيجاز حرصاً منا على أن تكون المجلة في غاية الدقة والاعتقان، وإبعاداً لها عن النقد والتعريض وسعياً إلى الرقي بها إلى أعلى المستويات حتى تتمتع بالأولوية من الاهتمام والقبول على جميع الأصعدة ومن جميع الاتجاهات.

## قراءة في العدد الماضي

### أولاً: الشكلية الفنية

إن مجمل مستلزمات الشكلية الفنية لأي إصدار تكمن في الغلاف وما يستتبعه من متعلقات، وكذلك في الاخراج الفني للمحتويات والمضامين، وثالثاً في الخطوط المستعملة على صفحات الإصدار حجماً ونوعاً، إضافة إلى النوعية المنتقاة للورق المستخدم في الطباعة.

#### أ- الغلاف

يلاحظ في الغلاف الابتكار المستحدث في شكلية الاحتواء وبناء المظهر، خصوصاً في احتوائه على شعار المجمع العالمي لأهل البيت والذي أُجري عليه بعض التغيير ليصبح متطابقاً مع الفكرة الأصلية ومنسجماً مع الحقيقة، وبرز بشكل واضح داخله حديث الثقلين متوجاً بأربعة عشر ركناً تدور حول الأرض التي يتضمنها الشعار كرة حمراء إشارة إلى أهل البيت المعصومين الأربعة عشر. والشعار الذي يتضمنه الغلاف يعتبر ركناً أساسياً قائماً بذاته من أركان المجلة بل هو موضوع المجلة الاساسي وكل ما فيها من محتويات إنما يصب في هذا الاتجاه وينبع منه. بالإضافة إلى كونه شكلاً فنياً رائعاً وزخرفة إسلامية أصيلة تعبر عن حضارة الاسلام والمسلمين وترمز إلى تراثهم الديني العريق.

ويمتاز الغلاف أيضاً بالجمال في اختيار الألوان المتجانسة والتصميمات الدقيقة المعبرة، إلا أن النقص حصل في تركيز تلك الألوان وعدم استعمال اللون الذهبي في تذهيب أطراف حديث الثقلين ونقاط عباراته مما أفقده بعض جاذبيته. ونشير أيضاً إلى الخلل في عدم كتابة بعض عبارات التعريف على واجهة الغلاف بالخطوط الفنية المناسبة.

#### ب- الاخراج الفني الداخلي

ورغم كون الاخراج الفني للمحتوى الداخلي يعتمد أسلوباً رزناً ومتزناً في طريقة خطوطه وفواصله وزخارفه وإطارته، إلا أنه يفتقر إلى ميزة مهمة من ميزات الشكل الفني الجذاب ألا وهي الألوان المناسبة التي لها الدور في التأثير على النفس وجذبها إلى المحتوى. كما أن هناك أخطاءً فنية وقعت عن غير عمد في بعض عناوين الابواب وأسمائها وأماكن بروزها على الصفحات، لتكثّر مع ما يحيطها وتعبّر عنه قطعة متماسكة أخاذة فيما لو روعيت فيها هذه الملاحظات.

## قراءة في العدد الماضي

### جـ- الخطوط

يلاحظ على الخطوط المستعملة في طباعة المواضيع نقاط إيجابية وأخرى سلبية يمكن تلخيصها في الأعداد القادمة لتظهر المجلة كاملة من جميع جوانبها.

١- لقد جاءت الخطوط متناسقة وجيدة الشكل على الغالب باستثناء وجود فواصل وفراغات مخلة بالشكلية الفنية للصفحات الأولى للمواضيع.

٢- كان من الأفضل لو استعملت إضافة إلى ما هو موجود خطوط أخرى لغرض التنوع والتجديد والخروج على الطابع الأحادي الكوفي وغيره من أنواع خطوطنا العربية الجميلة.

٣- يفضل أن تكون الحروف الطباعية المصنوفة بحجم أكبر قليلاً، وأن يراعى في ذلك الاختلاف في ما يُعبّر عنه بتلك الخطوط كالأيات القرآنية والأحاديث، وبعض العبارات ذلت الطابع الخاص المتميز الأخرى. مع الالتفات كما أشرنا في الفقرة السابقة إلى أشكال الخطوط التي من الممكن أن تُضفي على المادة المعروضة جمالاً وروعة أكثر.

٤- لقد حصلت أخطاء طباعية متعددة كان المفروض تقليصها إلى أقل حد ممكن. وهذا مما تقع فيه الكثير من الإصدارات وخصوصاً في مراحلها الأولى وامكاناتها المحدودة التي ذكرناها.

### ثانياً: أبواب المجلة

لقد تضمنت المجلة في عددها الأول أبواباً تتميز بالتنوع والاستيعاب لمتطلبات ما هو مطروح على الساحة العملية والصعيد المعاش في الحياة الإسلامية العامة وشؤونها الفكرية والعقائدية والثقافية. إلا أنها لم تشتمل على كل ما يفترض أن يكون من أبوابها بناءً على تطلعاتها وأهدافها. ومما يمكن أن نضيفه إلى هذه الأبواب هو البحوث المقارنة وأنباء المسلمين وأتباع أهل البيت في العالم، وكذلك باب التعريف بما يصدر من مؤلفات ومجلات في العالم مما يختص بهذا الموضوع ويصب فيه. والتعريف بأساطين مدرسة أهل البيت وعلمائها الأعلام، وخصوصياتها من حيث النشأة والتطور والمهام.

### ثالثاً: القيمة العلمية والأدبية لمحتويات المجلة

إن المجلة إنما جاءت لتكمل شروط مدرسة أهل البيت وتسير على نهجها القويم لتكون مرفأ يهرع إليه المتعبون، وفناً يهتدي بنوره الضالون التائهون. والمتتبع لصفحاتها يجد فيها راحة النفس وهدوء البال وصفاء خاطر وطمأنينة الصدر، فهي بموضوعاتها عنوان إيمان وأمان وشعار سلامة واطمئنان.

## قراءة في العدد الماضي

إن المواضيع المتنتاة على صفحاتها قد أخذت من عصارة عقول مفكرة، واستقيت من جداول يناعيع صافية، حرص كتابها كل الحرص على أن تكون معبرة أدق تعبير عن معالم مدرسة أهل البيت وأبعادها الفكرية والثقافية والعقائدية والفقهية والتفسيرية، وجناباتها الاجتماعية والحياتية العامة.

والمجلة بأبوابها المتعددة الجامعة قد أحاطت بما احتوته واستوعبته بحثاً وتحقيقاً خروجا إلى دائرة الضوء التي تنفتح عليها العيون مهذا حضارياً عريقاً وركناً ثقافياً وفكرياً علمياً وأديباً شامخاً.

### أ- الجانب العلمي

لقد تميّزت المواضيع العلمية المطروحة على صفحات المجلة بالاسلوب الهاديء العميق الغور في أبعاد الحقائق وملابسات الواقع، وكذلك بالطرح المتسلسل غير المفكك الاوصال بل المترابط الوثيق منذ نقاته الاولى حتى خاتمته التي يبرز فيها الهدف واضحا جليا.

وان اسلوب الطرح الهاديء والحوار الحكيم هو الاسلوب الذي دعا إليه القرآن وتهجته أهل البيت عليهم السلام في كافة مراحلهم وأدوارهم، وهو ما تسير عليه قافلة أتباعهم حرصاً على وحدة الصف والكلمة، وحفاظاً على أداء الدور الرسالي الموكل إليهم والمكلفين بتحقيقه كمصداق من مصاديق الخلافة الإلهية على الأرض.

والمقالات والدراسات المنشورة تدور في فلك أهل البيت سواء على المستوى الجامع الشامل، أو على المستوى الفردي، وسواء منها ما يفتح الباب على مدرستهم وأبعادها، أو ما يسد باب المساس بها والنيل من مآثرها. وهي جميعاً موفقة غاية التوفيق في العرض والتحليل والحوار وصولاً إلى النتائج العلمية المسندة بالأدلة والحجج الدامغة والبراهين المنطقية القاطعة.

وحبذا لو توسعت في دائرة كتاباتها وكتابها من حيث المزيد من التنوع الموضوعي والشمول في الانتماء الجغرافي.

وجدير ذكره أن المجلة في أبوابها العلمية لا تقتصر على إبراز المعالم فقط بل هي في مقابل ذلك تسعى إلى تحطيم مرتكزات البنى التحتية للانحرافات القائمة في المواجهة. وهذا مما يلاحظ بوضوح من خلال التنوع في الدراسات الذي يبرز جلياً للقاريء المتفحص والمدقق الواعي. وبالأخص في باب شبهة ورد وفي موضوع الاستشراق والاسلام في باب دراسات. وقد نهض باب النقد في موضوع نقد وتقويم من زاوية أدب الثقلين بهذه المهمة في جانبها الأدبي والفني. علماً أن باب دراسات يتكفل من الناحية

## قراءة في العدد الماضي

العلمية بتغطية الجوانب الحساسة من أهداف المجلة ويستثمر الطاقات البناءة في هذا الصدد.

### ب- الجانب الأدبي

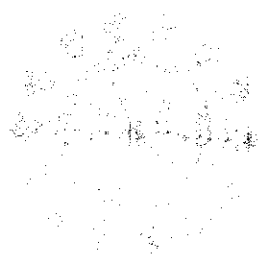
الملاحظ على الجانب الأدبي أنه ليس بالمستوى المطلوب من ناحية البناء الفني والصياغة الأدبية المتمكنة. فهو يفتقر إلى الحيوية وإلى الحداثة ليس في الشكل فقط، بل في قابلية التصوير الرمزي، رغم كونه من الناحية الفكرية قائماً بالمحتوى ومستوعباً للمضمون. ويمكن أن ننظر إلى خاطرة عقب الثقلين على أنها تسدّ هذا الفراغ الحاصل وتتمتع بمزايا الفن الأدبي من خصائص وصور نابضة بالايحاء ومتانة التعبير.

والجانب الأدبي بحاجة إلى تطوير بناء لاستيعاب الجوانب الأدبية والفنية الأخرى كالقصة والمسرحية، وأهم من ذلك النقد الأدبي والفني الذي تستطيع المجلة من خلاله مواكبة التطورات الحاصلة في هذا الاتجاه، ووضع الأقدام على الركائز الأصلية للفن والأدب الإسلاميين.

وقد يُلمس العذر في ذلك كما أسلفنا إلى كون المجلة في بداية ولادتها ذات الامكانيات المحدودة والقدرات الضئيلة، الأمر الذي لم يمكن القائمين عليها من مدّ جسور الترابط الأدبي والفني مع رواد هذين الجانبين الأساسيين وفي الاتجاه الثقافي الإسلامي الفاعل.

وفي ختام تقويمنا تتمنى للمجلة مزيداً من الرقي إلى كل ما يُطمح إليه شكلاً ومضموناً، وأن يوفق القائمون عليها والعاملون فيها لأداء دورهم على خير الوجوه وأتمها. سائلين الله العزيز لهم العون والتأييد والتسديد وراجين لهم منه مزيد الأجر والاحسان، والله موفق وهو من وراء القصد.





THE UNIVERSITY OF CHICAGO  
LIBRARY

THE UNIVERSITY OF CHICAGO  
LIBRARY

THE UNIVERSITY OF CHICAGO  
LIBRARY



قسمة

الاشتراك

الاسم .....

العنوان .....

المدينة .....

البلد .....

المهنة .....

مدة الاشتراك .....

ابتداء من .....

عدد النسخ .....

الاشتراك

السني / لمدة ٦ اشهر

بلد

الارسال

٢٠٠٠

٤٠٠٠

☐ الجمهورية الاسلامية

في ايران (بالريال)

١٥

٣٠

☐ باقي دول العالم (بالدولار)

(او مايعادله)

يرافق اشتراكي: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حواله بريدية

أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى أحد العنوانين التاليين:

\* الجمهورية الاسلامية في ايران . قسم ص.ب ٣٧١٨٥ / ٨٩٤

\* الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران ص.ب ١٥٨١٥ / ٣٥١٦

الاشتراكات:

١- في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٤٠٠٠ ريالاً)

بحواله مصرفية على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية في ايران قم بنك تجارت شعبه مركزى رقم الحساب الجاري ٢٦١٨

(بالريال) مجلة رسالة الثقلين.

٢- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً امريكياً أو مايعادلها) تسدد بحواله

مصرفية على العنوان التالي:

